

موسوعة الأديان

الدكتور سامي أبو شقرا

موسوعة الأديان

الجُزءُ الثّالِثُ

دار الاختصاص للنشر

بيروت ـ لبنان
١٩٨٩
الطبعة الأولى

الناشر : دار الإختصاص للنشر ش. م. ل

الباب الحادي والعشرون

الفصل الاول

ديانات العرب قبل الاسلام

كانت عبادات القبائل العربية قبل الاسلام كثيرة للغاية (عبدوا الشمس والكواكب . ثم أخذ هؤلاء من الجيزة عبادتهم ، فكان : (الزُون) وهو مجمع الأصنام جامعاً كالأولمب الاغريقي والروماني . ورُويت قصة عن الملك أَسَرْحدُّون الآشوري قال : « أتى الملك العربي (فُلان) إلى عاصمتي نينوى ، ومعه الهدايا الكثيرة . بعد تقبيله قدمي طلب متوسلاً ، أن أعيد إليهم تماثيل آلهتهم . رقَّ قلبي وأعدتها بعد أن أمرت بإصلاحها ، ونقشٍ تمجيد ربي : أشور ، عليها وتوقيعها » .

وأردف المؤرخ : « لقد وُجد في ثنايا العبادات المختلفة : بذور توحيد ، تعهده (محمد) وأنهاهُ. وبنى إبراهيم الكعبة في الجزيرة العربية ، كما روى العرب، جاعلين مِنْها موضع تكريم وحجٍّ منذ القديم . كان فيها لدى ظهور محمد : (٣٦٠) صنماً وصورة ، وكانت سدانَةُ الكعبة بِيَدِ (قريش). يُكرِّمها اليهود والنصارى ولها فيها صور مختلفة ». ثم تابع : « ان الجماعات الذين كانوا يؤمنون بإله واحد اسمهم : الحنفيُّون . آمن هؤلاء حتى بالقضاء والقدر، والتسليم لله ، شأن (إبراهيم) في إقباله على تضحية ولده، طاعةً لربه ». غير ان المؤرخ : (كارل بروكِلْمان) ذكر : « ان ديانة الوثنين العرب على مستوى بدائي . اعتقدوا بالقوى الخارقة المنتشرة بين البشر ، ويمكن تسخيرها بطرق خاصة ، ثم

تمثلت هـذه القـوى في شيـاطـين ، وارواح تقـطن الغـابـات والكهـوف . يقـدّسـون تلك الشياطين حـين تُعلن أسماؤهـا بعد إرضـائها بـالقرابـين والضحايـا ، حيث تغدو الحـامي للقبيلة ، وهي جَدّها وسيدها . وكان لكل قبيلة إلهها الخاص ، لكنـه لم يكن لديهم عـلى مستوى (يَهوَه) بالنسبة لليهود ، ولا تقرب اليهم لذلك الحـد الأهلي . كـانت منهم قبائـل تعبد الها واحداً ، كما كانوا جميعهم يحجـون الى (مكة وعكـاظ) من أماكن نـائية . وثمـة إلهـات ثلاث ارتفعت اسمـاؤها هي : مُنـاة : الهة القضـاء والقدر ، والـلاّت التي عُرِفَت بـالطائف بـاسم : الربـة والسيدة . وقـد شبهها هيـرودوتس بإلهـة الفَلك عند اليـونانيـين (أورانيا Urania) وهي تقابـل : الأم الكبرى وعشتـروت عند السـاميين . والآلهـة الثالثـة هي : العُـزّى أي الكلية القـدرة والعِزَّة . يعبـدونها رامـزين اليهـا بكـواكب . الزُهرة : (ڤانوس Vénus) .

وأكمل المرجع : لقد آمن هؤلاء البدائيون بالاله الواحد قبل أن يدخل جزيرتهم يهود ونصارى . فالتوحيد عندهم عريق . وقد اخذ الاله الواحد يحتل في مكّة مقام : (هُبل) الإله القمري القديم ، كربٍّ للكعبة . واعتبروهُ القضاءَ وارادةَ الله الثانية .

وأوضح تاريخ الحضارة الإسلامية أن عرب الجزيرة عبدوا النار قبل الإسلام ، ثم الشمس والكواكب مستشهداً بالآية الكريمة : ﴿ **وجدتُها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وزين لهم الشيـطان أعمالهم فصـدَّهم عن السبيـل ، فهم لا يهتـدون** ﴾ وقـال المرجع نفسه : (أن مقر اليهودية الرئيسي في الجزيرة كان بيثـرب وخَيْبَر ووادي القـرى) وكانت النصرانية في : الحِيرة وعيان ونجران .

وقـال الدُوريُّ : « إن ديـانات العـرب مختلفة لانتقـالاتهم الدائمـة ، والبـرهـان أن عمرو بن لُحيٍّ خرج إلى الشام وكان جماعتها يعبـدون الأصنام ، فحبَّبـوها إليـه . طلب أن يمنحـوه صنماً فـأعطوه ، وأسمـاه « هُبل » وهـو أول صنم دخل الكعبـة . ثم شرع سكـان الجزيرة في عبادته تقرباً إلى الله زلفى .

ونقل إلينا بالمراسلة الفقيه الازهري : الاستاذ محمد خالد سعيد (عكار) ما يلي :

إن ديانات العرب قبل الإسلام ، منها ما هو سماوي المصدر والتشريع ، ومنها ما هو ارضيٌّ أي من صنع البشر . ومنها ما هو عريق في وجوده على أرض الجزيرة العربية ، ومنها

ما هو وافد دخيل . منها ما هو موحِّد للخالق ، مؤمن بالرسُل ، موقن بالبعث والجنة والنار ، ومنها ما هو مشرك ضال عن (مروج الذهب) . وفصَّل المرجعُ هذه الديانات إلى :

أ ـ **الوثنيّة** : لقد أُلمحَ إلى جماعة المسلمين ، القرآن الكريم ، حين سُئلوا : لماذا تعبدون هذه الحجارة التي لا تسمع ولا تعي ولا تنطق ولا تبصر ولا تضرُّ : ﴿ **ما نعبدُهم إلا لِيقرِّبونا إلى الله زلفى** ﴾ . (سورة الزُمر آية ٣) ،

ب ـ **المجوسيَّة** : لم يلق هذا المذهب استحساناً لدى القبائل العربية شأن المسيحية واليهودية . نُقل للجزيرة بواسطة التجارة الناشطة لكنه لم ينشط فيها .

ج ـ **الحَنفيَّة** : قال فيها الكتاب الحكيم : ﴿ **ما كان ابراهيم يهودياً ولا نَصرانياً ، ولكن كان حنفياً مسلماً وما كان من المشركين** ﴾ . (سورة آل عمران آية (٦٩) وسورة الحج آية (٧٨) .

د ـ **الدهرية** : اوضحتها الآية ﴿ **وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر** ﴾ . (سورة الجاثية آية ٢٤) .

هـ ـ **عَبَدةُ الكواكب** : « كانت عبادة الشمس وأهم النجوم ، أكثرها انتشاراً » . (حضارة العرب) (ص ٩٧ ـ ٩٨) .

و ـ **الصائبة** : قال فيهم « المسعوديّ » : « ومنهم المارُّ على عنجهيته ، الراكبُ لِهمجيَّتِهِ (ص ٣٨١) . (المِللُ والنِحَل ج ٢ ص٥) .

ز ـ **البوذية والبرهمية** : جدَّتْ ملامح لهاتين الديانتين على الساحل الشرقي للجزيرة ، نقلها التجار عبر الأجيال .

ح ـ : كانت الديانتان السماويتان اليهودية والنصرانية محصورتَين في المناطق التي اشرنا إليها من قبل . وكلاهما مع سائر الديانات السالفة كانت تَرى في الكعبة محطَّ احترامها وتقديرها ، وكانت معلقةً على أحد جدرانها صورةَ المسيح ومريم العذراء . عن (حضارة العرب ٩٩) .

الباب الثاني والعشرون

الفصل الأول

الاسلام

قريش :

سبق الاسلام الى الجزيرة العربية أديان متعدِّدة وكانت مكة قُبلةَ معظم تلك الأديان ، لانها تحوي قبر إبراهيم ، والحجر الاسود ، ومئات الاصنام ، ولانها واقعة على الخط الرئيسي للقوافل المتواصلة ، بين شرقي البلاد وغربيِّها ، ولأن قبيلة قريش الضخمة العدد ، والوافرة الثراء والبارزة الجاه . هي سيدة هذا البلد المكرَّم ، وحارسة الكعبة واصنامها .

وجاءت كلمة قريش ، على حد تعبير بعض المؤرخين من : قرش وقروش ، بالنظر لما فُطرت عليه هذه القبيلة واتخاذها من النشاط الاقتصادي ، والسَعْي الحثيث وراء المادة .

ومكة وقريش مترادفان ، (والمجتمع) الذي تضمُّه هذه البلدة يقوم على طبقات ثلاث : الاشراف وهم قريش بأفخاذها ثم التابعون لقريش وأخيراً العبيد . كان هَمُّ قريش وشغلها الدائم فكراً وجسداً : التجارة . وما عنيت بتحصيل العلوم ولا سعت إلى تلقُّفها من الجيرة المستنيرة .

محمَّد :

تحدَّر النبي العربي « محمد » من قبيلة قريش ومن والدة اسمها : آمنة بنت وَهَب بن

عبد مَناف . مات زوجها عبدالله وهي حامل بمحمد . وضعته عام (٥٧٠) ميلادية في مكّة . ربي يتيما . ارضعته (حليمة بنت ذُؤَيب) ومكَث عندها أربع سنوات . بين السادسة والسابعة من عمره ، فقد والدته ، فغدا يتيم الابوين ، سارع الى احتضانه جده عبد المطلب . ثم عمه أبو طالب والد (الإمام علي) .

حين اشتد ساعده ، اضطر الى العمل ، فقام برحلة الى الشام . رأى فيها مظاهر الحضارة في الناس والبناء ، فتفتّح ذهنُه . ويقال انه حين مرت به القافلة الى (البصرى) واقتربت من صومعة الراهب (بحيرا) دعاهم هذا الى الغداء ، وتفقَّدَ محمداً ، ثم دعاه اليه وسايره واشار إلى المكانة الرفيعة التي سيتبّوؤها هذا الفتى . اضطره وضع عمه أبي طالب الاقتصادي ، ان يرعى الاغنام ، فرعاها وانّس بالوحده ، وأعمل فكره بالتساؤلات والتأملات ، مغذّياً خياله بتلك الاجواء الفسيحة ، بعيدا عن الضوضاء ومشاكل الناس اليومية ، ومتع الحياة .

خديجة :

كانت احدى السيدات الثريّات من قريش (خديجة) في الاربعين من عمرها ، حين دعتهاالحاجة الى من يشرف على اعمالها التجارية ، وينتقل مع القوافل المحملة خارج الجزيرة . عرفت بأمانة هذا الشاب (محمد) وبحنكته ونشاطه ، فأقترنت به وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، فأحسن التصرف في معاملاته التجارية .

وفي الخامسة والثلاثين من عمره اشتركَ محمد في اعادة بناء الكعبة ، وحين اختلفوا على حمل الحجر الاسود ، أزال بحكمته خلافهم هذا ، حين حُكّم وطلب من رؤوساء القبائل المتواجدة حوله ان يمسك كلّ بزاويةٍ من رداءٍ سميك نُقل عليه الحجر ، وتم بالموافقة نقله .

كان محمد يطيل المكوث منعزلاً متأملاً منذ صباه ، حتى شبابه المتأخر ، وكان يصوم شهرا كل عام ، ويأوي الى غار في جبل (حِراء) شمالي مكّة ، مُمعِناً في البحث عن الحقيقة .

بعد عودته من عزلته ذات مرة ، قصّ على زوجته (خديجة) ان الملاك جبريل جاءهُ في المنام ، وفي يده صحيفة داعيا اياه لقراءتها : ﴿ اقرأْ باسم ربك الذي خلق ، خلق

الانسان من علق . . . ﴾ فأكبرته (خديجة) وحثّته على متابعة التفكير والجهود .

وكـان محمد عـلى دين قومـه ، يعبد الاصنـام ، لكنه شـديد الاحسـاس يغلب عليه صَمتُ الحكـماء . غير أن هـذا النداء كـان يشغله وكانت العـزلة عـاملا لتلقي وحيٍ آخـر يقول : **﴿ يا ايّها المدَّثّـر قم فأنـذر . . ﴾** فلم يجد بـدا من جهر دعـوته والامتـزاج بالنـاس لهدايتهم . لكنهم بدأوا في الهزء به ثم اعتبروه مُجدِّفـاً وساحـراً وكاهنـاً ومجنونـاً ، ومُشعوذاً هدَّاماً ؛ وعبثاً كان ما يقرأ عليهم من الآيات الأُوليات الموحاة .

كان هذا هو الدَور الاول من حياة محمد .

وقيل ان الوحي الذي نزل عليه في غار حِراء كان إما بواسطة ملاك يأتيه مبلِّغـاً ، او يَسمعه كَصَلْصلة جرس وهو في الأربعين من عمره . حين سألت خديجة (ورقَة بن نَوفل) في أوّل وحيٍ أنزل عليه ، أجابها : « أنه الناموس » الذي أنزل على موسى . عندها آمنت خديجة به نبياً . ويقال أن (عليّاً) كان أول الاسلام بعدها ، وكـان في الحاديـة عشرة، ثم تبعه (أبو بكر) .

منشأ الاسلام :

كان الدور الثاني لحياة محمد بين عام (٦١١ و٦٢٢) . بعد اربع سنوات من انبثـاق الدعوة بلغ عدد المؤمنين في مكة (الأربعين)، وكانت سريّـةً وبحذر شـديد ، وكلهم بـين شبـاب شريف متحمس ، وبـين جماعـة من الطبقتَـين الوسـطى والدنيا ، كما تخللهـا بعض النِسـوة ، لان الدعـوة تشمـل كـل انسـان ، مِن كـل جنس ، ودين وعـرق . انها دعـوة للمسـاواة ولتحريـر العبيد ، وايقـاظ المرأة . دعـوة دنيويـة صرفـاً ، كما هي دعـوة روحية عمقَت التوحيد ، وعرفت الخالق وعلاقته بالانسان روحاً وجسداً .

في السنة الرابعة أُنزلت الآيـة **﴿ فاصـدع بما تؤمـر ، وأنذِرْ عشيـرتك المقـرَّبين ﴾** . فجهر محمد بدعوته غير هيَّاب . فهدَّدته قريش. ثم جـاءه عمه (أبـو طالب) محـذرا رادعاً فأجاب : بانه لن يتراجع ولو وضعوا الشمس في يمينـهِ والقمرَ في يسـاره . لكن أبا طـالب أصر على وقايته من أية أذية ، رغم تعدد الاتهامات والافتراءات ، فنزلت الآيـة الكريمـة : **﴿ ولقـد استُهزِىء بـرسل من قبلك ﴾** . **﴿ بـل قالـوا اضغاث احـلام ﴾** . **﴿ ان هـذا الا**

افك ﴾. ﴿ فذكر فما انت بكاهن ولا مجنون ﴾. « الحضارة الانسانية عن القرآن الكريم ».

ان محمدا في تبليغ دعوته لم يكن مهادنا ولا متردداً، بل كان متحديا ، سافر العداء لكل كافر ، صلب الشكيمة في كل صراع فكري ، أو جسدي . كان سليطا على السخافات والاوثان . في يدٍ رسالة هادية وباخرى حسام عارِسَنين . استمر جهاده مع مشركي قريش أكثر من عشر سنوات ، وحين ضاق ذرعه وطغت موجة الشر على مِرآة الاصلاح والخير ، واحترازا بما يهدد جماعةَ المؤمنين ، آثر ان يرحلوا الى الحبشة ، فرحل بعضهم رحلتين ، ثم تفاقم الشر والوعيد فعزم على الهجرة الى المدينة مع جميع صحبه . بعد ما أنِسَ به من بعض حجيج الأوس والخزرج القبيلتين المدينيتَّين في (بيعة العَقَبة الثانية) .

تبنت الأمة الاسلامية هذه الهجرة واعتبرتها بَدءاً لكيانها التاريخي . كان حدوثها في سنة (٦٢٢) ميلادية ، وكان قبلها بقليل قد حدثت هذه الظاهرة الروحية الخارقة مع الرسول : (حادثة الإِسْراء) . موجز هذه الحادثة :

« أن محمّداً قطع المسافةَ ليلاً من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس (عن سورة الاسراء) .

وفضيلة قاضي الشرع الاسلامي في شمالي لبنان الشيخ (مفيد شلق) يوضح أنَّ الاسراء هو الانتقال بمحمد بواسطة الملك جبريل على الدابة المعروفة بالبُراق ، من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى . كما يؤكد الدكتور الشيخ صبحي الصالح انه انتقال بالروح . اعقب ذلك الحدث « المعراج » ويعني الارتقاء من بيت المقدس صعودا للمثول امام عرشه تعالى . ويصرح الشيخ شلق بان المعراج بالواسطة نفسها ، وهو الانتقال بمحمد ايضا من المسجد الأقصى إلى السماوات العُلا، ثم العودة به. أن المهم في هذا الاسراء صلته بالإبراهيميَّة الأصيلة، فالسراء هو محج النبوة العقلي. أما الشيخ شلق فلا يعتبره حجاً عقلياً وحسب ولا صلة له بالابراهيمية . لهذا نجد اتجاه المسلمين في صلواتهم كان شطر القدس اولا ثم مكة بعد دخولها ، وتحطيم أزلامها .

والدور الثالث في حياة الرسول كان بين (٦٢٢ ـ ٦٣٢) حيث في غُرَّة محرم سنة

(٦٢٢)م. دخل المدينة وكانت تسمى بـ (يثـرب)، قبل حـدوث هذه الهجـرة. وتقع هـذه المدينة على بعد ثلاثمائة ميل شمالي مكة. ذات طابع زراعي، مشهورة بنخيلها وجودة أرضها. لمس فيها محمد قبولا لدعوته رغم تثاقلها. آزره اليهـود في أول مرحلة، لان مـا دعا اليـه اقـرب الى دينهم مما يـدَّعيه الـوثنيون. ورغم العصبيـات المستشريـة في يثـرب، استـطاع ضيفهـا الحكيم ان يوحـد الصف، ويغسل القلوب من ادران الحقـد والتأثـر، وينفـخ في الصدور روح التضحية في سبيل منهج مَدَني وروحي سليم.

فتألب حوله الشبان من أنصار مدينيين، ومن مهاجرين، وما سفهـه اليهود المتقلبـون المتآمرون. كـانوا كثـرة في البلد. وقبل ازمـاع محمد عـلى مهاجمـة مكة قـرر انشاء مكـان للتعبد فاختار (المربد). حيث استضيف ليل دخـوله المـدينة. وغـدت لهذا المسجـد قيمة كبرى سياسيا ودينيا.

حين تمَّ بناء المسجد كان لا بد لمحمد من ان ينـزع الى الروح الـديمقراطيـة المتأصلة في دعـوته، فـاستشـار اصحـابـه في كَيفيَّـة دعـاء المؤمنـين للصـلاة. قـال بعضهم بقـرع الاجراس، وآخرون بالنفخ في الابواق، وقال (عُمـر) بالأذان، فكـان الأذانُ الى يومنـا نحن.

دارت معاركُ بين الرسول والكفار في هذه الهجـرة، أولها وأعـظمها مـوقعة (بَـدْرٍ): **﴿ ولقد نصركم الله ببدر وانتم قِلَّة فاتَّقوا الله لعلكم تشكرون ﴾** (سورة آل عمران).

ثم معركة الخندق: إشارة الى الخندق الذي حفره الرسول حول المـدينة، (لُـويس ماسِّينيون). وهنا اخذت تبرز خصائص اليهود ودسهم وتآمـرهم على الاسـلام الناشيء، لكن بركان العـزيمة لم يبـرح متفجِّراً سـاخراً من طنـين البُغاث. في العـام (٦٣٠) للميلاد جلجل صوت محمد في صدر (المدينة): الى مكـة الى مكة. وتعبـدت امامـه الطرقـات، وانطوت الصحارى تحت سنابك خيول المؤمنين والحُداة، واذا بهذا المِغـوار وفي يده مـطرقة الهدم والتقويض. لِبناء الجديد الذي أرادهُ الله.

ولمـاذا الكعبة قبلة الاسـلام؟ لان المسلم لم يتبع مـوسى ولا عيسى في رسالتـه، انما كان يعتبر اباه ابراهيم، وهو أبو العرب أجمعين، وهـو باني المعبـد الاول حول الكعبـة في مكة. لهذا أضحت الكعبة لا بيت المقدس قُبـلةَ كلٍّ مسلم.

بعد احتلال مكة بسنتين . كانت طوال هذه المدة تتقاطر للبلدة الوفود من أضاحي البلاد لتشهر اسلامها بين يدي الرسول . وقد عُرفت السنة العاشرة للهجرة بـ (عام السفارات) لوفرة ما جاء البلد من وفود يتلمسون الأمان والحماية ، أو هم يتقبّلون الدعوة للاسلام .

وتمّت حجة الوداع في العام العاشر للهجرة ، وهي آخر حجة للرسول ،تناقل كل مسلم شعائرها في مواسم الحج ومناسكه السنوية .

في اليوم الثالث عشر من ربيع الأول سنة (١١)هـ . في الثامن من حزيران (٦٣٢) م أسلمَ محمد روحه لخالقه ، بعد ان وطّد شريعة سماوية صافية . ذات جذور موغلة عمقاً في صميم الانسان . وبعد ان اوصى بخلافة شورى بين المسلمين .

اما كلمة « إسلام » فهي اشارة الى حالة الانسان الذي أسلم امره لله فهو : « مُسلِم » . وقد اطلقت الكلمة على الجماعة ، وعلى الحضارة التي انشأها المسلمون . وبما ان الإسلام يعني الخضوع الكُلّي لله ، وبما ان القرآن هو كلامه تعالى ، فقد وجب تقبّل هذا الكلام والانصياع لكل فكرة جاءت بها آياته الكريمة .

الشريعة :

كانت قد أخذت الجماعة المسلمة تحدد معالمها وتفّصلها بعد ان حددت الدعوة ووجهتها . هذان التحديد والتفصيل كانا في مضمون السُوَر المَدَنية . كذلك كانا هما القانون الاساسي للجماعة الاسلامية .

تناولت الشريعةُ بعد الفرائض الدينية ، كل النواحي الاجتماعية والسياسية التي هي خارج إطار بحثنا .

التشريع الديني :

تناول التشريع الديني كل العقائد والاعمال . والعقيدة هي الايمان بأن الله واحد . احد لا شريك له .ثم الايمان بالملائكة والكُتب المنزلةِ والانبياء ، وخاتمهم الرسول محمد . كما كان الايمان بالبعث والحساب ، وبالجنّة والنار .

الاعمال :

ان الاحكام الخاصة بالاعمال : تَنتظمُ الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج الى جانب الآداب العامة ، والاخلاق الشريفة بعيدةً عن التطرُّف أياً كان ، وان هذا التشريع يُقسم الى : مكّيٍّ ومَدَني .

التشريع المكّي :

التشريع المكي يشمل القسم الاكبر من المُصحف الشريف ، توضّح في (٩٣) سورة . والمدنّي في (٢١) سورة . السُور المكية آياتها قصيرة موجزة ، في بلاغة فائقة ، وهي خالية من التفصيل في الجزئيَّات ، انه تشريع كلي لا أثر فيه للبيع والشراء والزواج والطلاق والمواريث . اقتصر على المقصد الاسمى للدين، هو: الحث على الايمان بالله « التوحيد » وباليوم الآخر ، والتذكير بثواب الله وعقابه ، والنهي عن عبادة الاصنام ، والايمان بان محمدا رسول الله . وقد فُرضت الى جانب هذا : الصلاة والزكاة .

التشريع المدني :

تركّز التشريع المدني على الركنين : الصوم ، والحج لمن استطاع اليه سبيلا . كما نصَّ على المعاملات ، اذ اقام الاسرة الاسلامية على أرقى النظم . جعل هذا التشريع الزواج على سبيل (التأبيد) وحرم ما عرف عن الزواج في الجاهلية ، وألغى زواج الاقارب من المشركين ، واباح التعدد ، لأسباب اجتماعية خطيرة يومذاك . بينما لم يفتهُ شرط العدل بين الزوجات ، وهذا ما يعسر تطبيقه ، واسبغ على المرأة كل احترام وتقدير . وقال بالقتال المشروع : دفاعاً عن النفس وعن العقيدة ، كل هذا من الاسباب الداعية الى تهافت الفُرس الى قبول الدعوة الاسلامية .

خاض محمد غزوات كثيرة مانعاً فيها اطلاقاً كل نهب ، وثأرٍ وسَبي ، بل غزوات في سبيل عقائدي : الدعوة للإسلام (تاريخ العالم).

وقد جعل التشريع السياسي السلطة التنفيذية ، بيد الرئيس الديني . كما فعل قبله (قسطنطين) امبراطور الدولة الرومانية بالنسبة للمسيحية .

الفصل الثاني
الدعوة

اتخذ الرسول وسيلة لنشر دعوته الفتية ، توجيه البعثات والرسائل الى القبائل العربية ، والى الملوك والامراء ، داعيا للإسلام . وكانت موقعه « بدر » الظافرة من أهم الاسباب التي اسهمت في الانفتاح العربي على الدعوة .

جرت الموقعة في (١٧ ـ ١٨) من رمضان ، من العام الثاني لهجرة الرسول . وتوالت المعارك حتى كان العام التاسع للهجرة الموافق ل (٦٣٠) للميلاد ، حيث نفخ محمد في بوق الجهاد الاكبر على رأس عشرة آلاف مقاتل ، شطر (مكة) ففتحها ، ودخل (الكعبة) محطما اصنامها التي تربو على الثلاثمائة صنم . عقبها دويٌّ مَهيبٌ أطلقه (بِلالٌ) من فوق الكعبة : « الله أكبر ، اشهد ان لا اله الا الله ، واشهد ان محمداً رسول الله » .

بعد فتح مكة بسنتين ، يوم الاثنين في (١٣ ربيع الاول عام ١١ هـ) الموافق للثامن من تموز (٦٣٢) ميلادية ، كادت الجزيرة العربية آنذاك ، ان تعتنق الاسلام جميعها . وقد أفرخت بذور الحكمة بعد وفاة الرسول مباشرة ، إذ تقررت بالاجماع مبايعة أبي بكر الصدِّيق خليفةً للنبي على المسلمين .

العُلوم الدينية :

كانت ركائز التعليم الديني ثلاثا : التفسير ، والحديث ، والفقه . اما القرآن ، فقد اختار الخليفة الثالث (عثمان بن عفان) لجنة موثوقاً من صدقها وتحرياتها ومعارفها ، فجمعت المُبعثَر من سُورهِ ونسَّقتها . وكان لا يُصدَّق « الحديث » عن النبي ، الا إذا تأكد صدقه بالشهود الموثوق بهم .

نشأة هذه العلوم :

إن بلاغة القرآن، وعمق معانيه، كانا الحافز للصحابة لالتماس ما يزيدهم فهماً لنصه ، وعلما واضحا لمعاني آياته ، بغية نشرها على شعوب الدنيا التي ضُمَّت الى فتوحهم بعد الرسول ، فجاء عِلْما : التفسير والحديث .

اما الفقه فغدا واجبا لصبغ المجتمع العربي والفتوحات ، بالطابع الاسلامي وفقاً

لمقتضيات هذا الدين الجديد الذي وفّق بين السلطتين : الروحية والزمنية .

وكانت القوانين التي احتكمت اليها الصحابة هي : القرآن والسُنّة . وكل ما خلا النص والحديث يؤخذ بالقياس والرأي عن طريق الاجتهاد .

لكن سرعة انتشار الدعوة الاسلامية ، بين جماعات متعدّدي المعتقدات ، متفاوتي الحضارات ، بعث نقاشات وصراعات فكرية حادة ، أوجبت حدوث مدارس روحية فكرية ، منهلها الاصيل هو : القرآن ثم الحديث .

كانت أبرز هذه المدارس اربعا للأئمة الاربعة التالين : أبو حنيفة المتوفى عام (١٨٠ هـ ٧٦٧ م) ومالك (١٧٩ هـ ٧٩٥ م) والشافعي (٢٠٤ هـ ٨١٩ م) واخيراً أحمد بن حنبل (٢٤٠ هـ ٨٥٥ م) ولنا مع هؤلاء الفقهاء كلام أشمل لاحقا .

مركز العلوم الدينيّة :

ظفرت (المدينة) بالمدرسة الرئيسية الأم ، اذ فاخرت بتعاليم الرسول ، وأشهر اعلام الصحابة ، وتلتها مدارس : مكة ، والبصرة ، والكوفة ، ومصر ، والشام .

أما العراق فبالنظر لما تحمل من جذور ثقافات عريقة ، كانت مدرستها تنحو منحى العلوم العقلية ، فتفلسف الآية الكريمة حسب مقتضى المنطق السليم والرأي الحصيف والاجتهاد الواعي . وكانت العلوم النقلية في الجزيرة لا تعتمد النقل ولا الاجتهاد، بل النص الصريح ، لضيق مستواهم الفكري . (الحضارة الانسانية) لقد أسهم في أصالة الرأي والاجتهاد وما ترجمه للعربية الرهبان السريان في سوريا الشمالية ، عن فلاسفة اليونان : فيتاغورس وأرسطو وأفلاطون وأفلوطين .

وكان للصراعات الفكرية الحادة بين الشيع المسيحية اثر بالغ في تنبيه الفقهاء المسلمين وتعميق تفكيرهم ، والمزيد من اعتمادهم على الرأي والاجتهاد .

عقب هذه النشاطات الفكرية الروحية في الاسلام انقسام الفقهاء ، كلُ حسب الينبوع الغريب الذي اثر في نفسه وتفكيره معا . هذا الينبوع هو تلك الفلسفات اولاً . ثم تلاها تفلسف روحي شرقي ، كانت له آثار واضحة في الأناجيل وبخاصة انجيلَي (متى ولوقا) . فتولدت ، ولأول مرة في تاريخ الدعوة الاسلامية ، الفرق القائلة :

بالإيمان ، والأعمال ، بالتفكير أو بالإرجاء ، وبالجبريَّة ، أو القَدَرية ، ثم تراكمت الفرق مع الزمن وسنأتي على تفصيل الهام منها لاحقا .

وتجدر الملاحظة انه لا تسامح مع مَن يُلحِن في تلاوة آيات الله . وان الفقهاء هم وحدهم المفسرون لها ، وهم واضعو الاجتهادات التي يدور حولها النقاش والجدل . واعُتبر القرآن ركيزة اللغة العربية كما هو ركيزة الايمان بالاسلام . (قصة الانسان) .

القرآن :

لقد صرف النبي ثلاثةً وعشرين عاماً مناضلاً في سبيل تحقيق الدعوة التي أنزلها الله عليه بالقرآن : معنىً ومبنىً . وكان مُصحف الخليفة الثالث للنبي (عثمان بن عفّان) هو النص الرسمي الثابت بآياته دونما اعتبار لتاريخ نزولها . يتضمن القرآن (١١٤) سورة بين مدنية ومكية تبدأ بالفاتحة وتنتهي بالمعِوذَتَين . من الشيطان الرجيم .

ان القرآن في نظر كل مسلم هو كلام الله لفظاً ومعنى : ﴿ **إنا انزلناه قرآنا عربيا** . . . ﴾ وقلما تخلو آية من ذكر الله ، او احد الاسماء الحسنى لله التي تَعدُّ تسعةً وتسعين صفة له ، كلها تعنيه بالذات في عُرفِ السُنَّة . وقد اوضح كتاب الله ان هناك خلقاً شاهداً على قدرته وليس دالا عليها ، كما ان هناك فناء وبعثا يطال كل نفس بما احتقبت من سالف الاعمال .

من جملة ما تناول القرآن قصص الانبياء من عرب وغير عرب ، لانه يعتبر التوحيد تساميا عن العرق والجنس والجنسية . والكتاب في مضمون دعوته عالَمي ، يعزز الفضائل في الانسان ، ويربط الدنيا بالدين ، ويتخذ العقل السليم ركيزة الايمان والتوحيد ، بعد تنزيه الخالق المبدع عن كل شائبة ، وترفع كلامه المُنزل عما يُولِّد أية عنصرية .

لقد جمع القرآن جمعا وثيقاً كما ألمحنا ، بين امور الدين والدنيا ، معتبراً الاسلام في اي قطر وبكل زمان ، عائلة واحدة ، حدَّد علاقة الفرد بنفسه ، وبأهله ومجتمعه ودينه ، فكان هَرَما عالمياً قاعدته عِبادُ الله وقُمتُهُ التوحيد. لم يدع شاردة الا المع اليها ، ولا معضلا روحيا واجتماعيا الا أوضحه . وسعت معانيه شؤون الحياة الدنيا والحياة الاخرة، ووسعت تطلُّعات العلماء حتى المعاصرين منهم ، ووسعت ما اكتشفوه . اثبت ذلك جمهرة الفقهاء

والمجتهدين المفسِّرين ، نلم ببعضه في حينه .

الاسلام في عقيدته :

نستطيع تلخيص عقيدة الإسلام في شهادة : لا إله إلا الله محمد رسول الله . اثبت هذا الايجاز حقيقة وجود الله ، وحقيقة وحدانيته دونما شريك ، كما اثبت ان محمداً رسول الله ، وليس روحَهُ ولا هو ظلّه ولا ابنه . وتكفي هذه الشهادة لتصل الانسان بربه مباشرة من غير كهنوت ولا وسيط .

لقد اعتقد الاسلام حسب مضمون النص الشريف بوجود ملائكة خلقها الله من نور . منها جبريل ، ذلك الأداة لتبليغ وحي ربِّه . كما وُجِدت الجن التي خلقها الله من نار ، منهاالمعاندة ومنها الرضية .

والاسلام عالج مشكلة القضاء والقدر مؤكداً قدرة الله اللامتناهية ، داعيا الى التوكل لا الى الحتمية ، حاثا على طاعة الله ، بعيداً عن الفَرْض والإجبار .

والمرء مسؤول عن عمله خيراً كان ام شراً ، لأنه أُعطي الحرية المطلقة في تصرفاته . كما حرم الله على كل مسلم ومسلمة مَسَّ المصحف او قراءته او دخول المسجد او الصلاة او الطواف بالكعبة ، اذا كان جُنُبا (غير نظيف) . وفي الاغتسال والوضوء حثّ على وجوب النظافة جسداً ونفسا ، كما يشترط تلاوة القرآن تجويداً ودون لحن إطلاقاً .

اركان الاسلام :

للدين الاسلامي خمسة اركان رئيسية ، توجب على كل مسلم في حالاته الطبيعية وضمن امكاناته ، رجلاً كان ام امرأة ، بعد سن الرشد ، ان يؤدي هذه الفرائض ، وهو نقي النفس مطهر الجسد . على رأس هذه الفرائض الشهادة التي ألمحنا اليها ويليها :

الصلاة :

للصلاة كل يوم اوقات معينة لا يجوز تعديها الا للضرورة . تبدأ مع الفجر ثم ظهراً فعصرا فغروباً فعشاء . تتلى خلالها الفاتحة وبعض آيات موجزة. يمكن للمسلم أن يقوم بها منفرداً ، او مع جماعة حيث وجد طاهراً . ويوصى بالابتهالات المستمرة واقامة النوافل والتهجُّد ، والتراويح في ليالي رمضان .

وعلى المُصلي ، بعد الغسل والوضوء عند اللزوم ، ان يولي وجهه شطر الكعبة ثم يشرع بتكرار الحركات والركعات والسجدات ، والتِلاوات وفق اختيار المُصلي نفسه على ان توجز ما امكن .

الزكاة :

انها عمل الإحسان الذي تفرضه العقيدة الاسلامية كضريبة شرعية ، وهي غير الصَدَقة . ان الزكاة تعني التزكية والتطهير ، اعني تطهير المال عن طريق التخلي عن جزء منه لسدِّ حاجات الفقراء ، وللدفاع عن العقيدة ، بتذكرة للمسلم بأن ماله من عند الله ، وهو هِبة له منه ، بل هو وديعة . وتتفاوت الزكاة قدر تفاوت الثراء .

هذه الفريضة تعبر عنها في عصرنا الحاضر انها : طليعة المبدأ الاشتراكي بمعناه الصحيح السليم .

انها تُعطىَ عفوياً من غير مِنّه . وانها تعمق انسانية الإنسان ، فتشدهُ إلى جماعته حيث تترابط المشاعر وينعدم الاستشراء .

الصوم :

ان الصوم عند الاسلام مستحب في كل وقت لانه خضوع تلقائي لله ، ودرع لصيانة العفاف ، في حال التبتل ، وصقل للنفس كي تتحسَّس معاناة المحرومين .

اما فريضة الصوم فهي صوم شهر رمضان بكامله ، وقد خُصَّ رمضان دون سواه لأن فيه أُنزل القرآن على الرسول واول نزوله ليلة القَدْرِ ، في أواخر ايامه .

والصوم يعني الإمساك عن الطعام والشراب ، والابتعاد عن كل إثمٍ قولاً وعملاً . مدة الصوم اليومية من الفجر الى الغروب الكامل .

الحجّ :

الحج هو ان يؤم المسلم بيت الله الحرام ، وان يؤدي مراسيمه المختلفة ، ويكون ذلك قبيل عيد (الأضحى) من كل عام ، اي في الايام العشرة الاولى من شهر ذي الحجة . انه فريضة لمن يستطيع اليه سبيلا . وموعد الوقفة على جبل عرفات بجوار الكعبة في التاسع من الشهر نفسه .

مناسك الحج :

هناك مناسك بالغـةُ الدقـة في شعائـرها الـدينية ، تبـدأ في الاحرام ، اي في غسـل الجسم ، وارتداء ملابس بيضاء بسيطة ناصعة ، يعقبهـا ترديـد هتاف : لَبَّيـكَ . . لَبيك رمزاً للخضوع والامتثال بين يـدي الله . ويلازم كـل حاج حـالة هـذا الأحرام حتى يحـين موعد تـأدية الـذبيحة ، وعـادةً تكون ضحيـة خروف ، احتفـالاً بذكـرى ذبيحة ابـراهيم الخليل ،على جبل عرفات ، وفي مكان معين يسمى(مِنى) .

وقبل تقديم الضحيـة ، على الحجيـج أن يقف على جبـل عرفـات : جبل الـرحمة ، جمـاعات جمـاعات ، يستنـزلون الـرحمة عـلى الحجاج أنفسهـم ، وعـلى كـل غـائب ينـادى باسمه ، وعلى الأمة الاسلامية جمعاء .

هناك تكليف بيِّن للفرد ، ولكنه يضمر معاني اجتماعية وسياسية جليلة الاهـداف ، منها الترابط الوثيق بين الامة على اختلاف جنسياتها واهوائها الزمنية .

وقد حرم الاسلام على غير المسلمين ارتيـاد مناطق الحـج المقدسـة في مكة ، كـما في المدينة وضواحيها . وليست هـذه بدعـةً في الاسلام ، ولا هي تعصُّب صـارخ ، اذ يشهد التاريخ ان الهيكـل في المقدس كـان محرمـا حتى على اليهـود انفسهم ، وعلى أحبـارهم . لا يدخلونه الا مرة في السنة . كذلك في المسيحية ، فإن المناطق المختصة بالتبتُّل تحـرمت على الرجال ، كما تحرم سواها على النساء . وهناك جبل (أتـوس) في اليونـان ، المقر الـرئيسي للكهنـوت المسيحي الشـرقي ، فقـد حُـرم ان تـدخله ايـة انثى من النـاس والحيـوان . وبالاختصار فإن التقيَّة قـد رافقت كل الحضـارات ، باشكـال مختلفة ، وانها ظـاهرة دينيـة اثبتها التاريخ منذ الفرعونية الاولى . اثبتها فكـرياً وروحيـاً ،، وعـلى أُسسها ارتفـع صرح الباطنية في العالم ، كما اثبتها ماديا قبل الديانات السماوية الظاهـرة ، وبها بـالذات ، عـلى ضوء ما اشرنا اليه آنفا .

الجهاد في الاسلام :

هذه الدعوة التي اطلقها وطلب الاستجابة لها الاسلام هي : الجهاد .

كان الجهاد في عصر النبي وفي بيئتـه بالـذات : بالسيف والـرمح والنشـاب ، وكان فرض السلطة من متوجبات ذلك العهد ، في نزوته الثورية الكاسحة .

لـذا فقد زعم بعضهم ان الاسـلام دين السيف والعنف . والحقيقة غـير ذلك ، لمن اراد ان يستوضحها على ضوء دراساته للوضع ومتطلباته .

إن التاريخ لأكبر وخير شـاهد عـلى أن ما من ديـانة كـبرى ترسخت واستقـرت ، إلا رافقها العديد من المواقف الضاريـة عن حق او عن نَزْوِ الأنانية الحمقـاء . وقد وقفنـا عند هـذه المؤشرات في حينها لدى تناولنا دراسة كل دين منفرداً .

ما كان الاسلام داعيا الى الجهاد ، لولا البيئة القائمة على الغزوات ، وعلى استثمـار الأقوياء للضعفاء، وعلى جنـوح الممالـك المجاورة، إلى ضـروب المخزيـات، وعلى ضيـاع العدالة من مِنصّة القضاة ، وعلى ضراءِ الروح الفردية في الانسان .

فجـاء الاسلام ومَنـع الغزو والاستثمـار داعياً الى الفضيلة والعـدالة ، وربط الفـرد بالجماعة ، مُوقظاً فيه الضميرَ الوازع

كان الجهاد فرضاً جمـاعياً ، حـدَّ من عنف هذا الفـرد ، ومن نزقه وجُموحِ اهـوائه ، وقيده بحكم الدولة وحدهـا . فغدا الجهاد خطوة قـانونيـة تجاه إحـلال السلام في الفتـوح الاسلامية ، وفي العلاقات الدولية وقد ترك هذا العنف للسلطة الشرعية وحدها ، مقتصراً على اسمى الغايات وهي الدفاع عن المستضعَفين ، وتأثيل العدالة بين الكافة ولجم مطامع الفرد وتعدِّياته ، في اختلاف طبائعه وعاداته . ان الجهاد في الاسـلام هو الإصـاخة التـام لمشـيئة الله وتبسُّط الاسلام .

الفصل الثالث

الانقسام في الاسلام

إن القربى الجسدية والروحية التي تربط الامام عليّاً بالرسول، والجهاد الجبار الدائب الذي قام به علي في سبيل توطيد الاسلام ، حفـزه لطلب الخِـلافة بعـد ابي بكر وعمـر بن الخـطاب . سبَّب هذا الحـافز ثـوراتٍ وأضغانـاً بين المسلمين. أدى الى مقتل عـلي غيلةً في المسجـد ، والى أستئثارِ عثمـان بالخـلافة والى مقتـل ابناء الامـام في كربـلاء عام (٦٨٠) ميلادي .

وقامت الخوارج ، وهُم الجماعة الذين رفضوا امر التحكيم في حقِّ الخلافة بين عـلي

وعثمان ، قاموا على الدولة العباسية في الحجاز والعراق . وكانت العلوية ثم القرامطة بعد الاسماعيلية السبعيّة والاثني عشرية ، ثم كانت الفاطمية حيث انبثق المذهب التوحيدي الدرزي ، وكانت المتصوفة والبابكية والزيدية وعشرات الفرق . مرجعها كلها الاسلام ، لكنها تأثرت بتيارات فكرية روحية متنوعة منها : الغَنوصية ، والفيثاغورية والهِرْمسية ، وسواها مِمَّن سنُلم بدراستها في بحوثنا اللاحقة . على ان هذه الفرق على تعددها ، تؤمن باِله واحد احد وبِمُحمدٍ رسولا ، كما يؤمن بعضها بِنور الامامة الذي يعايش العباد ليهديها ، ويرتِّب مسارها ، ويتمّ على يده بعثُها ومُقاضاتها .

السّنة في الاسلام :

على رغم ما حدث من تقاتل بين السُنة والشيعة فإن الايمان الواحد المشترك بما أنزل الله في كتابه ، لبث الرباط الوثيق ، بين كلّ مسلم على اختلاف مذاهبه ، شيعياً كان ام سنياً . وكلمة : السُنّة تشير الى ما ثَبتَ عن النبي من قول وفعل او من تقرير . لصيانةِ العقيدة والمحافظة على لمِّ شمل المسلمين . لجأ الفقهاء السنِّيون الى التشريع . ادى هذا التشريع الى نشوء مذاهبَ ذات جذور واحدة ، وهي اربعة : القرآن والسنة والقياس والإجماع واهمها القرآن ، تفسره وتكمله السُنَّة ، التي تشمل تعاليم النبي ، التي لم ترد في كتاب الله ، قولاً كانت او عملا . اما الاحاديث النبوية فقد حرص الفقهاء على توثيق سلسلة اسنادها حفاظا على سلامة المتن ، وصدق الرواية .

القرآن دستور حياة :

نزل القرآن في بيئة ، قضى عليها الوضع الجغرافي والحياتي ، ان تكون شبه معزولةٍ عن الحضارات التي سطعت منائرها في عربِ الجزيرة وشرقها . فعاشت الجزيرة العربية في شبه عزلة أحقاباً طوالاً لولا النشاط التجاري وبعض المبشرين .

ما كان القرآن رسالة دين روحيّ وحسب ، ولا كان ليقنع بأن يجعل معتنقيه عبَّاداً للرحمن ، رُكَّعاً خُشَّعا ، متبتِّلين قانتين وحسب ، بل هداهم الى صراط مستقيم في الدنيا ، لينعموا بطيباتها ، وليكونوا عنصراً بنَّاءً لحضارة تألقت في العالمين ، وعاشت اجيالاً ، واستمرت .

واثباتاً للحقيقة ، فإنها اتخذت من آيات الكتاب أدِلَّةً تفرض على كل مسلم صادق

ان يعتنق مضمونها ، وان يعمل بمقتضاه في حياته اليومية ، وصولاً بالانسان المتخلّف الى ذروة الحضارة . وما التخلف الحاضر الا لجنوح عن الايمان .

وهذه بعض الآيات نزلت مشيرة الى تخلفٍ إجتماعي وجبت معالجته ، كان اولها الحث على تعاليم النبيين وعلى توحيد الله . قال :

١ ـ ﴿ امن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ (سورة البقرة) .

اوضح الخالق المساواة لديه بين الرسل اولا ، ثم طلب ان يؤمن المسلم بهم ، اعني ان يحذو حذوهم ، ويتقبل نصائحهم . وهل جاءت الرسل ، على انواعها واختلاف بيئاتها ، الا لتعزيز المكارم بين الناس ؟

٢ ـ ﴿ وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدَين إحساناً ، إمّا يبلغنَّ عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقلْ لهما أوفٍّ ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفِضْ لهُما جَناح الذل من الرحمة وقُلْ : رَبِّ ارحمْهُما كما ربيَّاني صغيراً ﴾ (الاسراء) .

هل انعم وابلغ من هذا الحث على تكريم الوالدَين وخاصة في شيخوختهما ؟ . أَوَ ليس الانسان بعقله يتصرف . ومتى رجح العقل حسن التصرف . فلنقرأ ميزة العقل عند النبي الكريم : قالت احاديث صحيحة :

٣ ـ « ما تم إيمانُ عبدٍ ولا استقام دينه حتى يكمل عقله ـ دعامة المؤمن عقله ـ أول ما خلق الله العقل ، فقال له اقبل فأقبل ، وقال له ادبر فأدبر . . ما خلقتُ خلقاً اكرمَ عليَّ منك » .

وما كان لعرب البادية دولة قبل الاسلام ، ولا انظمة قوية ، ولا كانت الدول المُحاذِية للجزيرة من فرس وبيزنطيين لتعتمد العدل والحق على زعمهم ، في تشريعاتها فجاء القرآن معرفا بالطريق السوي في الحكم قال :

٤ ـ ﴿ وأمرهم شورى بينهم . . وشاورهم في الأمر ﴾ (الشورى ، آل عمران) .

وقد شاع بين العامة ، بتصعيد اصوات مغرضة ، ان الاسلام قام بالسيف فلنسمع القرآن :

٥ ـ ﴿ لا إكراهَ في الدين . . . أُدعُ إلى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادِلْهُم بالتي هي احسن . . . وقُلْ للذين أوتوا الكتاب والأميين : أأسلمتمْ ، فأن اسْلموا فقد اهتدوا ، وان تولَّوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد ﴾ . (آل عمران) .

٦ ـ ﴿ أن تبرُّوهم وتُقسِطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ﴾ (الممتحنة) .

فالقسط هو العدل ، وهذه آية مع كثير غيرها تشير الى وجوب احياء العدالة في الاحكام . الم نسمع عمر بن الخطاب الخليفة الثاني للمسلمين ، ينذر المسؤولين بهذه العبارة الرائعة :

٧ ـ متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟

أليس الاستِعبادُ من الأنظمة المستساغةِ ، في ارقى دول العالم الغربيِّ ، حتى اليوم . هل تذكَّر هؤلاء عبارة عمر ، فمارسوها في مدنياتهم الزاهية ؟؟

وكان الرق شائعاً في كل دول العالم ، وحضاراتها : شرقا وغربا ، منذ تجمع الانسان في قبائل ودول .

هل جاء دين مشيراً الى الرق ، داعياً الى ابطاله ؟ وان لم يشر القرآن إلى تحرير الرقيق ؛ بالمعنى الصريح فقد ألمح اليه بقوله :

٨ ـ إطعام عشرة مساكين . . او تحرير رَقَبة ﴾ . (المائدة) .

والآيات القصيرة الآتية ستظل بسمة رِفقٍ ومحبة على شفاه الانسانية :

٩ ـ ﴿ . . . ولسوف يعطيك ربك فترضى ، الم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى ؟ فأما اليتيم فلا تقهر ، واما السائل فلا تنهر ، واما بنعمة ربك فحدِّث . ﴾ (الضحى)

١٠ ـ ﴿ مَثَلُ الذين يُنفقون . . كمثل حبَّةٍ انبتتْ سبع سنابل في كل سنبلة مئةُ حبَّة ﴾ (البقرة)

لم تُعتمد هذه الآيات للدلالة على شمولية القرآن وأصالته ، فذلك لا يقبل دليلاً ، إنما الذي حدا بي للإشارة اليها ، اعتصام كل الفرق السنّية ، والشيعيَّة بالقرآن ، والتفافها حوله هالةً بارزة رافقت وترافق الاجيال لانه دستورُ ـ دنيا ودين .

الفصل الرابع
المذاهب السنية

للسُنة اربعة مذاهب تجمع العالم الاسلامي السنّي شرقاً وغرباً ، هذا مضمونها :

أ ـ **المذهب الحنفي** : وهو مذهب أهل الكوفة اسسه الفقيه الفارسي الاصل أبو حنيفة . يقول هذا المذهب بالقياس كما يقبل الاستحسان يعني جواز اختيار أوفق الحلول . انتشر هذا المذهب في الشرق الاقصى والادنى وتركيا .

ب ـ **المذهب المالكي** : وهو مذهب اهل الحديث (اهل المدينة) رعاه القاضي المشهور (مالك بن أنس). يقول بمبدأ الاستصلاح ، اي وضع مصلحة الامة في الاعتبار ، حين يكون ظاهر السُنة مخالفا لها . كما انه يقبل الرأي اذا كان هنالك اجماع من علماء المدينة .

ج ـ **المذهب الشافعي** : مؤسسه الامام الشافعي يصر على عدم مخالفة القرآن والسنة ، والقياس والاجماع ، وكان يقيد الرأي وهو يعترف بمبدأ الواقعية العمليّة . وقد اعتقد بكرامات الاولياء الصالحين وابطل الاستحسان ، كما انه توجه الى الاولياء بالابتهال والدعاء .

اكثر ما انتشر هذا المذهب في اواسط افريقيا بما فيها مصر السفلى ، وفي أندونيسيا

د ـ **المذهب الحنبلي** : رأسه المصلح ابن حنبل اعتمده الوهّابيون في شبه الجزيرة العربية ، وهو يدعو الى العودة للقرآن والسُنة ، الينبوعَين الأصيلينَ في الإسلام. ولا يعمل بالرأي الا عند الضرورة القصوى متخذاً لهُ قدوة فضلى : « السلف الصالح ».

وهناك أحوال مُستجدَّة يبتُّ فيها مفتي المنطقة او المدينة . على ان النهضة الحديثة التي كان اجل روادها الامام الشيخ (محمد عبده) اعادت فتح باب الاجتهاد ، عاملةً على الحد من الفروق التي تباعد هذه المذاهب في سبيل العودة الى الارومة الأم . أيَّد رأيه جمهرة من مشايخ الأزهر التقاة .

وهذه ومضةُ طرفٍ على المحتوى الاجتماعي للقرآن ، توكده بعض آياته ، وليس من غضاضةٍ على أي دين ، اذا كان قديم المنهج ، وصادقاً في انسانيته ، لكن أتباعه اكتفوا

من جوهره بترديد آياته ، والاسراف في ترديدها ووقفوا عنده لم يعتمدوا الجوهر .

في ما يلي بعض الآيات المعبِّرة ، حسبنا بها شاهداً على اصالة القرآن :

أ ـ قال في المساواة : ﴿ **ايها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لِتعارَفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم** ﴾. (الحجرات آية ١٣).

ب ـ وفي العدالة : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، ان تبرُّوهم وتَقسَّطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين** ﴾ . (الممتحنة آية ٨).

ج ـ وفي الرحمة : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضُّوا من حولك ، فاعفُ عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم في الامر** ﴾. (آل عمران آية ١٥٩) .

د ـ وألمح الى الرق : ﴿ **لا يواخَذكم الله باللَّغوِ في إيمانكم فكفَّارةٌ إطعام عشرةَ مساكينَ من أوسط ما تطعمون اهليكم ، أو كسوتهم او تحريرُ رقبة** ﴾. المائدة/٨٩).

هـ ـ وفي الزواج : ﴿ **وان خفتم ألَّا تقسطوا في اليتامى . . فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنىً وثلاث ورباع ، فأن خفتم الا تعدلوا فواحدة** ﴾. (سورة النساء) ثم أكمل : ﴿**ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء** ﴾. وقال : ﴿ **ان الثيِّبَ أحقُّ بنفسها من وليّها ، والبكر تستأمر واذنها سكوتها** ﴾ .

بهذا شرعَ الاسلام ، في بيئةٍ هَيمَن عليها التخلُّف ، في أبعد مضامينه .

الفصل الخامس

الجدل في الاسلام

ان الفقه في الاسلام هو علوم الشريعة ، بدراسة كلام الله ، ومحاولة تفسير الآيات على ضوء الحديث الشريف ، وتضلّع الفقهاء من الدين . وعِلمُ الكلام هو الجانب الجدَلي والعقلي للفكر الديني ، كما كان الجانب الدفاعي ، حين استشرى الفكر اليوناني خاصة بعد وفرة التراجم .

تولدت عن هذا الجدل ، تيارات متباينة ، رافقت نزوات المذاهب الشيعية المتعددة . كانت « القدرية » وهي حريّة اختيار الفرد في تصرفاته . وكانت (المُرجئة) وهي

التسليم لله وترك الحكم على العمل إلى حين يشاء .

اما « المعتزلة » فكان لها دور خطير ، في عهد الخليفة المأمون الذي آزرها .

وخالفت حتميَّة «الجبرية» التي رعتها الحكومة، للاستئثار بالسلطة وكان هدفها الدفاع عن التوحيد والعدالة الاجتماعية ، والرد على نظريات : التشبيه والتجسّد ، التي شاعت في أوساط السُّنَّة بعد تلك التراجم . كانوا يؤمنون بخلق القرآن وبأن الانسان حر بأعماله ، وهو الخالق لها .

وكانت تناهض هذه المدرسة : مدرسة الأشعريّ (بغداد) التي تنتمي الى الشافعية ، ومدرسة الماتريديّ (سمرقند) العائدة الى الحنفيَّة . وكان هذا في نهاية النصف الاول للقرن العاشر الميلادي .

قالت الاشاعرة بالجوهرية الشاملة ، اعني بتدخل الله المباشر في كل حدث . وكان بعضهم يرفض الاعترافَ بالسببيَّة ، وبقدرة المخلوقات على التصرف الفردي ، فنجم عن ذلك بعض التحجر لوقف الاجتهاد . وهناك الصوفية على أنواعها : بلباسها وتقشفها وافكارها المستوردة والمنبثقة عن الاسلام . غير ان هذه الصوفية لم تمسَّ التوحيد في شيء بل عمَّقتهُ بشكل أو بآخر رغم ما صدر عنها من شطحات غير مألوفة . ولنا وقفة مع التصوف وفنونه وروَّاده في بحث لاحق .

ومن الفرق المتعددة التي ظهرت هنا وهناك ضمن العالم الاسلامي، ما سنُورده لاحقا مكتفين بالتلميح اليه وتعريفه ، اختصارا للوقت ، وضالّة للفائدة التاريخية التي يحويها الموضوع :

١ ـ اليزيدية : فرقة في الاسلام قدست الشيخ (عديّ) زاعمة انه يتحمل عنهم الصلاة ، منهم من يرى في (عديّ) إلها ، ومنهم مستشاراً لله ، وبعضهم انسانا فوق الانبياء . يؤمنون برؤية الشيطان المدعو (طاوس ملك) وهو بكر الخليفة ، كما يؤمنون بالملائكة ، وبأمكانية رؤيتها . ولنا كلمة عن اليزيدية والشيطان لاحقاً .

يعتقد هؤلاء بالتقمص على الشكل التالي : لدى وفاة الشيوخ اليزيدية تتقمص أرواحهم في الملائكة كما ان الملائكة يتقمصون بعد الموت شيوخا فيهم .

الشبكيَّة : آمن هؤلاء بأقنوم ثلاثي يحمل : الله ومحمدا وعليا ، ورمزوا اليه بالشكل

(أ ـ م ـ ع) وهذا المثلث مرده إلى إلهٍ واحد .

٢ ـ **الماخوسية** : انها من الفرق الاسلامية العَلويَّـة المغاليـة ، التي آمنت بان الشيـخ (حسن جبريل) هو الذي أوحى للرسل ، وهو مُلهِم الفلاسفة ، وانه حي خالد . هو في رأيهم هيولَى العالم ، وواهب الصور

اعتقدت الماخوسية بالتقمص على الطريقة الهندية القـديمة ، واعني امكـانية انتقـال روح الانســان إلى حيـوان ونبـات وجماد. وسمي ذلــك التقمص بـ (الفسـخ والنسـخ والرَسخ) كما انهم آمنوا بروئية الثـالوث : عـلي ، سلمان محمـد (ع ـ س ـ م) يعود هـذا الترتيب في الأعلام لِمرتبةِ كلٍّ منهم ، برأيهم .

٣ ـ **المرجئة** : تؤمن هـذه الفرقـة من الاسلام ، بـان الايمان الصحيـحَ معـرفـةُ الله بـالقلب ، وليس فعلا بـاللسان ، ولا عمـلا بالبـدن . المقصود من ذلـك وجوب تـرسيـخ الايمان بالجوارح قبل العقل ، واستحواذه على مشاعر المرء كـافة استحـواذاً يمتلكها كلهـا . ويغني عن الصلوات والتوسلات ، وعن الفرائض العامَّة في الاسلام . ولقد لُقِّبوا بالمرجئـة لاعتقادهم بأن ما يفعله الانسان من صـالح العمـل ، أو من شرِّه ، انما يحتفظ بالحسـاب عليه كله ، الى يوم البعث ، لأن الله هو الذي يدين الخُطاة لا سواه .

٤ ـ **[illegible]** : هي فـرقة الاسـلام العَلَوي المغـالي . زعم بعضهم في الامـام عـلي مزاعم شتى . منهم من اعتبـره الله ذاته . ومنهم مَن نادى به ألها تجلى بشرا سـويا ، شـأن يسـوع المسيح ، وزعم بعض انـه لم يمت ، بل نـزل السحـاب ، يـراقب اعمـال البشر . وبعضهم يزعم انه سيعود قبل يوم القيامة ، هو واصحـابه ، منـادين باعتنـاق الفضائـل . وتعـظيم اهل البيت وإجـلالهم. وجَمحَ في بعضهم الخيـال، إلى القول، بـأنه تلقى بنفسه علم الـرسول ، فـأضاف اليـه وفسر آيـات الكتـاب التفسـير الصحيـح ، ولقنّـه الى نسله بالتوارث .

أ ـ **المعطّلة** : موقف هذه الفرقة مغاير للاسلام ، ولكل دين سماوي . لا ترى دورا لله في هذا الكون . فلا هو خالق ، ولا محاسب على الاعمال . ومع رؤيتها الاشيـاء كائنـة من غير تكوين، ولا مُكوِّن لها، ترى الخلق بمنزلة النبات، يمر على الحياة مرور الطيف، أو

هو قبسة مضيئة لحين . متى مات مات كل شيء فيه ، يعنون بذلك ان الانسان بروحه : شمعة وانطفأت .

ب ـ الحُلوليّة : لهذه الفرقة العلوية رآي غريب. قالت: بعث الله برسالته إلى البشر مع الملاك (جبريل) فساء فهمه هذا، ونقلها إلى محمد بدلاً من علي المرسلة إليه. وظل (علي) الخليفة بعد (محمد)، ولا سواه خليفة بعد الرسول .

وفي التَعمُّق بمضمون الآيات الكريمة توصل الباحثون المنفتحون الى ابعاد تفسيراتها والى عمق توافقها مع تطلُّعات علماء الغرب البارزين . ماذا قيل :

في فصل الإسلام السنة

نشرت مجلة الفكر الإسلامي : (بيروت أيلول سنة ١٩٨٧) مقالا للاستاد حافظ إبراهيم أدهم ، متنصِّلة من مضمونه ، نوجزه لما يتضمَّن من أبعاد ، وإشراع منافذ على علم الروح . قال : لكل زمان تفسيره ، ولكل عصرٍ تصوّره ، وتفسيري للآية : ﴿ لَتركَبُنَّ طَبَقاً عن طبق ﴾ هو : لَتركبّن سماء عن سماء ، أي أن الروح بعد الوفاة تنتقل صعداً ، حتى صفائها . وقد اعتمد الكاتب هذه الآية (١٥) من سورة الرعد : ﴿ ولله يسجد مَن في السموات والأرض طَوعاً وكُرهاً وظِلالُهم بالغُدُوِّ والآصال ﴾ مع كثير غيرها ، تثبت كلها وجودَ مخلوقات . عاقلة في العُلى ، تحتضن أرواحهم .

وأشار الأستاذ إلى أن (يوحنّا المعمدان في الأصحاح) « ١٢ » قال : إفرحي أيتها السموات والساكنون فيها . . . وقال بولس الرسول إلى أهل (كورنتوس) في الإصحاح « ١٥ » : « يا غَبيُّ ، الذي تزرعه لا يحيا إن لم يَمُتْ . . لستَ تزرع الجسمَ . . بل حبَّةً مجردة ، والله يعطيها جسماً » .

وأضاف : هوذا سِرٌّ أقوله لكم ، لا نرقد كلنا ، وكلنا نتغير ..

بهذا استخلص المؤلف وجود كائنات ذات أرواح في الفضاء البعيد . ولم يغفل مصير الروح بعض فلاسفة العرب . قال الغزالي : « الروح لا تفني ولا تموت بل تتبدل بالموت

حالها ، ويتبدل منزلها فترتقي من منزل إلى منزل . . » وأجاب الإمام (جعفر الصادق) عن مصير البشر : « يجعل لهم (الله) بعد الموت قالبًا كقالبهم في الدنيا . . . وهذا القالب يصحبهُم الى يوم البعث » . ونطق القرآن ﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يحييكم إلى يوم القيامة . . . ﴾ وقال الشيخ طنطاوي جوهري ، شيخ الأزهر سابقاً في كتابه الجواهر في تفسير القرآن الكريم : عندما استحضروا روح العالم (غليلو) أفادت هي أن العوالم العُلوية مسكونة ، وفيها حياة وموت ونظام لا يعقله أهل الأرض » . يتّضحُ مما تقدَّمَ أن الموتَ رقادٌ تعقبه يقظة ، وحياة أرقى لِمن أحسن عملاً . وسوء مصير للضالين .

ثم أسند الأستاذ أدهم مقاله بكلامٍ للعلّامة الروحي المعاصر : « أرثر منذلاي » موجزه : يشبهُ عالمِ السماء (الأثيريّ) عالمنا هذا ، في معظم الوجوه ، ولكنّ السائد والمميِّز فيه قاعدتان : الخِدمة العامة ، ومحبة جميع الناس » . مركزاً على كلمة جميع الناس . أما البرزخ الذي حدّثنا عنه الكتاب فهو المُهلة المعطاة للخاطين ليثوبوا إلى الرشد والبراءة والصفاء .

بهذه الصراحة بل الجرأة ، نادى الأستاذ أدهم ، وكأنه توقّع الردود العنيفة من المُلتزمين بالتفسيرات المُغايرة لهذه الأفكار . أما إثباتنا لها فلما تبينّ منها من أدلّةٍ تدعم علم الروح الحديث ، الذي يعتنقه جمهرةٌ كبيرة من فلاسفة ، وعلماءِ فلكٍ وفيزياء ونفس ، في الأميركتين وأوربّا وبعض الدول النامية .

الفصل السادس

ظاهرات ما بعد الطبيعة في الإسلام وصلتها به

نزل القرآن دستور دين ودنيا . نادى بتوحيد الخالق وتنزيهه وتعاليمه والمع الى الملائكة والجن والانبياء حتى خاتمهم : الرسول العربي محمد بن عبدالله . فقصَّ عنهم الاخبار ، وروى الاحداث ، بدأً من آدم فنوح فلوط فابراهيم الخ . وسنقف عند هذه الاخبار في فصل خاص من البحث . ثم تناول القرآن الافلاك والروح البشرية والمعاد والجنة والجحيم . كما تناول المجتمع البشري بجنسَيه ، واختطَّ له صراطا قويما ، وألزمه بفرائض المحنا إليها بايجاز .

لقد وقف الفكر البشري ، غداة ازداد تطورا ، وترسخ معارف ووعياً ، وقف مكتوفا ازاء هذا الخضم الزاخر مادةً وروحاً رَدْحاً من الزمن ، ثم عقب سكونه واستسلامه المطلق ، انطلاق خيِّر بَنّاء ، وتطلعات روحية بعيدة المدى ، كان قد غفل عنها السَلَف الاولون .

حدث هذا الانطلاق الفكري بعد التعمُّد في الافكار التي بذرتها المدارس الفلسفية المختلفة ، من توحيدية ومطلقة ، في (انطاكيا والاسكندرية وجند يسابور) وسواها . متناولة الكون بأجمعه ، والروح البشرية ومولدها ومصيرها ، بشكل واسع ودقيق .

لم يتقهقر الفكر الفلسفي الاسلامي ازاء هذا الانطلاق الجارف ، بل صمد يقرع الحجة بالحجة ويأتي بالبراهين والبينات ، من آيات الكتاب الكريم ، بعد ان تنّبه الفقهاء والفلاسفة المؤمنون ، واقبلوا على تفسير ما رمزت اليه كل آية فأوَّلوه فكان فصلاً .

وليست المذاهب المختلفة في الاسلام ، الا جداول متواضعة ، تتدفق وتتدفق ، لِتصبَّ أخيراً في الخضم الأم : في حضن التوحيد .

ان هذه الرحابة لمصدر الاسلام ، وذلك النشاط المتواصل لِمُناهضيه ومُؤيديهِ ، أوجب حدوث بعض الفجوات بين فكر وآخر ، واثار نزوات بعض المفكرين عن غرض في النفس ، أو عن ايمان صادق ، آثارها كانت لتبرئة بعض المعتقدات رصينةً كانت أم طائشة ، استكمالاً لمقتضى الايمان .

واننا ، حرصا منا على صحة ما نحقق ، وتنزيها للكلمة عن الهوى والعبث ، اعتمدنا بعضا من دكاترة الفُقه الاسلامي وشيوخه في تفسير بعض المغيبات التي يؤمن بها سواد المسلمين . كانت الأجوبة في اغلبها متوافقة . و نحن نوردها بحرفية الجواب :

قال الدكتور الشيخ صبحي الصالح لدى سؤاله عن قِدَم الإنسانِ :

١ ـ ﴿ **هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً** ﴾ (سورة الدهر) .

٢ ـ **وعنْ عالم البرزخ قال** : أنه القبر ولا منكرٌ فيهِ ولا نكير ، إنما تبقى الروح ضمنه حتى البعث . شأن اليهودية والشهود .

٣ ـ **وعنْ الجنة والنار قال** : «تفنى النار بأهلها بعد احقاب ، وتبقى الجنة ، فهي خلود ابدي ، وعطاء غير محدود » .

٤ ـ **وعن الملائكة والجن أجاب** : الملائكة مخلوقات نورانية مبثوثة في الكون ، خاضعة لامر الله . والجنُّ خلق من مارج من نار .

٥ ـ **والشياطين ؟** : « انهم جنود ابليس ، وهي خلق غيبيٌّ ذو قوى داعية للشر » .

٦ ـ **والقمر ؟** : ﴿ **والقمر قدَّ رنْاه منازلَ حتى عاد كالعرجون القديم** ﴾ . (ياسين) .

٧ ـ **ويوم القيامة ؟؟** : « يومها لم يعد يُعرف سماء ولا أرض ، كل شيء يتبدل بآخرَ في الكون فلا يعرف أين القيامة ولا أين الجنة والنار » ثم أردف الدكتور ، مركزاً دائماً على آيات الله .

« أما الاجسام البشرية فتعود لحالها ، تحمل الارواح ، لتحاسب معها » . وختم كلامه متمنياً على ألاَّ يُنشر عن الاسلام الا حقيقته التي هي وليدة العقل السليم الراجح .

وهذا رأي الدكتور الشيخ مصطفى الرافعي مجيباً على أسئلتي :

١ ـ **مَن آدم ؟** احد كبار الملائكة اختاره الله مع حواء لينسُلا البشرية ويُسبِّحونه .

٢ ـ **والملائكة ؟** كائنات نورانية ولعلها أجساد اثيرية او شبيهةٌ بالاثير ، تزخر بعدِّها السموات . لا امرة لها على الانسان انما تكتب الحسنات والسيئات . .

٣ ـ **والجن ؟** « هي مخلوقات غير مرئية من نار ، شريرٌ بعضها والآخر صالح » .

٤ ـ **وابليس ؟** « كان من كبار الملائكة لكنه لم يسجد لآدم استكبارا وفسق عن امر ربِّه » .

٥ ـ **ويوم الدين (البعث) ؟** « أحيط به تهاويل ودكّ جبال ورموز ، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله » .

٦ ـ **والجنة والنار ؟** « الجنة لها مَفاتن حسِّية ثم روحية لا يرقى اليها حس ، والنار : غُصص الآمٍ نفسية مبرِّحة لا تُحد » .

٧ ـ **والفضاء ؟** « لا يمنع وجود كائنات في الكواكب ـ اما القمر ـ فكرر الآية السالفة » .

وانهى الدكتور حديثه قائلا : يقول الاسلام : الجسم من تراب . والنفس من نار ، والروح من نور ثم أضاف : ﴿ **وفوق كل ذي علم عليم** ﴾ .

على إني لم أنقعْ كامل غليلي فعدتُ مُختلياً بالفقيه الشيخ عبد القادر الزعبي خرِّيج الأزهر الشريف ، فأطلت الأسئلة عليه ، مما اضطرته أن يعتذر عن بعض الأجوبة وأن

يجيبني عليها خطياً بعد أيام ، وأجاب : اذكرها حرفياً بعد اهمال الأجوبة المتوافقة بينه وبين زميليه السابقين .

١ ـ ما الملائكة ؟ اضاف الى السابق : «انها لا تتوالد وليس فيها جنس وهي لا تحاسب حيث لا يصدر عنها الا طاعة الله والعمل الصالح ، وهم مدبرو امور السماوات السبع بأمر من ربهم . « **الجن ؟** : « هي نار وتحاسب » .

٢ ـ وجبريل ؟ : « أحد كبار الملائكة أنزل من الله الكتب السماوية كلها ولم توكل هذه المهَمّة الا إليه » .

٣ ـ وهُبل ؟ : صنم امتاز عن سواه في انه على شكل انسان ، من العقيق الاحمر ، كان في جوف الكعبة قبل الاسلام ، واكتسب تعظيم كل قبائل العرب .

٤ ـ والحجر الاسود ؟ : « اصله ياقوتة من الجنة ، وقال بعضهم اصله حجر أسود ، وقد أمر الله الملائكة ان تنزله على الارض . وقيل ان لونه قد تغيَّر لكثرة ملامسته بأكف الجاهليين » .

٥ ـ والبيت المعمور ؟ : « انه مكان في السماء تطوف فيه الملائكة ، وقد امر الله ابراهيم واسماعيل ان يبنيا بيتا مشابها له وطاهراً مثله ، عند الحجر الاسود ، سُمِّي : الكعبة » .

٦ ـ والبُراق ؟ : « انه دابَّة كانت تحمل عليها الانبياء ، وقد جاء بها جبريل الى رسول الله ليلة أُسرى بمحمد مِنَ المسجد الحرام في مكة ، الى المسجد الاقصى في القدس » .

٧ ـ والميزان ؟ : « اتجه فريق من الفقهاء وخاصة المعتزلة بان المقصود من الميزان عدل الله التام الثابت » .

٨ ـ والكواكب ؟ : « ليس في الكون مِن أراضيَ غير أَرضنا يسكنها بشرٌ او ارواح يجري عليها حساب عند الله . ويجري الحساب على ارضنا وبوقتٍ واحد ولجميع الخلائق » .

٩ ـ وميزة الرسالة المحمدية ؟ : **﴿ انما مَثَلي وَمَثَلُ جميع الانبياء الذين من قبلي . بيتٌ بُنِيَ الا موضع لِبَنَةٍ واحدة ، فأَنا اللَّبِنَةُ وأنا خاتَم النبيين ﴾** . (كلام الله) .

١٠ ـ ودعوة التوحيد ؟؟ : « اذا قامت القيامة وكان هناك اناس لم تصلهم دعوة التوحيد ، فان مصيرهم عند الله انهم لا يعذَّبون بل يدخلون الجنة ، كالطفل الذي لا

يعي يوم القيامة ، حتى اطفال المشركين ، ومثلهم فاقدو العقل ، لان الفطرة تعني التوحيد الخالص ». ذلك ما قال به جمهور من علماء السُنة .

١١ ـ وعلم الغَيب ؟ : « في الاسلام لا يعلم الغيب الا الله . انما هناك جماعة تناهى بهم الاخلاص وتقوى الله » فتتهيّأ لهم ومضات منه .

وغبُّ الطلب أوجز لنا الفقيه الازهري الاستاذ محمد خالد سعيد الزعبي ، الأجوبة التالية حول الإسلام ومضمونه قال :

أ ـ « بلى ، للقرآن ظاهر وباطن . وهذا الفيلسوف (ابن رشد) يؤكد ضرورة التأويل ، وانه لا يمكن ان تؤخذ النصوص الدينية كلها على الظاهر ، بل ، يجب النظر في باطنها لأن الظاهر للشعب ، والباطن للحكماء . ولا يمكن ان يعرف الباطن الا بالتأويل ، وتؤكد ذلك الآية : ﴿ **ولا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ، وان الذين يحق لهم التأويل ، هم اهل البُرهان** ﴾ . ويضيف ابن رشد : بين الشريعة والفلسفة صلة وثيقة ، فهما يدعوان الى الحق ، والحق لا يضادُّ الحق .

ب ـ اما الجنة والنار فهناك آيات صريحة تقول : ﴿ **ذوقوا عذاب الخلد ، وفي النار هم خالدون ، خالدين فيها ، لا يخفَّف عنهم العذاب . . . اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون . . . طبتم فادخلوها خالدين . . . تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً** ﴾ .

وقال (جهم بن صفوان) : ان الجنة والنار تَفْنَيانِ ويفنى اهلهما مستنداً الى قوله تعالى : ﴿ **كل شيء هالك الا وجهه** ﴾ وهنالك اقاويل للرافضة لا معنى لها ، ولا يعتبرها الاسلام .

ج ـ « وبشأن رؤية الله في الجنة ويوم القيامة ، فهنالك رأيان في نظر السُنَّة : ان رؤيته تعالى جائزة عقلا في الدنيا والآخرة ، وواجبة سمعاً في الآخرة ، ولكنَّها لم تقع في الدنيا : الا لنبيِّنا محمد » . ويتابع الفقيه :

« تقول المعتزلة ان رؤية الله مستحيلة في الدنيا والآخرة ، ولهم ادلتهم ، وتقول السُنة العقلية : الله موجود وكل موجود تجوز رؤيته ، فالله تجوز رؤيته وهذا شاهد من الكتاب الحكيم : ﴿ **للذين احسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ فالحسنى هي الجنة ، والزيادة هي رؤية الله . وقوله تعالى : ﴿ **كَلَّا إنهم عن ربهم يومئذ لَمَحْجوبون** ﴾ يقصد الكُفّار ويعيِّرهم بذلك ، مما يثبت امكانية رؤية المؤمنين المُبدع تعالى » .

وتفضل الفقيه نفسه مجيباً عن كبار ائمة التشريع الاسلامي فقال : « حدث خلاف بينهم في نطاق الجزئيات الصغيرة : في الفروع والتطبيق ، وفي السُنن والمستحبّات . اما المبادىء الاساسية ، والقواعد الرئيسية والاصول والجواهر والفروض والاركان ، فلا ، لم يحدث حولها اي خلاف » .

وما حدث الخلاف فيه هو ذلك ، مثلا : بالنسبة لوضع يد المُصَلي وهو قائم ، الشافعي يقول :

للرجل والمرأة وضع اليدين تحت الصدر وفوق السُرّة من جهة الجانب الايسر . وابو حنيفة يقول بوضعهما تحت السُرَّة للرجل ، وعلى صدرها للمرأة . وابن حنبل يرى وضع اليدين تحت السُرَّة للرجل والمرأة ، ومالك يقول بأرسال اليدين الى جنب المُصلي .

وهنالك خلافات حول البسملة علناً او سراً في بعض الاحيان ، وفي تشييع الجنازة ، بين تأخير او تقديم المُشيعين لها . وفي تسليم الخطيب على المُصلين ، وتكبيرات العيد وعددها ، وسجود السهو ، قبل السلام او بعده . وما الى ذلك من الجزئيات الصغيرة .

لكن هنالك جماعة متطرفة تخرج عن سبيل الحق في مغالاتها ، كقول أحد غُلاةِ الحَنَفية عندما سئل : هل يجوز للحنفي ان يتزوج شافعية : قال : لا يجوز لانها تشك في ايمانها . ومثل ذلك كثير .

وحول مسألة الصوم في غير رمضان ، قال فضيلته : صيام الاثنين والخميس مستحب لان الرسول قد ولد ، وانزل الله عليه القرآن فيهما .وسمع عنه قوله : صوم ثلاثة ايام من كل شهر ، صوم الدهر كله . ويستحب صوم الايام العشرة الاولى من ذي الحجة ، كما يستحب صوم بعضِ غيرها .

وحول الفُرقِ الاسلامية في العالم الاسلامي بين الجزيرة وافريقيا قال فضيلته : اهمها اربع :

١ ـ السنة وتمثل الغالبية العظمى وتنتشر في الحجاز واليمن ومعظم الخليج العربي ، ومصر ، والسودان وشمالي افريقيا ، ولا تخلو دولة افريقية اسلامية من وجودهم سواء بقلَّة او بكثرة .

٢ ـ الشيعة ، منتشرة في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، ومنهم في

اليمن ومعظمهم على مذهب الزيديّة . ومنهم في الكويت والبحرين وافريقيا ، لكنهم قلة . ومنهم كثير في الدول العربية وبخاصة العراق والعجم والمشرق .

٣ ـ الخوارج ومنهم الأباضية اتباع (عبدالله بن اباض) ومنتشرون في الجزيرة واليمن وعمان خاصة . وموجود منهم في المغرب العربي وفي الزنجبار وتنكانيكا (تانزانيا)

٤ ـ الوهابيّة : نسبة الى محمد بن عبد الوهاب ، من نجد ، وهي فرقة حديثة العهد يرجع تاريخها الى عام (١٧٤٤) م . وهو تاريخ مبايعة محمد بن عبد الوهاب لمحمد بن سعود إماماً ، والذي تعهَّد بنشر مبادىء الوهابية وانجز عهده ، حتى غدت الوهابية المذهب الرسميَّ لِلممْلكة . لها اتباع قلائل في مصر والمغرب والعراق والشام . وهنالك المهديّة بالسودان ثم القادرية والرفاعية والخليلية والنقشبندية وسواها ، كلها طُرُق صوفية محسوبة في معظمها على طائفة السُنَّة . وللمزيد من التوضيح نؤكّد أنَّ :

١ ـ الاسلام فكرة كلية متكاملة عن الكون والحياة . الانسان يتولَّى تنظيم الحياة على أساسها ، وأن العدالة الاجتماعية هي فريدة العقد في التشريع والمعاملة .

٢ ـ أن الذين يطلق عليهم اسم فلاسفة من المسلمين هم براء منها لأنهم ظلّ للفلسفة الاغريقية ، اما الفلسفة الحق للاسلام فهي في القرآن الحكيم والحديث الشريف الثابت .

٣ ـ أن طبيعة العلاقة بين الخالق وخلقه تكمن كلها في الادارة المباشرة التي تصدر عنها المخلوقات جميعاً ، والبرهان عشرات الآيات الكريمة منها : ﴿ **انما امره اذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ . تصدر عنه تعالى الموجودات صدورا مباشراً ، وبأرادته المطلقة تحفظ وتنتظم وتسير : (يُدِّبر الامرَ ، يفصِّلُ الآيات) وقال فضيلته :

٤ ـ كان الانسان ممزقاً حتى جاء الاسلام فجمع بين الارض والسماء في نظام الكون ، وبين الدنيا والاخرى في نظام الدين ، وبين الروح والجسد في نظام الانسان ، وبين العبادة والعمل في نظام الحياة . يسلكها جميعاً في طريق موحد هو : الطريق الى الله .

٥ ـ الكون هو وحدة مركبة من الظاهر المعلوم والغيب المجهول .

٦ ـ والحياة هي وحدة مركبة من طاقات مادية وطاقات روحية ، لا تفصل أبداً الا اذا وقع اختلال بينها واضطراب .

٧ ـ والانسان هو كذلك وحدة مركبة من الاشواق الروحية المتطلعة الى السماء ، ومن النزعات الجسدية اللاحقة بالارض : ﴿ **أني خالق بشراً من طين فإذا سوَّيته ونفخت فيه من روحي ، فَقِعوا له ساجدين** ﴾ القرآن .

٨ ـ أن الحياة الدنيا بما فيها من صلاة وعمل ، وبما فيها من متاعٍ وحرمان ، هي وحدها الطريق الى الآخرة ، بما فيها من جنة ونار .

٩ ـ أن الاسلام هو دين الوحدة بين القوى الكونية جميعاً ، وهو دين التوحيد : توحيد الله ، توحيد الاديان جميعاً في دين الله ، وتوحيد الرسل في التبشير لهذا الدين الواحد منذ فجر الحياة : ﴿ **أن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا رَبُّكم فاعبُدون** ﴾ .

كل ذلك انما هو الخطوط الاساسية للعدالة الاجتماعية في الاسلام المنبثقة من : أ = التحرر الوجداني المطلق . ب = المساواة الانسانية الكاملة . ج = التكامل الاجتماعي الدقيق .

١٠ ـ ان القوى الكونية المختلفة ، انما خلقها الله لتكون صديقاً متعاوناً مع الانسان ، والسبيل الى كسبها في التعرف اليها والتعاون معها ، وارادة الله متصلة بتلك القوى وبالانسان معا ﴿ **وما من دابة على الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرَّها ومستودعَها** ﴾ ثم قوله تعالى ﴿ **وقال ربكم : أدعوني أستجِبْ لكم** ﴾ .

١١ ـ أن الاسلام يؤمن بالوجود الموحد الصادر عن ارادة واحدة ، والانسان هو جزء من هذا الكون المتعاون المتناسق مع سائر أجزائه . لذلك فإن الانسانية هي كلها وحدة تفترق اجزاؤها لتجتمع ، وتذهب شتى المذاهب للتعاون : ﴿ **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لِتعارفوا** ﴾ . كذا فأن تحقيق هذا النظام العام هو واجب لصالح الانسانية جمعاء . أمّا عن الصالحين فقال فضيلته :

فتولّاهم ربهم وسُمُّوابالأولياء ، هؤلاء يلهمهم الله الصدق والصواب ، وقد يلهمهم اشياء يتوقعون حدوثها . لكن الآية تقول : ﴿ **ولو كنت اعلم الغيب لأستكثرت من الخير**

وما مسني السوء . إنْ انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾

١٢ ـ وزمزم ؟ ـ « انبجس من تحت قدمَي اسماعيل بن ابراهيم الخليل اعجوبةً فأخذت امه هاجر تجمعه له حتى عادت اليه الحياة بعد الظمأ الشديد . وكان بئر زمزم » .

وكيف تهبط الروح البشرية ؟؟ ـ « تنزل على الجنين وهو في الرحم ، وقد ورد في الحديث النبوي الشريف ان الله يجعله بعد اربعين يوماً نطفة ثم بعد اربعين يوماً علَقة وبعد اربعين يوماً مُضْغة . وبعدئذ ينفخ فيه الروح . » ولعل نزول الروح لا يحدث الا بعد ان يصبح الجنين مضغة كاملة ينفَخ فيه .

١٤ ـ والتأويل ؟ ـ وردت الآية موضحة : ﴿ لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ﴾ ان كلام الله له باطن وظاهر كالانسان فإنه مركَّب من جسد وروح .

ولا يصدق التأويل الا لِمن شهد من الفقهاء برسوخهم في العلم الروحي ، وبصدقهم في الحديث والتعبير ، والا فالتأويل تلفيق وتضليل .

هذا ما أوضحه الفقيه الأزهري الحصيف الشيخ عبد القادر الزعبي .

أمّا الفقيه الشيخ مفيد شَلَق قاضي الشرع الاسلامِّي في شماليِّ لبنان ، فجاء بالإيضاحات التالية بعد سؤاله : ما الاسلام وما مقوّماته ؟ أجاب خطّياً أختصرهُ بما يلي ، مُعقِّباً على تصريح للأستاذ محمد خالد سعيد الزعبي . قال فضيلةُ الشيخ شلق :

١ ـ أعلم ان مصادر التشريع في الاسلام هي :

أ ـ القرآن الكريم .

ب ـ السنة النبوية : قولية وفعلية وتقريرية .

ج ـ اجماع أهل الحل والعقد بطريقة الاجتهاد في ما لم يذكر سابقاً كما هنالك القياس والذرائع والاستحسان وسواها

٢ ـ يقوم التشريع الاسلامي على أسس ثلاثة :

أ ـ عدم الحرج ودفع الضرر ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ﴾ . ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ .

ب ـ قلة التكاليف (أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها . . .) .

٣ ـ أن العبادة في الاسلام متأثلة على الفرائض السابقة فهي : إما صِرفاً كالصلاة والصوم واما مالية كالزكاة ، واما بدنية ومالية معاً كالحج . ولكل منها فلسفته وفائدته .

أما الجهاد ، فالمسلمون مدعوّون على الأخذ بأسباب القوتين : المادية والروحية لحماية الدين وتغريزه ونشره ، شرط الحفاظ على الخلق الرفيع والرأفة بالضعيف .

ولدى سؤال فضيلته عن القرآن فنقتطف بعض زهرات من حديقته :

١ـ القرآن هو كلام الله أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الامين جبريل . أنه حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم . ابتدأ نزوله في السابع عشر من رمضان لأربعين سنة خلت من حياة النبي العزيز .

٢ ـ والحكمة من انزاله ليكوّن به أمة ، وينشيء دولة ، وينظم مجتمعاً ، ويهدي به أنفساً وعقولاً ، وليكون برهاناً ساطعاً على نبوة محمد ورسالته ، وحُجةً قائمة إلى يوم الدين .

٣ ـ اول ليلة نزل بها القرآن تسمى :(بِليلة القَدْرِ) وكان تنُّزله من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في السماء الدنيا .

٤ ـ اول ما جُمع القرآن في عهد النبوة ، إما حِفظاً او منقوشاً على رِقاع ، او على العسب واللحاف ، وأعيد جمعه في عهد الخليفة (ابي بكر الصديق) تم بخلافة (عثمان) حيث صنف بالتنسيق والترتيب الكاملين . ولم يزل مصحف عثمان نفسه محفوظاً في المتحف الكبير بالقسطنطينية وقد ارسلت عنه عدة نسخ للعالم الاسلامي في ذلك التاريخ . والقرآن أعظم معجزة عرفها الانسان ، ببيانه ومعانيهِ وشموله .

وتابع فضيلة الشيخ مفيد شلق الردّ :

١ ـ هدف الاسلام يتلخص بما يلي : قُبَيل معركة القادسية جاء (رُبْعِيُّ بن عمر) ، مبعوث المسلمين (لِرُستم) قائد الفرس فقال موضحا : أن الله بعثنا لنخرج

الناس من عبادة الاوثان الى عبادة الله . ومن جَور الاديان الى عـدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة .

٢ ـ أما الاوضاع المختلفة والعلل التي تصيب الاسلام فقد اوضحها سبحانه بقوله : ﴿ أن الله لا يُغيِّرُ ما بقـوم حتى يغيروا مـا بأنفسهم ﴾ ـ ﴿ ونفس ومـا سوّاهـا ، فألهمهـا فُجورها وتقواها ، قـد أفلح من زكّاهـا وقد خـاب من آساهـا ﴾ . وقال : ﴿ أن هـديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ .

وحول التيارات التي عصفت في خضم الاسلام قال فضيلته :

٣ ـ ظهرت فرقٌ عدَّةٌ من صوفيةٍ وسواها ، بين الشريعة والحقيقة ، والردُّ هو :

أ ـ كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل .

ب ـ ما ترك أحد الظاهر الا تزندق .

ج ـ كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر . وكان يستند الشيـخ الكريم الى اقـوال الفقيه الاكبر : (أبي حامد الغزالي) .

وحول تشريع الاحكام أفاض فضيلته فأوجزنا ميضاً في قطرات :

أن المقصـد العام للشـارع من تشريـع الاحكام هـو تحقيق مصالـح النـاس في هـذه الحياة ، وتلك المصالح تختصر بما يأتي :

أ ـ ضرورية .

ب ـ حاجية .

ج ـ تحسينية .

أما الضرورية وهي الأهم فترجع الى خمسة أشياء :

أ ـ الـدين : وهـو العقيـدة والعبـادة والايمـان ، والقـواعـد الخمس التي بني عليهـا الاسلام وهي : الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج .

ب ـ النفس : شرع الاسلام لإيجادها : الزواج .

ج ـ العقل : شرع لحفظه تحريم الخمر والمسكرات وحدّ الشارب .

د ـ العرض : شرع لحفظه حد الزاني والزانية والقاذف .

هـ ـ والمال : شرع لتحصيله وكسبه ايجاب السعي والعمل وتحريم السرقة والحجر على السفيه ودفع الضرر وتحريم الربا . كانت هذه خلاصة ما تفضّل بإسدائه لنا فضيلة شيخنا العالم المهيب .

الفصل السابع

معتقد الخوارج

ان السياسة العابرة ، هي التي قسمت المسلمين في مطلع الاسلام ، كانت لها ذبول سببت نُشُوءَ العديد من الفرق .

اختلاف علي ومعاوية على الخلافة حفزَ جماعة من المسلمين للخروج من نطاق هذا الخلاف الدامي ، دون ان تخرج عن تعاليم القرآن وفروض الاسلام . من هذه الفرق كانت الأباضيّة .

آ ـ الاباضية :

اول من نادى بهذه الفرقة من الخوارج (عبدالله بن اباض) .

ركز دعائم دعوته وَفْرةُ اتباعه ، ونفوذه العامَّةِ في الحجاز وحضرموت . ولفرط ما كانوا يؤمنون بالسُنَّة ، فقد ابوا ان يُدعوا بالخوارج ، بل انهم مذهب من السُنة كالشافعية والحنفية .

في النصف الاول من القرن الثاني الهجري دخل هذا المذهب افريقيا وانتشر بين البربر ، حتى غدا مذهبهم الرسمي . ازال سلطانهم هناك الفاطميون لكنهم لم يبرحوا إلى اليوم اسلاماً .

اختلاف هؤلاء عن السُنَّة هو انهم يؤمنون « بالرأي » بدلا من الإجماع والقياس كما قالوا بالتنزيه المطلق لا بالتشبيه ، لذا فلا امكانية لرؤية الله في الدنيا ولا في الآخرة ، والوعد والوعيد لا يتخلفان . فمن دخل النار خلد فيها ، كذلك من دخل الجنّة أو المذنب تُطَهره التَوبة . لا يحبون عثمان لأنه في عرفهم صاحب بدعٍ ولا يلعنون علياً . يرون وجوب وجود السلطَتين بيد الامام . والامامة بالوصية باطلة في مذهبهم . يجوز عندهم تعدُّد الامامة في اكثر من مكان . ومرتكب الكبائر لديهم موحد وليس مؤمناً او هو كافر كفر النعمة لا كفر المِلّة .

وما برحت الاباضية شائعة في عمان والزنجبار وشمالي افريقيا ، تمارس عقيدتها الاصيلة وطقوسها وتعتمد القرآن هاديا .

ب ـ السَبَئِيَّة :

نادى بها مذهباً اسلاميا اليهودي (عبدالله بن سبأ) . قبل ان يتوفى الله علياً قال : علي هو الله والله هو علي. ونسبت اليه امور سواها مناقضة لجوهر الاسلام ، لعله داعٍ يتعمد التمويه والباطل . من اهم تعاليمه الوصاية والرجعة ، اي ان كل امام وصيٌ من قبله ، فَعَليٌ وصيٌ الرسول ، والحسن وصي علي وهكذا . والرجعة تعني رجوع محمد ، وبعد مقتل علي قال برجوعه ايضاً وقال اكثر :

لو اتيتمونا بدمائه الف مرةٍ ما صدَّقنا مَوْتَهُ ، ولن يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما مُلئت جوراً .

وقد حذا كثير من اتباع ابن سبأ حذوه ، في تأليه علي ، واورثوا احفادهم تأليه ابناء علي (الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية) واحفاده . كما انفتحوا على التيارات الفكرية المجاورة ، من بوذية وفارسية ، فنادى بعضهم بالتقمص ، وآخرون بالتناسخ (انتقال روح الانسان إلى غير إنسان) . ولْنعدُ إلى صُلب الاسلام :

فإلى القارىء الكريم رأيُ أئمة الفلسفة الاسلامية في الله والعقل :

أ ـ قال الفيلسوف الكندي : الله هو الموجود التام الذي لم يسبقه ولا ينتهي له وجود ، ولا يكون وجود الا به . (الرسائل ص ٢٠) . وان النفس جوهر بسيط إلهي روحاني ، هي نور من نور البارىء . والنفس الفاسدة تصير اولا الى فلك القمر ، حتى اذا ما تهذَّبت انتقلت مرتفعة الى فلك عطارد ، وكلما زاد تهذيبها علا مستواها حتى تبلغ عالم العقل مطابقة نور الله . (الرسائل ص ٢٠٧) و (ص ٢٥٠) .

ب ـ وقال الفارابي : ان لله موجود بغير علة فهو الموجود التام ، واقدم الوجود وأفضله ، أنه العاشق والمعشوق وأن للعالم عقولاً عشرة تديرُه وتدبره . كل منها يدبر فَلَكاً ، اما .عاشر فيدبر عالم ما تحت القمر (الارض) . وهو واهب الصُور . هذه العقول العشرة تستمدُّ قوتها من المحرك الاول (الله) . والنفس هي جوهر بسيط روحاني ، مباين للجسد ، تلازمه وتبقى بعد فنائه ، ولن تتكّرر في أبدان . والانفس العاصية تفنى بفناء

الجسد . (كتاب النفس والعقل لمحمد قاسم ص ٧٣) .

ج ـ قال الغزالي : الله منزَّه الذات ، فلا هو جسم مؤلف من جواهر ، ولا هو جوهر متميز . انه واحد لا شريك له ، وله صفات ثُبوتيَّة : قدرةٌ إرادةٌ عِلمٌ بَصر . . وانه مرئيٌ في الآخرة ، لان الرؤية كشفٌ وعلم ووضوح . (احياء العلوم ج ١ ص ٣٨٩) . وان هناك لوحا محفوظاً تظهر فيه للقلب السليم الصافي ، صورُ كل الموجودات . والوحي والالهام يتولدان من إفاضة العقل واشراقة النفس (الرسالة اللّدنية ص ٣٤) .

د ـ وقال ابن سينا : الله هو الموجود والواجد وفوق ان يحدد . والنفس جوهر روحاني مغاير للبدن ، لا تفنى بفنائِهِ . هي واحدة ذات وظائف متعددة ، وهي القوة للبدن وكماله . لا يقوم الا بها . تحدُث حين يغدو البدن كامل التركيب ، مستعداً لاستقبالها فيه ، فيصبح آلتها (رسالة النجاة ص ١٨٤) . والصفات المتميزة فيها تجعلها قابلة ان تتلبَّس جسدا سماويا او ما يشبههُ . ويستحيل بلوغ ينابيع النور (نور الله) الا بعد ان تترفَّع النفس ، وترفض كل قوى : الغضب والشهوة والمادة (حي بن يقظان) .

هـ ـ ومن آراء ابن ماجة ، الفيلسوف الاندلسي قوله : ان العقل هو المُحرِّك الاول الانساني ، فمن عمل بتعاليم الله ، اثابه بهذا العقل ، حتى اذا ما توفي الانسان يبقى عقله نوراً في دائرة انوار الانبياء والاولياء ، دائم التسبيح لله . والعاصي يبقى عقله في ظلمات الجهالة ، حيث الضياع (الدكتور الأهوازي ـ رسالة الاتصال ص ١٠٨) .

و ـ ورأي ابن طفيل . الله هو ثابت الوجود ، وسبب كل موجود ، ولكل حركة محرك . فلا بد للعالم من فاعل ليس بجسم ولا متصل بجسم ، ولا منفصل عنه . أما النفس فأنها امر رباني لا يستحيل ولا يلحقه الفساد ولا يدرك بالحواس . انها فوق حقيقة ذاتِ الانسان (احمد امين حي ابن يقظان ص ١٠٦) . واما الأجسام السماوية (الملائكة) فهي شفافة ومضيئَةٌ ، لا تتغير ولا يطالها الفساد ، لانها في غاية البساطة ، ولها ذوات تدرك بها الخالق وتشاهده على الدوام ، بالفعل لا بالقوة . (المرجع نفسه ص ١٠٣) . وان السعادة الحق هي امتداد مشاهدة الخالق على الارض ، وبعد الموت في السماء . واذا فقدت هذه المشاهدة أفضى ذلك الى الشقاء الدائم ، ثم الفناء كسائر الحيوانات . في ذلك إلماعةٌ الى الباطن التوحيدي الذي يُقرُّ التجلّي والإنعام على الاولياء برُؤيته .

ز ـ اما العبقري ابن رشد فيقول : الله في جوهره واحد بسيط ، هو الفعل المحض وواجب الوجود . صفاته هي تلك التي وصفها القرآن الحكيم : علم وحياة وقدرة . وان ما عجز عنه العقل البشري، يوحي به الله إلى نبيٍ ليكشفَ حقيقتهُ وماهيتَه. وليس العالم الا حادثاً عن فاعل قديم وفعل قديم ، من مُحرِّكٍ لِحركةٍ لا أولَ لِقدمِها ولا آخر (التهافت ص ٢٥٥ ـ ٢٦٥ ـ ٣٨٨) .

بهذا الايجاز عبر بعض أقطاب الفلسفة الاسلامية محدِّدين : الله والعقل والنفس والعالم والمصير ، غير مَعنيين بوحدانية الله ، وخلقه العالم . وجوهرية النفس وخلودها ، ومآلها هو حسب ما أَسْفلتْ من مبرّات أو شقاوات . وما كانت هذه الآراء إلا قبسات من نور القرآن ، ترجمها كلٌ بِلغته الخاصّة؛ ولم يتوضّح فيها الجنوح عن السُنَّة إلا في النَدرى .

الفصل الثامن

الشيعة

شاء القدر او هي المطامح الشخصية ، ان تنزو الانانية بكل من اشياع الامامين علي وعثمان ، ففضوا السلسلة المذهبة التي كانت تعصب الاسلام ديناً ودنيا . وتفاقم الخلاف حتى ادى الى معارك طاحنة والى سفك دماء ، رسَّخت على الزمن هذا الخلاف .

انه في الجوهر خلاف زمني دنيوي ، اذ ما يزال القرآن منار الفريقين ، والرسول هو الهادي لكليهما ، والفروض الدينية متوجبة على هذا وذاك يمارسانها بغير انقطاع .

انقسمت الشيعة الى امامية (اثني عشريَّة) والى اسماعيلية (سبعيَّة) . لكل منهما مذهبه الخاص المتميز . وقبل ان تحدث هذه الفرقة بين الشيعتين ، ظهرت بعض فرق محلية شدتها عصبية الحب الشخصي ، او الذاتي الى إقامة بدع خاصة . منها :

أ ـ الزيديه :

تنسب الى زيد بن علي زين العابدين وهي فرقة متشيعة ، ابتعدت عن مهاجمة ابي بكر وعمر واعتبرتهما امامين ، ولكن الحق للأفضل وهو علي .

أقرت هذه الفرقة الإمامةَ في كل أبناء (فاطمة) شرط أن يكون الامام وافر العلم ، والزهد والشجاعة والسخاء . وكل من توفرت عنده الشروط السابقة جازت

امامته ، فهي ليست بالوراثة وانما بـالبيعة ، وهم يجيـزون وجود اكـثر من امام ، في وقت واحد ، في قطرين مختلفين .

انه اقرب مذاهب الشيعة الى السنة ، لان (زيدا) كان تلميذا (لواصل بن عطاء) رأس المعتزلة . ترفض هذه الفرقة القول بوجود جزء من النـور الالهي في الامام ، كـما انها تنكر الرجعة التي تترقبها الشيعة الامـامية . ونفـوا الصفات لله ، واكـدوا حريـة الارادة في الانسان ، وظلت بعض مبادىء المعتزلة في ما يعتقدون . وصـانع الكبيـرة عندهم مخلد في النـار ، والتصوُّفُ مـرفوض كـالمتعة ، وهي تجيـز التقية كسـائر الشيعـة . إنهم قـاصـدون معتدلون لنا عودة اشمل عن هذه النزعة لاحقاً .

شاعت مبادىء هذه الفرقة في اليمن ، ولبثت الخلافة هناك تجمع بين الدين والدنيـا حتى عام (١٩٦٢) حيث استبدلت بالجمهورية . وتفصيل مذهبها في نهاية الفصل .

الفصل التاسع

الشيعة الامامية

ضم القـرآن في العديـد من آياتـه تلميحات الى بـاطن يتضمن ظاهـر الآيات ، ولم يفهمه الا الراسخون في العلم . والقرآن في بلاغة آياته وايجازها يجعـل عسيرا عـلى العامـة تفهُّمُ مكنـوناتـه ، والغوص الى اعمـاق معـانيهـا . والحقيقـة في تعـدد جـوانبهـا وآثـارهـا المختلفة ، من واضح الى خفيٍّ ، تتـطلب الواسـع من العلم الروحي ، تـدريجاً حتى بلوغ جذورها . وبما ان كلام الله هو الحقيقة بعينها في عرف الإسلام اجمع ، لـذلك وجب عـلى المسلمـين اعارة كـامل الاهتمـام واعمق التنقيب لاجتلائهـا وتـرسيخهـا في قلوب المؤمنـين الموحدين من الاسلام كله .

والمذهب الشيعي الاثني عشر الإمامي ، هو ذلك التطلع بروِّيـة واتِّزانٍ الى مضمـون كلام الله وتفسير تأْويلاتـه للعامـة ، على قـدر ما تسمـح به الـدراسات الفقهيَّـة والفلسفية الروحية .

وليست الشيعة مذهباً كالمـذاهب السنِّية الاربعـة (حنفي حنبلي . . .) انمـا هو فقـهٌ

جـديد اسـلامي صميم ، يعتمد الكتـاب والسُنـةَ ثم هـو يتنـاول الاحـاديث المـرويَّـة عن (الائمَّة) فيعتمدهُ مصدراً صحيحاً يغنيه عن القياس .

والشيعة هذه في جوهرهـا ، دين اسلامي سليم ، لا يختلف عن السُنـة بالعقيـدة في شيء ، ولا في الفروض الا بقليل ضئيل منها . وما سطَّره التـاريخ من احـداث دامية بـين السُنة والشيعة ظل في حلقة السياسة العابرة وما لامس العقيدة في شيء . وان ما سنعرضـه موجزين محققين به ، يظهر حقيقة الشيعة الامامية بأجلى مضـامينها وهـو المقتبس من اعلام فقهائها وكبار الباحثين المجردين .

و ـ الباطن :

ان جوهر المعتقد الشيعي الاسلامي هو في باطن الكتـاب اولاً ، ولكن هذا البـاطن لا يعني الإيغال في التأويل ، والانجراف بالهوى ، او الاكتفاء بسطحية البحث .

يقول البرفسور (هنري كوربان) ما يلي : وكان كل إمام الواحد تلو الآخر ، وكـلٌ بـدوره كـان قيـماً عـلى الكتـاب ، وعـلى القـرآن ، يفسره ويبلّغ تـلاميـذه المعنى البـاطني للوحي . فالإمام في عرف الشيعة هو قمة العلوم الـروحية ، وهـو اوثق مرجع لتأويـل وشرح كـلام الله . والأئمـة هم عـارفـو معـاني الـوحي ، وعلمهم الـروحي هـو إرثيٌ في معتقـدهم الراسخ : إنه علم الإرث الروحي :

التفسير والتأويل :

ان مراحل معاني القرآن متعددة ، وقد تكون سبعة او سبعين كما يقال . فهذه الكثرة تدل على تكامل الانسجام بين ظاهره وباطنه .

إذا كـان معنى التنزيل (الظاهر) هو الكلام الذي املاه الملاك جبريل على الـرسول بحرفيته ، فالتأويل هو المعنى الحقيقي للفكرة الظاهرة ، انه النفاذ القاطع ، ومصدر الفكـر ومبتغـاهُ الصحيـح . ولم يكن هنـاك بـاطن لـولا الخشيـة من تنـاولـه بعقـل سقيم ، وفهم مُضيَّع ، يفقد جلاله ومغزاه .

الرموز :

مَن يتصفح القرآن ، يأخذه الذهول حـين يقف عند مـطلع بعض سوره فيجـد مثلا

﴿ ألِفْ لامْ ميمْ ، والقرآن الحكيم ﴾ و : كافْ هـاءْ ياءْ عـينْ صادْ ﴿ كهيعص ﴾ ﴿ ذكـر رحمـة ربك ﴾ لكن الفقيـه يدرك ان وراء الاحـرف معاني قصـدها الله وسـترها عن سـواد خلقه ، وخص باستجلاء كُنْهِهَا كبارَ العارفين . بهـذا آمن معتنقو هذا المعتقد العتّيد .

الامام :

تتضمن كلمة إمام في معتقد الشيعة ، وفي معتقدات الباطن الاسـلامي مُحتوى القيم الانسانية الفضـلى وزبدتهـا ، والامام نفسـه هو الـراعي للانسـان وشؤونه المتنـوعة ، وهـو الصلة بـين العالمين العلوي والارضي . وانه القـدوة المثلى في كـل عصر ظهر فيـه . وهـو القاضي العدل لدى البعث الاخير .

ومهامّ الإمام الرئيسية تنحصر في :

أ ـ تبيين الاحكام وتفسير الآيات في مايمد به الفكر الاسلامي من تفهّم لعمقِ القرآن ولتعاليم آياته .

ب ـ نقل احاديث الرسول بحرفيَّتها والسُنن الواجبة وتوسيعها .

ولنمعن في مضمون هذه الرواية النمـوذجية : أطـال الامام (جعفـر) يومـاً سكوتـه امام تلاميـذه فتعجبوا من ذلـك وسألـوه ؟ اجاب : لم أتـوقف عن ترديـد هذه الآيـة حتى سمعتها من الذي قرأها على النبي . يظهر بهذا المقام الروحيّ الرفيع الذي يتمتع بـه الإمام عنـد الشيعة (الامـامية) فجـبريل اوحى إلى الـرسول واوحى الى الامـام ، ولعل الى كـل امام ، لان العلم الروحي متوارث كما سبق في عرفهم .

وقد ورد على لسان النبي قوله : أنا مـدينة العلم وعـليٌّ بابهـا . وقال عـليّ : كنت من رسول الله كالفَصيل من أُمِّه ، احذو وحذوَهُ .

والائمة الاثنا عشرٌ يتناقلون هذه المكنونات عن الرسول ويجسدونها بكل عصر ظهروا فيه .

وبمـا أن القرآن هـو لُباب الحقيقـة الكونيـة في عُرف الاسـلام ، وأنه يحمـل الظاهـر والبـاطن ، فأن الأئمـة الذين يعـايشـون النـاس ، يفسـرون لهم آيـاتـه عـلى ضـوء العلم الحديث ، في كل حين ، وعلى قدر تطور الذهنية وامتلاك الانسان لتقبل مضامـين الكتاب بيُسر ، سَيراً مع قافلة الحضارة في كل عصر . وحبذا لو حدث كل ذلك بالفعل لا بـالقول والايمان الفاتر والضياع والتشرذُم .

الولاية :

انها السلطة الإلهية لتنفيذ الشريعة وتطبيق الاسلام على المجتمع ، وهذه السلطة لا تعطى الا الى الرسول او الى من ذاب في ذات الرسول . وليس القول بان الولاية هي باطن النبوة الا ضلالاً .

فالولاية هي ذلك المقام الخطير الذي لا يبلغه الا الذي ينسى نفسه في ذات الله ، ولصالح الإسلام . هي طريق التوحيد لتربية المسلم تربية صحيحة كاملة ، على حدِّ قولهم المتناقلَ .

الولاية بمعناها الصحيح ليست وحياً خُصَّت به الشيعةُ الاثني عشرية، ولا هي تفسير لرمزية الآياتَ، ولا هي لُبُّ النبوة . انها قاعدة لجميع احكام الاسلام ، انها الامامة بالذات ، تتابع ممارسة دورها بعد وفاة النبي ، لانها استمدت معارفها من معارفه ، من نور الحق . واذا قبسنا المعارف من ظاهر الكتاب وحسب ، نكون قد انتقصنا الاسلام ، واذا اخذنا بالباطن وحَسب نكون مغالين في الدين . والاسلام الحق ما أُخذ من ظاهر الآيات ومن باطنها معاً ، اخذاً رصيناً حكيماً علمياً .

التصوف والاسلام :

كلمة تصوف لا تعني تشيعاً وحسب، ان هذا المبدأ قد شاع قبل وجود الشيعة . ظهر في المسيحية واليهودية ، وفي ديانات كثيرة قديمة . فالتصوف بالحق تطلُّع الديانات الى انطلاق اكثر وانفتاح اعمّ ، وشمولية في التوحيد والكون .

التصوف الصحيح كالاسلام الصافي ، ذاك له جسم وروح ، وكلٌّ مكمل للآخر . وهذا قائم على ظاهر وباطن ، وكلاهما جزء من كل .

واذا ما وجدنا على لسان بعض الائمة استنكاراً ومقتا للصوفية ، فلا يعني انها باطلة او زائفة ، بل هناك متصوفون مُغالون شطح بهم الخيال فتعدّى عرف الاسلام ، وقواعد توحيد الذات الالهية بجنوحه العاطفي .

التصوف في الاسلام هو استبطان الوحي القرآني ، انه اختبار لظروف التوحيد .
(عن ثلاثة حكماء مسلمين)

ان التربية الفلسفية الصوفية التي احياها السُهروَرْديُّ ومدرسته في استعمال كلمات صوفية : كالنور الشعشعاني ، والروحاني والناسوت واللاهوت وما اليها ، هذه ليست مروقاً من الاسلام ، هي انفتاح وتطلع وتعميق لمقاصد الاسلام ومغازيه ، كما هي تأثيلٌ للتوحيد الإلهي ، وتعزيز للأنبياء والائمة في تعبيد طريق الحق وإساغة ينابيعه وتكثيف ظلاله في عيون الموحدين .

وهكذا تجد الشيعة الاثني عشرية في التصوُّف المتَّزن صُنواً حميماً ، في حُسن تأدية الرسالة المحمدية وضبطها وتطورها وانفتاحها العقلاني المتَّزن .

والشيعة هذه براء مما ينسب للإمام علي ولِسبطه من أقوال . هي بعيدة كل البعد عن الروح المنسوبة اليه ، كقول علي مثلاً : انا عرفان الغيوب ، انا عتبة الاعتاب ، انا بطانة بَريق العزة الالهية ، انا الاول والآخر والظاهر والباطن . . انا وجه الله ومرآته . . .

لعل المقصود في سبة هذه التعابير للامام ، تعميق الهوة بين الاسلام بعضاً لبعض سياسياً . واما روحياً فلن تزيد من قيمة الإمامة ولا تنقص منها لانها في المكان الحريز . ولعل غُلاة العلويين تبنَّوا هذا الرأي وما زالوا . والشيعة هؤلاء يعتقدون بأن روابط روحية أوثق منها مادية تشد الامام بالرسول. فهناك قول نَبَويٌّ مأثور: «أنا وعلي من نور واحد». و «خُلِقتُ أنا وعلي قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام». الحَيث الأول قال به: (القندوزي في ينابيع المودة ص ٢٥٦) والثاني : (احمد بن حنبل الشيباني في (فضائل الصحابة مخطوط ص ٢٠٥) .

واوردالفقيه الكبير (المُلَّاصدْرا) في شرحه على كتاب الحجة ، قال : كان النبي نفسه يقول: «ليتولَ الله علياً والاوصياء من بعده، فانهم الهداة بعدي . لقد اعطاهم الله علمي » .

والظهور الجزئي في الولاية ابتدأ بِ (شيت) ابن آدم وامامه ، وينتهي بخاتم الولاية الامام الثاني عشر « المستور » .

لدى البشيعة الاثني عشرية اربعة عشر شخصاً معصومون هم : النبي وفاطمة (ابنته وزوجة عليّ) ثم الأئمة الاثنا عشر. انهم مُطهَّرون من كل رجس. وقد عرفْنا الامام

الخامس قيمة هذه الامامة لدى اشياعها حين قال: «نور الامام في قلب المؤمنين اشد سطوعاً من الشمس في واضحة النهار». انهم هم ركائز الارض . (بصائر الدرجات ج ٨ ص ٣٧،١) . وأسماهم المؤرخ الفرنسي الكبير : (هنري كوربان) : العِقدَ الزمرُّديَّ .

من هنا نعرف ان الامام هو الانسان الكامل ، هو سرُّ التوحيد والدال اليه ، عند المؤمنين بالامامة المنزَّهة .

النبوة :

إن الفلسفة النبوية في العرفان الشيعي الاسلامي ، تعني ضرورة وجود اشخاص ملهمين متميزين فطنة وروحانية عن سائر الناس . فالنبي هو الانسان الربّاني ، دونما تجسد قط ، إذ أنّ الآية توضح بجلاء : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحَى إلي﴾. « سورة الكهف » .

إن النبوءة هي الحقيقة المحمدية المرسلة من الله قبل اي بشري . يدعوها (كوربان) النُور المحمَّدي .

بدأت تلك النبوة بآدم لتختم بالرسول محمد بن عبدالله ، ويزعم الفقه الشيعي ان عدد انبياء تلك الادوار المتعاقبة (١٢٤) الفاً . وقد سمع عن النبي قوله : انا اول الانبياء خَلْقا» ويقصد بذلك النور المحمدي لا جسد محمد . حسب تفسير الفقهاء المسلمين السنِّيين .

كما ان دورة النبوة ختامها محمد ، فإن الولاية العامة بشخص الامام علي ، والولاية المحمدية التي تمثل الباطن سابقاً ولاحقاً ، ختامها جميعاً الإمام الثاني عشر « المستور » .

ان كلمة تشيع لا تعني انحرافاً عن جادة الاسلام القويم ، انما هي اتّجاه صوب الامام علي بعد وفاة رسول الله ، معتبرين انه صاحب الحق بالخلافة قبل سواه ، هذا الاتجاه هو التشيُّع نفسه نما مع الايام ، محافظاً على إسلاميته ، مخلصاً لائمته ، مُمسِكاً بسلسلة الولاية بعد النبوَّة ، باعتبارها امتداداً لها وتطويراً يناسب الزمان ويجاري مفهوم العصر للروحانيات ، وللقيم الإنسانية المعاشة .

ان الإمامة بدءاً من الامام علي الاول حتى السادس (جعفر الصادق) (٧٦٥) م . تضم كلا من الإمامة الإثنَي عشرية والاسماعيلية معاً . وقد كونت قضايا العرفان الشيعي

حول تعاليم الائمة : الرابع وهو علي زين العابدين (٧١٤) والخامس : محمد الباقر (٧٣٣) والسادس جعفر الصادق (٧٦٥) بالإضافة الى ما نقل عن لسان الامام الاول .

وفي ابن الامام السادس (اسماعيل) انقسم الشيعة وظهرت الفرقة الاسماعيلية (السبعية) نسبة لسابع امام شيعي هو اسماعيل بن جعفر الصادق .

إذا فلسفنا كلام الامام الرابع زين العابدين حفيد الامام علي ، في قوله :

«فرُبَّ جوهر علمٍ لو أبُوحُ بهِ لَقِيلَ لي أنتَ مِمَّنْ يعبدُ الوثَنا»

أين أرست سفينة إمامنا هذا ؟ على أي شاطىء من العمق الباطني العرفاني ؟ وأية علاقة لجوهر علم القرآن وتأويله ، بالأوثان ، وهل كلمة وثن هنا هي مؤولة أيضاً وبِمَ ؟ . نُرجع هذه التساؤلات إلى الفقه الشيعي الامامي فلديه الجواب الفصل بمدى الاسترسال في التأويل وتحديده . وإننا لنجد مثل هذا العرفان الباطني في كثير من مؤلفات أئمة الشيعة الامامية أمثال : ابن بابويه (الشيخ الصدوق) وله ما ينوف على ثلاثماية كتاب في الفقه الشيعي وفلسفته . وبعد الطوسي والراوندي ، والشريف الرضي والمرتضى (١٠١٥ - ١٠٤٤) م . وعقب ذلك النهضةُ الصفوية في إيران ومنها (اميراماد) (١٦٣١) م ومدرسته . كلُّهم اعتمدوا التأويل ، والتفسير ، وفلسفة كتاب الله . وأخيراً لعبت الصوفية المتَّزنة دورها المحسوس بين فقهاء الشيعة ، وفي مقدمة هؤلاء الصوفيين : محي الدين بن عَربي (١٢٤٠) الذي هاجر من الأندلس للمشرق ، وعايش مدارسَهُ الصوفية الشيعية .

الكهنوت :

المعروف في الاسلام بعكس المسيحية ، عدم وجود إكليروس ، وتنظيم له ، ولا هناك سلطة حبرية ، ولا كانت مؤتمرات تحدد العقائد. لقد حل الاسلام كل جمود عقائدي في هذا النطاق ، واطلق للفرد حرية التفكير والعمل الديني ، وممارسة طقوسه كلَّ ساعة ، وبكل مكان ، دونما وساطة احد . وليست الشيعة الامامية الا الإسلام بصميمه ، وليست الباطنية التي يعتمدها فقهاؤها ، ويدرِّسونها ، ويعظون بها ، الا الاسلام نفسه ، في رحابة آفاقه ، وامتداد جذوره ، في تربة العلم الالهي الجامع . وفي العالمية الروحية لمفهوم الاسلام ، شأنُها شأن المارونية من الكثلكة .

وقد سبق فقهاء الشيعة الى تفسير الباطن ، جماعة الرواقيين في اليونان . فالرواق

علم من وراء حجاب . وقد فسر هؤلاء التيارات الباطنية في بلادهم كما فسرت الشيعة كلام الله بنزاهة وتعمق .

التقيَّة :

روى (الكُليبيُ) في (أصول الكافي الجزء الأول ص ٤٠١) حديثا للامام الخامس محمد الباقر يقول : قضيَّتنا صعبة مستعصية ، لا يؤمن بها الا ملك مُقرَّب او نبي مرسل ، او عبد امتحن الله قلبه بالإيمان . اما الامام جعفر الصادق فيصرح : « قضيتنا سرٌ في سرّ . . . سرٌ لا يكشف عنه إلا سرٌ آخر ». واضاف : « قضيتنا حق بل هي حقُّ الحق . انها الظاهر وباطن الظاهر ، وباطن الباطن . . . انها سر امر مستور ابداً ». فلعلَّ هناك علاقة بذلك السر وسر السر وبما المح إليه بسلاسة شعرية الامام زين العابدين في شعره الذي مر بنا منذ قليل .

وحسبنا تصريح الامام جعفر الصادق الجريء : « التقية ديني ودين آبائي ، فمن لا تقية له لا دين له » . والتقية تعني : الاحتراز عن افشاء السر الالهي . بهذا ما نادت ديانة (أتون) المصري قبل التاريخ ، وكل باطنيةٍ في العالم .

فما هذا السر ؟ وهل هو الهي حقا ، وموكول به اناس متميزون ، كما يرى الشيعة ؟ ام هو صَون لمبدأ منفرد ومُغاير لسواه ، من مبادىء الاقربين ؟ ان العلمَ والانفتاح الصحيح كفيلان بكشف كل سرٍ وكل سرٍ لسرٍ ، حين يتناهي سموُّ الانسان وتخبو نار أنانيتهِ .

ان الشيعة المخلصين هم الذين يحملون اسرار ائمتهم ، مؤكدين بذلك على باطنية القرآن، وعلى عظيم قيمة تلك الباطنية، وعلى أنه إذا انتفت منه الرموز ومضامينها يضيق افقه ، وتتقلص الغايات التي يتوخاها مرسله . وان الموكول اليه بكشف تلك الاسرار ، والمحافظة على سرّيتها ، هم : الائمة والتُقاة والورعون .

نهج البلاغة :

انه الأثر البُليغ الذي ألفه الامام علي بن أبي طالب ، وهو جزآن احدهما

رسائل متنوعة، والثاني خُطب يتخللها حكم وارشادات قيِّمة . جمع هذا المؤلَّف الشريف الرضي (١٠١٥) م . يمكن اعتبار نهج البلاغة احد كبرى واول المناهل التي استقى منها الفكرُ الشيعي مذاهبه . أثيرت شكوك ملحوظة حول صحة بعض أجزاء هذا الكتاب ، لكنها لم تصمد امام النقد السليم . ولا ريب في ان ما تضمن الكتاب من خطب ورسائل يشكل خطاً فلسفياً متكاملاً ، وبحقٍ اعتبرته الشيعة قمة ما ألفه الائمة اللاحقون ، وهو يأتي بالرتبة الثانية ، بلاغةً وعمقاً وروحانية ، بعد القرآن .

الأمانة :

ان الآية الكريمة : ﴿ **إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ، فأَبَيْنَ ان يحملنها واشفقن منها ، وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا** ﴾ . (الاحزاب) .

تعتبرُ الشيعةُ هذه الامانة هي السرُّ الإلهي ، هي باطن النبوة الذي بلَّغه الائمة المعصومون الى اتباعهم . وان الانسان المعنيَّ همُ الائمة انفسهم ، القيِّمون على التقيَّة وحمل هذه الامانة (الرسالة)، انها الحقيقة المحمدية التي عايشت الاجيال وتعايشها بفضل استمرارية توجيه وتربية هذه الأئمة . . حسب عُرف تلك الشيعة .

الملاك : المقصود به جبريل حامل الرسالة الاسلامية ، وحامل كل رسالة لنبي سابق . قال فقهاء الشيعة : ان الفيلسوف لا يرى الملاك ، لكنه بواسطته وعلى قدر طاقته يستوعب المعارف منه . أما الامام والولي فهما يسمعان من الملاك مباشرة سمعا روحيا . أما الأنبياء ،فلهم قدرة إبصارهِ بالذات .

والفقيه (المُلاَّصَدْرا) يُقِرُّ بأن العلم الروحي في القلوب ، تحمله اليها الملائكة ، من العزة الالهية ، وقد برهنت على ذلك الآية الآتية : ﴿ **وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ، او يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء** ﴾ . (سورة الشورى) .

هكذا يأتي قلوبَ المتَّقين ذلك العلمُ الروحي، فتفصِّله وتشرحه الأئمة لذوي الايمان وهذا هو العلم القدساني الذي يتناوله بعض مؤرخي هذا الفقه . انه علم القلوب ، والعلم الروحاني .

الفارقليط :

قال بعض شيوخ السُنة بأنه ورد لفظ (الفارقليط) في انجيل يوحنا وهذا اللقب عُني به النبي محمد ، انما لم تعر الشيعة اية قيمة لهذا التشابه ، نظرا للتماثل بين خاتم النبوة وخاتم الولاية . لكن (حيدرَ املِّي وجماعته) فقد ورد في مُؤلَّفهم أن خبر قدوم (الفارقليط) يعني قدوم الامام المستور المنتظر ، وبمجيئه تتفتّح معاني الكلمات الالهية ، الموحاة للدين الحق . فدولة الايمان المنتظر تُنذر بقيامة الموتى وميعاد القيامة والنشور .

الامام الغائب :

لم تستقر فكرة الامام الغائب (المنتظر) الا على الامام الثاني عشر ، الذي انتهى به عالم ابداع الامامه . يُختتم به باطن الباطنيات ، انه امام الزمان المرتقب ظهوره ، ليملأ الارض عدلا . فهو ذلك المصلح الكامل الذي يهيء البشر لحياة ملؤها المحبة والعدالة والصفاء . بتطبيق افضل نظام عرفه انسان ، بموجبه يتوصل الى ذروة المعارف باطناً وظاهراً ، مادة وروحاً ، على ما يعتقد معتنقو هذا المذهب . ان فكرة الامام الغائب تحثُّ على التطلع الى غدٍ أكرم واغنى علماً وتهذيباً ، انه السير المتواصل الى مستوايات حياتية افضل . والرجاء الذي يحدو المرء الى متابعة مسيرته في توخي المزيد من المعارف والمكاسب الروحية ، وهو بَسمة الامل ، حين يشعر هذا الانسان بعيائه إزاء القدر المنذر ، ومشاكل المجتمع وفساد الحكومات . الامام الغائب هو آخر حلقة من سلسلة الامامة ، كلهم نورٌ واحد ، ولهم خط روحاني واحد ، ويتكفّلون بتبليغ رسالة واحدة : هي الاسلام ، هي الإمْتِداد للحقيقة المحمدية ولرسالة محمد وتوحيده . ان مهمة هذا الامام المنتظر تنفيذ الاحكام الاسلامية . انه شخص واحد لا علاقة له في بواطن الاحكام ، ولا هو كلّي ليظهر في كل زمان ، شأن « القطب » في المذاهب الصوفيّة .

حياة الامام الغائب :

بقي علينا ان نلم بالسرعة الممكنة ، بحياة هذا الامام فنقول :

قبضتِ الشرطة العباسية على والد الامام المنتظر (حسن العسكري) وزجّته في سجن (سامرَّاء) بالعراق حتى توفي عام (٨٧٣) عن ثمانية وعشرين عاما .

يوم وفاة الاب ، اختفى ولده هذا ، وهو في الخامسة من عمره ، وبـدأت ما تسمى عند الشيعة « بالغيبة الصُغرى ».

استمرت الغَيبةُ الصغرى سبعين عاماً ، كان الولدُ خلالها على اتصال بأشياعه ومنهم (علي الصيمري) .

كتب اليه مرة يقول : « أنِ أَجْمَعْ أمركَ ولا توصي الى احد يقوم مقامك بعد وَفَاتِكَ فقد وقعت الغيبة الثانية » .

يومذاك ، بدأ التاريخُ المستور للامام الثاني عشر ، هذه الغيبة وما رافقها قد تحكَّمت بـالوجـدان الشيعي وما تـزال . فرؤيتـه مستحيلة حتى يوم ظهـوره . انه في عـالم ملمـوس وغيبي يعطي نموذجاً عن المسيح وغيابه ، وعودته آخر الامر . كما يرى الاسلام ، فظهـوره عـلى بعضهم يفسر معنى حياتهم بـالـذات لأن عجـزهم حجبـه كـما حجب قبله كثيـراً من الهُداة . والهام المفيد في الامر ، هو ان رجعة هذا الامام لا تحدث في يوم معـين ، انما هي رجـاء يعيش في قلوب اتباعـهِ ، من الحـاضر الى المستقبـل . وقيمـة هـذه الغيبـة في هـذه الاطالة ، هي امتداد قبس الرجاء بمُلْكَةِ المِحن .

وجَاء القرآن اخيراً مؤكداً حسن المآب ، واستمراريـ السعادة وغُنم خيـرات الارض للقوم الصالِحين . وتلك هي الآية المؤكدة على ذلك : ﴿ وكتبنا في الـزبور بعـد الذِكـر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾. (سورة الانبياء) وقد اسلفنا ان الفروض المتوجِّبة على السُنـةِ هي عينها متـوجبةٌ عـلى الشيعة الاثني عشـرية مـع فوارق ضئيلة لا مقتضى للتنـويـه عنها .

قال الامام الشيعي الامامي المُعاصِر الشيخ محمد جواد مُغنيَّة في: «رسـالة الاسـلام» موضحاً خطَّ غُلاة الاسلام وصنَّفهم على الشكل التالي : ان الغُلاة في الاسـلام اصناف . منهم اولا السبئية ، التي مرَّ ذكرها ، اتباع عبدالله بن سبأ الذين قالوا في زعيمهم هـذا ان جُزءاً من الله قد اتحد بجسده ، لذلك فهو يعلم الغيب ، وهو يأتي في الغَمامْ . الرعـد صوته والبرق تبسمه . وهذا النوع من التناسخ ينتقل من امام الى امام . ثانياً : الخطابيَّـة : وهم اتباع ابي الخطَّاب ، محمـد بن ابي زينب الأسدي . قـال هؤلاء ان جعفر الصـادق هو إلـه زمانه . ثالثاً : المفوَّضه : اقـروا بأن الله قـد خلق الائمة ثم اعتـزل تاركـاً لهم خلق العالم

وتدبير شؤونه . كما هي الحال في خط الباطن التوحيدي ، الذي ينزّه الله عن أي الاعمال وأي الخلق ، واكلاً ذلك الى العقل الكلي الذي يأتمر بإلهامه . رابعاً : من الغُلاة مَن يدين بثالوث مكوَّن من : الاب وهو علي والابن : محمد ، والروح القدس : سلمان الفارسي .

وخامساً وأخيراً ذكر اشهرستاني أن فئات من هؤلاء الشيعة تعتبر الأئمة آلهة ، أو هي أشباه آلهة و أنصاف آلهة ، بذلك يبتعدون عن التوحيد الاسلامي ظاهراً وباطناً . أما قرأوا الآية الموضحة ؟ . . ﴿ **يا أهل الكتاب لا تُغلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل** ﴾ (المائدة : ٧٧) .

واضاف المرجع الاول : لقد اجمع علماء الامامية الاثني عشرية على نجاسة الغُلاة وعلى عدم الجواز بتغسيل ودفن موتاهم .

الفصل العاشر

المذهب الشيعي الزيدي

ما ان استقرت اركان الاسلام في الجزيرة العربية حتى قُدّر له النزاع والشقاق ، وانبرى المتنازعون فكراً الى تفسير آيات القرآن حسب آرائهم ، وتأويلها قريبة او بعيدة عن معناها الذي اتفق عليه جمهور الفقهاء والمحنا موجزين الى المذهب الزيدي .

خلال هذا الصراع المحتدم مادةً وفكراً ، ولد الامام (زيد بن علي زين العابدين ، بنُ الحسين بنُ عليّ بن أبي طالب) مؤسساً مذهباً شيعياً ، هو الأقرب مضموناً إلى فُقه السُّنَّة .

حياته : ولد الامام (زيد) في سنة (٨٠) من هجرة الرسول وقيل سنة (٧٥) هـ . وقتل سنة (١٢٢) عن (٤٢) سنة تقريباً . كان مناضلاً مقداماً وحَيياً سموحاً ، وكان يغضب لدى سماعه مذمّة الخلفاء الراشدين . من مأثور كلامه : « لا نالَتْني شفاعة محمد (صلم) ان لم اكن مستغفراً لأبي بكر وعمر ومترحّماً عليهما » . اما منزلته في العلم ، فقد اجمع على تقديرها علماء : السنة والمرجئة والمعتزلة والشيعة ، علماً ونزاهةً ونسكاً . لم يهتك

لله محرماً منذ عرف يمينه من شماله (المرجع الامام محمد أبو زهرة) كتاب الامام زيد . دار الفكر العربي ص (٧٥).

آراؤه : كانت آراء الامام (زيد بن علي) حول العقيدة جريئة ونابعة من عميق ايمانه ، لم يأبه لما حملت البدع النابعة يومذاك في خضم الشيعة من آراء وتأويلات .

اما رأيه في القضاء والقدر فقد قال احد سائليه عنهما ، فأجاب : « ويحك لعلك ظننت القضاء لازماً والقدر حتماً ، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد ، إن الله امَر تخييراً ونهى تحذيراً وكلّف تيسيراً .

اما رأي الامام زيد في مرتكب الكبيرة ، فكان متوافقاً مع المعتزلة . غير ان مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار، إذا كان مسلماً ، برأيه . وكل ما نبع من بدع هو في عرف الإمام : جنوح .

كان لا يخرج عن علم (المدينة) ولا يناقضه . على انه لم يكن سلبياً ازاء الجماهير المتنازعة عقائدياً ، بل ايجابياً هادياً الى ما كان يراه حقا . لقد سلك وسطا في تفسير العقيدة الاسلامية ، وما عَرف المغالاة ولا انجرف إلى بدعة . كان يرى مصلحة المسلمين لأحقِّهم هي في تَولِّي (أبي بكر وعمر) لذا فإنه لا يرفض خلافتهما . أما عثمان فلم يقل فيه شيئاً .

وقد خالف الشيعة في :

١ ـ انه لا يعتبر الخلافة بالوراثة .

٢ ـ حق الخلافة لأهل البيت أولا إذا كان كُفؤاً أولاً فلْمصلحة المسلمين .
اختيار الأصلح حفاظا على الحق والدين ، معتبرا الخلافة امراً مصلحياً قبل اي شيء .

٣ ـ يجيز الامام اقامة امامَين صديقَين ، إذا تباعدت الاقطار وإلاّ فلا .

٤ ـ لم يفرض الامام زيد ان هناك اماماً مستوراً ، كما ترى الكيسائية والإمامية والاسماعلية ، بعده . ليس في يقينة (مهدي منتظر) .

٥ ـ يرى ان الايمان والعمل متلازمان ، فمن لا يعمل عاصٍ ومرتكب كبيرة .

خالف الامام (زيد بن علي) الكيسانية والقدرية ، إذ اعتبر ان علم الله ازلي

قـديم ، وان كل شيء بتقـديره ، وإن الله قـد كتب في لَوحـهِ المحفوظ كـل ما سيقـع ومـا سينـزله بـالعباد . ومـع نفي الامام زيـد لفكرة (المهـدي) فقد نفى فكـرة رجعتـه ، لان الامام يجب ان يكون غير مستور ، في رأيـه . وهو يـرى الامام غـير معصوم ، وهـو ككل الناس . ليس علمه فيضاً او اشراقاً ، بل علمه بالـدرس والبحث ، وانه يخـطىء ويصيب كغيره من الناس ، كما أنه يعتمد السيف لقتال مناوئيه ، إذا اقتضت الحاجة .

كان مؤمناً بان الامر بالمعروف والنهي عن المنكـر ، هما احـد اصول الاسـلام ، وانه كان يثبت الصفات التي جاءت في القرآن ، عـلى انها معاني للذات الالهيـة . اما كـلام الله فلم يثبت عنه توضيح رأيه فيه .

كـان الامام زيـد وكل تـلاميذه وتـابعيه فكـرياً ، يُحسَبـون معتـدِلـين ، يقبلون كـل الاحاديث المروية عن الرسول ، ما دام الرواة ثِقاتاً .

الزكاة : للامام زيد رأي واضح في الزكاة ، طبَّقَهُ عمليّاً ، هو :

١ ـ ليس في المال الذي تستفيده زكاةً ، حتى يحول عليه حولٌ منذ افدته .

٢ ـ ان الزائد المستفاد في اثناء العام تجب فيه الزكاة ، الا إذا حال عليه الحَول .

٣ ـ لا زكاة عن مال اليتيم ، بخـلاف جدّه الامـام علي ، ومثله المجنـون والمعتوهُ ، لأن كل هؤلاء غير مكلفين .

كل مخلفات الامام زيد بن علي غير مطبوعة ، بل مخطوطات ، انها مُستنبطة استنباطاً منطقياً ، وذلك لان مثله كان مثل المعتزلين في معظم آرائهم . منها : ما يتعلق بمعـرفة الله والاعتماد على العقـل في كثير من منـاهجه . فـالعقل هـو الاصل الاول في علم الاجتهـاد الفُقهي . وكل مجتهد لم يجد في الشرع طريقاً للتحليل والتحريم ، رجـع الى ما يقضي بـه العقل .

القرآن : هو في اصول الفقه الـزيدي : كـلام منزل عـلى النبي محمد بن عبـدالله . يُستفاد منه .

١ ـ انه منزل وانه معجزه .

٢ ـ انـه لم يعتـبره زيـادة ولا نقصـاً بـاجمـاع العلماء . بخـلاف بعض الامـاميـينّ الـذين اعتبروا فيه نقصاً . يعتبر علماء الفقه الزيدي ان لفظ الآيات : محكم ومتشابه ، حسب مـا

جاء في الآية : ﴿ هو الذي انزل عليك الكتاب ، منه آيات محكمات هنّ ام الكتاب وأُخَرُ متشابهات ﴾ والمحكم عندهم ما لا يقبل التأويل .

المعصومون : يعتبر فقهاء الاصول الزيدية ان االمعصومينَ اربعة : (علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين) وقد اضافوا : الامام (زيداً بن علي) . وقول الصحابي إذا لم يكن من إجماعٍ عليه فليس بحجة . لا يأتي المجتهد في المذهب الزيدي غير ما رسمه ائمة مذهبهم ، ولا يجوز لهم تعدِّية اطلاقا . على ان لهم حق الاجتهاد المنتسب لا المطلق ، اعني يحق لهم استنباط احكام فروع لم تؤثر في المذهب ، ويكون اخذهم أخذ اجتهادٍ لا أخذ اتباع . وإن ما أختاره الائمة غير المعصومين بالاجتهاد ، يجب ان يتفق مع منطق المذهب الزيدي وأصوله ، وإن تكن قد تعددت الاجتهادات في هذا المذهب ، وقد بقي معافىً كلياً . ولأن المجتهدين كانوا حريصين على منطق الفقه الزيدي الاصيل اولا ، ولأن انتشار هذا المذهب في اصقاع متباعدة الحدود ، اوجب على الفقهاء هذا الاجتهاد ، مراعاةً للبيئات المختلفة ، وخدمة للانسان الزيدي .

كل هذه الاجتهادات مع أصولها مشبعة بروح التسامح ، او القبول لكل الآراء ، ما دام لها ملتمس من هَدي النبي محمد ، أياً كان طريقه . ويمكن ايجاز المذهب الزيدي بالآتي :

١ ـ انفتاحه في الفقه وتسامحه واجتهاداته لِمراعاة الشعوب .

٢ ـ نشاط فقهائه ودراستهم لكل المذاهب ، وانتقاء الأصلح من عقائدها .

٣ ـ مراعاة الفقهاء للبيئات المتفرقة التي نزلوا فيها فارين ، مع حكم العقل ومجاراة السلف المعتدل .

٤ ـ الخلافة تمكن غير وراثية ، ولا من البيت ، إذا كانت بذلك مصلحة للاسلام .

٥ ـ المذهب عموماً قريب جدا من المعتزلة ، ومتقارب مع المالكية والحنفية والأثني عشرية .

٦ ـ احترام ابي بكر ، والدعوة إلى مكارم الاخلاق ، وإلى السيف لدى الاقتضاء .

٧ ـ اعتبار الاسلام كُلّاً ، والمذاهب يجب تلاقيها ، والحدُّ من الغلوِّ والشرود فيها .

على هذه الاعتبارات قامت وانتشرت الدعوة الزيدية رغمَ ما طالها من اضطهادٍ كانَ سبَبُهُ النزاعَ السياسيَّ المغلّف بالعقيدة .

الفصل الحادي العشر

II الشيعة (الاسماعيلية)

كان نصيب الشيعة الاسماعيلية من اقلام المؤرخين المسلمين السابقين نصيبَ كل مذهبٍ اسلامي باطني : زندقة والحاد ، فسق واباحية ، فوضوية وضراء وتمرُّد .

اثبت التاريخ المعاصر ، بواسطة مؤرخيه الاعلام ، من مسلمين وغيرهم ، ان كلام اولئك السابقين عن هوى وجهل ومصلحة خاصة ، برهن على ذلك المؤرخ محمد حسن الأعظمي ، أمين عام الجمعية العربية العامة ، وسكرتير مؤتمر العالم الاسلامي ، ومؤلف كبير ، برهنه في قوله بالصفحة (٤١) من كتابه : عبقرية الفاطميين قال : « ان المؤرخ من هذا النوع واحدٌ من ثلاثة : رجل يطمع في مغانم الدولة فيبني ويهدم على هواه ، ورجل يحمِّله سلطان الحكومة الكيد لخصومها فيسترسل في الاتّهام ، وثالث يجهل الحقائق فيعمد إلى الأباطيل » . وتناول الأستاذ محمد كامل حسين ، رئيس الأزهرِ الإسماعيلية محققاً مدَققاً ، كما بحث فيها المؤلف الاسماعيلي ، (عارف تامر) على ضوء رسائل من أئمة الشيعة الاسماعيلية .

ثم كان للبروفسور (هنري كوربان) المستشرق الفرنسي الكبير جولات عميقة علمية صادقة في هذه الفرقة ، استقاها من الينبوع الاصيل واوضحها في كتابه : (الفلسفة الاسلامية) استنكر هذا العلاَّمة ان تُنسب للاسماعيلية القابٌ هي على عكسها تماماً ، مثل : حشّاشين وسفّاكين . اعتمدنا في هذا البحث هذه المصادر الاربعة قبل سواها ، وما نثبته هنا انما هو جوهرها ، مطمئّينَ الى صحته .

ان قوام عقيدة الشيعة السبعية هو ان الله أَنزل القرآن على محمد ، بأحرفه (التنزيل)، وباطنه (التأويل) على عليٍّ، وقد أورث عليّ سلالته الإمامة وطرحوا أركان الدين الاسلامي واولوها بما يعود معظمه الى الامام . وفي تأويلهم ان القرآن يعني الإمام ، والشمس والقمر هُما الائمة ، والأرض والسماء هي الدعوة ، والشياطين هم : اعداء الأئمة . وقالت الفرقة إن الانسان حين يموت يستحيل عنصره الترابي الى ما يُجانسه من تراب ، والروحاني (الروح) ينتقل إلى الملأ الأعلى ، سنوضحه لاحقاً .

ان الشيعة السبعية فعلت بالقرآن ما فعله القديس غسطين بالأناجيل ، حين اسرفوا في تأويلها (محمد كامل حسين).

حَمَلةُ العرش :

في كتاب (ذهب المعاني) للداعي (إدريس) أن العرش هو العلم الباهر . والثمانية : (حاملوهُ)، هم اسس النطقاء من آدم حتى محمد . اما في دور محمد فَحَملَةُ العرش هم : (فاطمة) حتى (محمد بن إسماعيل)، والعرش هو السِر الخفي الظاهر لهؤلاء وحدهم . وقال الشيرازي ان العرش هو المبدع الأول (العقل الكلي).

الأمانة :

ان الآية : ﴿ إنّا عرفنا الامانة ﴾ . . تناولتها ألسُنّة فقالت هي : كلمة التوحيد ، وقالت المعتزلة هي: أهل السماء والأرض ، وقال الفقيه (الشيرازي) الإسماعيلي ، هي : الولايةُ بالذات ، والانسان الذي عجز عن حملها هو الضِدُّ : إبليس .

الجَفْر :

انه العلم المجازيُّ للحروف .

الدعوة الاسماعيلية :

بدأت هذه الدعوة في السماء مناديةً بالتوحيد الباطني ، بلسان (العقل الاول)، الى جميع صُوَر عالم الإبداع النوراني قبل الزمان . بدأت على الارض في آدم الأول . وان آدم الروحاني قد رفض الحد الذي سبقه (العقل الثاني) معتقداً بإمكانية الوصول الى المبدع . وقع في الحيرة فارتدَّ بِحَيرته هذه ، وبغروره الى الدرجة العاشرة ، وكان في الثالثة منها . لكنه استعاد مكانته بعد لأيٍ ، بواسطة تتبُّعه للأحرف الكُروبيَّة السبعة (الكلمات الالهية) فأعانته على العودة الى نفسه ، ولأسبابٍ واضحة غدا الرقم (سبعة) مرموقاً لدى الشيعة السبعيَّة المسماة بـ (الإسماعيلية) .

كبار مفكريها :

اشهر فقهاء هذه الفرقة هُم : أبو الحاتم الرازي المتوفَّى عام (٩٢٣) وأبو يعقوب السجستاني والنيسبوري ثم حميد الدين الكرماني المعاصر للحاكم بأمر الله . وكثير غيرهم .

التكاليف :

اول من قام بوجوب تطبيقها باطنياً الإمام : محمد بن إسماعيل ، المناضل الديني العنيد ، الذي اوجد دَوْرَ السِتْر ، وجاء بتعاليم مستجدة على الشيعة ، ابرزها : رفع التكاليف الظاهرة ، والمناداة بالتأويل ، وبالمعنى الباطني . وكان حجّته (ميمون بن قدّاح) .

التخفّي :

كانت الاسماعيلية اسبق الفرق الى التخفّي عن رهبة وعن قداسة معاً . وكان حتى المستجيب للدعوة لا يعرف الدرجات التي تَلي درجته ، والتقيّة توجب ان يتخذوا لكل حالةٍ لبُوسَها ، عن حنكة وتستر بالمألوف . ويعتقد أشياع هذا المذهب بأن السريّة فيه ليست وليدة العصر ، والاضطهادات التي تطالعهم، إنما هي قديمة قدم الانسان. في دور الكشف السابق توجّب على الكبار الأعلَين إعادة نظام الاسرار والتقية . فأعيدت العلوم الروحية الى الكون ، وباتت الانسانية ـ على زعمهم ـ غير جديرةٍ بنشر الغيوب .

وحيث لا بد من ابداع شريعة ودين للبشر ، نزلت شريعة التأويل والرموز حتى القيامة . وما الدعوة الباطنية الا الجنة بعينها . وكان (هُنيد) آخر ائمة دور الكشف السابق ، المشار إليه . وقد أقرَّ بولايتهِ الملائكةُ كافةً عدا إبليس ورهطِهِ . وكان إبليس حدّاً فسقط لغروره كما مرَّ بنا .

الحدود :

هناك حدود ارضية يقابلها حدود سماوية ، وكلاهما متماثلون . فان الناطق هو الشبيه الارضي للعقل الاول في السماء ، وصاحب الدعوة فيها . اما كلمة « حد » في بعض الديانات الباطنية فتعني العلاقة الوطيدة بين فعل التوحيد (معرفة الواحد) وبين التوحيد نفسه ، انه توحُّد الوحدة .

ان الحد هو الذي يحدد مقدار الجوهر الانساني ، وقربه من أصله ، ويحدد كذلك مرتبته في الوجود . فالحدود الجسمانيون هم وسيلة بين المولى « الله » وعِباده .

أما السؤال: ما هو الحدّ ؟ وكيف يتكون؟ وما إليها؟، فقد ألمح إليه الكُتّاب الايرانيون القدامى ، قائلين بأنبثاق الوجود من العقل الاول . والكتّاب اليمنيون ، وكلهم

اسماعيلية ، يقولون : « ان الحدود كلهم صُوَرٌ نورانية لعالم الابداع ، وقد أُبدِعوا دفعةً واحدةً . لكنهم تميزوا بسبقهم التدريجي الى التوحيد ». وان العقل الاول او السابق في التوحيد لا في الزمان ، هو عينه كلام الله . انه في المسيحية « لوغس logos الروح القدس ان شئت . اما الحدود الروحانية فلا تُرى إطلاقاً .

العقل والنفس :

قال الأعظمي في المرجع السابق ص (٣٠): العقل هو الهيولى والصورة ، يصدر عنه عالمُ الطبيعة بأفلاكِها وبما تحويه . وعن الملائكة يصدر الانسان بنفسه ، لذا قيل ان كلًّا من الجسم والنفس يرجع الى اصله . وعاكسهم بذلك اخوان الصفاء ، الذين قالوا: إن العقل والنفس مصدرهما روحاني ، والجسد ترابي . وقال فقهاء الاسماعيلية ان العقل هو القلم ، والنفس هي اللوح ، وبالنفس ظهرت فضيلة العقل . فالعقل هو السابق ، والنفس سُمّيت بالتالي .

النفس الضدِّية :

انها أنفُسُ المعاندين والطغاة والمجرمين والفَجَرة ، ومصيرها حسب دراسة (محمد كامل حسين) في المرجع السابق: «إن الضدِّية لدى موتها تمتزج بالجسد وتصبح نارية محرقة ، تحاول الصعود فتمنعها الافلاك فتعود تبحث عن جسمها فلا تجده ، فتدور وتحوم حول البواليع ، ثم تستحيل في المأكولات فيأكلها الضِدُّ وزوجته » .

بذلك يستمر الشر والمعاندة والفُجور على الايام ، استمرارَ الخير ، كما سنرى .

وقيل أن هذه النفوس بعد الموت تنتقل إلى مدار (الجُدَيِّ وسَهيل) « كَوكبانِ » حيث الحَرُّ والزمهرير . وقال غيرهم، إن مقرَّها في (زُحَلَ والمريخ) بلاد الويلات . قبل أن تثبت عدم إمكانية سُكنى المريخ ونفى العلم الحديث وجود حياة فيهما .

النفس الوليَّة :

تبقى هذه النفوس حساسةً بآلامها . كل ذلك بِوسوَسَةِ ابليس (الشيطان) واعوانه . يقول (هـ . كوريان): عندما يستجيب المرء للدعوة ، يتصل به قَبَسٌ من النور المنبثق من المستجاب منه ، الاسبق الىَ التوحيدُ ، فيجذبه بواسطة مغناطيسية (عامود النور) فيرتفعان معاً الى الحد الذي يعلو عليهما ، وهكذا يستمرّ الارتفاع تدريجياً

ومرحلياً ، حتى الهيكل النورانيّ الذي يعني : الإمــامة بعينها وهناك النعيم السرمدي . قال عارف تامر : ان النفوس الرضية تنتقـل الى المشتري والـزَهرة ، حيث النعيم . امـا نفوس الأئمة المتوفّينَ فيرقون لِيؤلّفوا « الهيكل النوراني الأعظم » . علماً بأن الأستاذ تامر اسماعيـليُّ المذهب .

الامام :

قال جعفر الصـادق : « نحن آيات الله الكبـرى ، واسماؤه الحسنى . . . لن يقبض الله مِنّـا سلفـا حتى يبعث منّـا لأمـره خَلَفـاً » . وأكمـل : « إلى أن يـرث الله الأرض ومَن عليها » .

فالامام اول المبـدعات ، والله يحاسب الواحـد ، والواحـدُ يحاسب الستَّـة ، والستةُ يحاسبون العالم . « والقائم » هو الذي يجيء بـالجسمانيـة ليحاسب العـالم ، ويملأ الارض عدلا .

وقال الصادق : ان كـلام الله : ﴿ **الله نور السمـوات والارض** ﴾ . . يدلُّ عـلى ان الله هو الدلالة على الائمة ذُرِّيتِنا ، وهؤلاء هـم ذلك النور . (عارف تامر) .

وأكمل المرجـع : كان (عـدنان) هـو الإمامَ بعهـد موسى ، وكـان حجَّته (شُعيب العبد الصالح)، وهو مُكلِّمُ موسى من الشجرة ، وفي عهـد المسيح كـان الامام (خُـزَيْمة) ووكيله زكـريَّـا بشَّر مـريم بـالمسيـح . وقـد حصر البـاري في العقـل الأول : (الامــام السماوي)، صُوَرَ المُبدَعات كلها ، وهو « الكلمة » المنوَّهُ عنه من قبل .

القائم :

هو المهدي والسابق فأنه معلول بكلمة من خارج ، والله يهديه بواسطة العقل . وقد ابدع الله العقلَ من لا شيء ، وخلق النفس من العقـل فهي مخلوقة . نـرى في اراء بعض علماء الاسماعيلية شيئاً من التناقض في قشورها . هذا التناقض ظاهر في رسائلهم المطبوعةِ فلا مجال للتساؤل .

وقال الشيرازي : ان النور خلقهُ الله قبل الخلق ، ما زال ينتقل من ناطقٍ إلى وسيطٍ حتى اتصل بالإمام عن : (كامل حسين) .

وقال (كوربان): عندما يتكلم الاسماعيليون عن ناسوت الامام فانهم يلمحون الى

ان جسده ليس كسائر اجساد البشر ، انما هو من مغناطيس كوني ، يمارس عمله على اجساد المستجيبين الأثيرية ، ونفسهم الريحيَّة . وتتصاعد هذه البقايا من سماءٍ لِسماء ثم تنزل مطهرة مع اشعة القمر ، فلا تُرى انما تظهر بشكل ندىً سماوي على وجه الماء الصافي أو على الثمار، حتى إذا ما استهلك إمام تلك الحقبة هذا الماءَ أو الثمر ، يستحيلُ بُرعماً لجسدٍ لطيف هو جسد الإمام الجديد الشِبه شبه كافوري، بذلك يتكون « ناسوت الامام » . فأتحاد الناسوت باللاهوت في شخصه لا يتّصل إلى فكرة الاتحاد « الأقنومي للطبيعتَين » لأن هذا الجزء من اللّاهوتِ ليس اللاهوتَ نفسه .

ان آدم الاول (الصورة الارضية للانسان السماوي) هو اول امام اسس ديانة . انه ظل الله ، والانسان الكامل . وان انجيل يوحنا (١٤/٩) يشير الى ذلك بالنسبة للمسيح وتعاليمه وباطنيَّته . فَمعرِفةُ الامام هي معرفة الله . وقال الصادق : « يمر الانبياء ويتغيَّرون واما نحن فانَّا باقون » . دلالة على استمرارية انبثاق الشعاع الروحي في كل دور . هذا ما نتوسم منه الانفتاح ، ومجاراة العصور في تطوراتها . وتدليلا على توحيد الله . وعلى مقام الأئمة منه قولهم : النور الذي يشع عن المصباح ليس المصباحَ نفسه ، ولكن لولا ذلك النور لما اهتدينا الى المصباح المُشِعّ .

المُبدع :

لا تقول الباطنية الاسلامية عن الله الخالقَ ، معتبرين الخلقَ أمراً من الله تمَّ بواسطة حدوده ، إما انبثاقاً تدريجياً او بقوله كُنْ فكان كل شيء .

المبدع في إيمانهم فوق الكائنات ، هو غيب الغيوب ، لا تدركه الابصار ولا تحده البصائر ، ليس له اسم ولا صفة ولا نعت ولا وجود ، ولا عدمُ وجودٍ . انه مانح الكينونة وفعلها . انه في آن عدمٌ وَوُجودٌ ، زماني ولا زمانيّ . انه منزَّه ومجرَّد معاً .

العقل الفعَّال :

هو العقل العاشر بذاته في مدرسة ابن سينا ومدرسة الإشراقيين ، وقد دُمج مع الروح القدس جبريل كملاك المعرفة والوحي . وفي رأي بعضهم ان انبثاق الخلق حصل منه ، وحين تكاملت مادِّية الإنسان ، انبثق للوجود ، وقد أيَّد هذا الاعتقاد لفيفٌ من الباطنيين في الاسلام ، بينهم الدروز .

القيامة :

في رأي إسماعيلية (أَلَموتْ) أن القيامة تعني مجيء إسلام روحاني خالص، متحرر من كل ذهن تشريعي ، ومن كل عبودية للقانون . فالقيامة هي الولادة الروحية ، وهي تجعلنا نتكشَّف ونعيش المعنى الروحاني للإيحاآت الإلهية .

سلمان :

هذا الصحابي الجليل ، يتمتع بمركز رفيع لدى الاسماعيلية ، كما هو لدى غيرهم من الباطنيين . يقول (كوربان) : قام سلمان بأعباء الملاك (ميكائيل) والانسان السماوي وبوصْفِهِ التجلِّي الإلهيِّ الأوليِّ . وإذ رفض سلمان الألوهة لنفسِهِ فقد استشفَّها وغدت لا تُعبَدُ إلا من خلاله .

قيل : من عرف نفسه فقد عرف مولاه (امامه) . وتلك هي المعرفة التي وعد بها الامام الأول (علي) القائل : « كُنْ مؤمنا بي أجعلْكَ شبيهاً بي مثل سلمان » فان بمعرفة هؤلاء يتعرف المرء الى الواحد الأحد . وقال المرجع نفسه : كما ينوب القمر عن الشمس فيضيء الليل ، فحجة الأمام هي برهانه ، وكافِلهُ : سلمانُه .

ذلك هو سلمان في هذه العقيدة ، وقد رمزوا الى ذلك بالاحرف : (ع - س - م) اي علي ثم سلمان ثم محمد . ولعل مذاهب اخرى باطنية رفعت مرتبة سلمان الى حدِّ العقل الأول الكلِّي ، أعني : إمام الزمان .

بهذا ننهي فصل الإسماعيلية، منوِّهين إلى أنها عقيدة عميقة الجذور في الفلسفة العرفانية ، وليست كما وَصَمها المؤرِّخون المغرضون باطلاً بـ : الحشَّاشين . (المرجع السابق للمستشرق الفرنسي هنري كوربَن في مؤلَّفه : الفلسفة الاسلامية) .

الفصل الثاني عشر

III البهرة

انها فرقة من الاسماعيلية الإيرانيَّة تشبَّثت في جبال إيران الشمالية، بسبب ما آنتابها من اضطهاد العباسيين لها ، وان تسمية هذه الشيعة بالحشّاشين مردها لهم دون سواهم ، للظروف التي سبق ذكرها .

كان صاحب الدعوة (حسن الصبَّاح) ونقل اشياعُ المذهب حفيدَ الامام (نِزار) الى قلعة (أَلمُوتْ) (إيران) الحصينة ، رهبةً وخيفة من اغتياله .

وهم الذين قدموا سلمان على الرسول ، واعتبروا معناه الروحي معنى الامام بالتمام . كما انهم لقربهم من (الهند) ووجودهم في قلب (فارس) وبُعدهم عن الجوالسنيِّ المهيمن ، فقد اعتنقوا مبادىء عرفانيةً صوفية ، ابعدتهم بعض الشيء عن شيعتهم السبعيَّة .

إن ما نوهنا إليه عن الامامة: (إن مَن رآني فقد رأى وجهَ الله نفسه) فتلك هي قيمتها الروحية (الفائقة). أما الاسراف في التأويل فكلُّه يعود لفرقة البهرة الايرانية قبل سواها ، لانها كما سبق تعمقت في مجاراة التيارات الفكرية المستجدة . وفرقة البَهَرة هذه اخت للسبعية المِصرية الشامية وسُميت بالنزارية ثم بالأغاخانية ، نسبة الى الرئيس (آغا خان) الذي انتهت دولته الارضية في افغانستان ، لكنَّ له اتباعاً كُثراً في ايران والهند يمارسون العقيدة بحرية . وأرضه الأصيلة اليوم فماركسيَّةٌ شيوعيَّة .

مدى الفقه الاسماعيلي :

ان لكل ظاهرٍ باطناً ، ولكل تنزيل تأويلاً ظاهراً وباطناً معاً ، بتأكيد الداعي الاسماعيلي الكبير : الشيرازي . انهم ينكرون صفات الله ويعللون ذلك بأن الله فوق متناول العقل . يعتبرون : القديم امره وكلمته ، والحديث خلقه وفِطرتَه (الملل والنحل) يقولون بأن العالم من إبداع (العقل الكلي) . هذا العقل هو مُجملٌ لجميعِ الصفات الالهية . وفي نظرهم الاله مُمَثَّلاً في مظاهره الخارجية . فالعقل هو : (الحجاب او الصلة). يحل (العقل الكلي) في إنسانٍ هو النبيّ ، وفي الأئمة الذين يخلفونه ، وهذا العقل يسمَّى ناطقا ، والنفس الحالَّة أساساً (فالناطق) هو النبي الذي يبلغ الكلام المنزل ، والاساس هو الامام الذي يفسر ما أُنزل معتمداً على التأويل (دائرة المعارف الاسلامية) . وفي عقيدتهم ان العقل الكلي حاملٌ صفات الالوهة هو في العالم العلوي ، يقابله الامام في العالم الجسماني . هذا الامام ، اما ظاهر مكشوف واما باطن مستور .

لقد اخضع المفسرون الاسماعيليون ، آيات القرآن لتفسير رمزي يتمشى مع عقيدتهم تلك ، بشكل سرّي . اما (الإمام) في نظرهم ، فيجب ان تكون طاعته عمياء

لأنه مُنزَّه عن الخطأ ، مستمدٌ معلوماته الروحية مباشرةً من الله . هذا (الامام) لهُ صفات خليـلِ الله وكليم الله ، والمسيحِ مُحيي المـوتى . قالـوا : إن القرآن والشمس والقمـر كلُّها تعني الإمـام . وأن السماء والأرض والجبـال هي (الـدُّعـاة) . وأن الـطاغـوت والأصنـام والشياطين هي أعداء الأئمة .

آدم :

في العقيـدة ليس آدم اول الخلق ، بل سبقـهُ بشر كُثرٌ . وان (حـواء) لم تكن بأنثى ولم تتـزوج بآدم ، انمـا كانت اقـربَ دُعاتـهِ اليه ، وكـان كلاهمـا ينعم في دعـوة (الإمـام) السابقة لآدم وهي (الدعوة الاسماعيلية) ويعنـون بها (الجنَّـة) التي وصفها القـرآن . اما خطيئة آدم فهي انه تطلع الى مرتبة اعـلى من مرتبتـه ، فأخـرجه الامـام من جنته (اي من دعوته الاسماعيليه) .

اعتمد الاسماعيليون على جعل العَدَد من أصول عقيدتهم ، شأن (الفيثاغـورية) . فالواحد عندهم هـو العقل الكـلي (القلم)، والاثنان همـا : العقل الكـلي والنفس الكلية اي (القلم واللوح) والثـلاثة هم : محمـد وعلي وفـاطمة . والخمسـة هم : محمـد وعـلي وفـاطمـة والحسن والحسـين . وهؤلاء نفسهم هم : القلم واللوح وميكـائيـل وجبـرائيـل واسـرافيـل . ومن عقيـدة هؤلاء القـوم ، ان مـا في العـالم الحسي اشبـاحٌ لِمُثُـلٍ في العـالم العلوي ، على الطريقة الافلاطونية .

هؤلاء أقروا بان العـالم خُلِق بواسـطة (Logos) الكلمة ، وهـذه الكلمة هي لفـظة « كُنْ » التي وردت في الآية الكريمة : ﴿ إنما أمرهُ إذا أراد شيئاً أن يقـول له كُنْ فيكـون ﴾ والحرفان في كُنْ يرمزانِ إلى القلم واللوح (العقل والنفس) .

لقد دار خلاف عميق بين كبار ائمة الاسماعيليـة : (منهم الرازي والسَجْسْتـانيُّ ثم الكرمانيّ) حول العقيدة ، لكنهم جميعاً مُتَّفقون عـلى ان الإمام مـوجودٌ ومعصـوم ، إنه من نسل (محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق) . وان على الإمام ان ينصَّ عـلى إمامـة احدِ ابنائِه بعدَه ، لكن هذه السُنَّة لم يُعمل بها نهائيا .

الله :

يقول محمد حسن الأعظميُّ « ان اهل السُنَّة يكادون يجمعون على رؤية الله للمؤمنين

في الآخرة » . وقال فريق بجواز رؤيته ، وذلك نقلاً عن الملطي ص ٤٨ والفَرق بين الفُرق ص (٣٢٤) - وابن حزم ج ٣ ص ٢ وما بعدها . وذُكر عن (المُشبِّهة) بِجواز رؤيته في الدنيا .

الفصل الثالث عشر

مذهب العلويين

أَطلق المؤرخ (محمد أمين غالب الطويل) لقب « نُصَيريةِ» على المسلمينِ العلويين، وما هذا اللقب الا بداعي العداوة المذهبية ، كما كان يطلق اسم الإماميين ببعض المناطق بالروافِض . كل هذا مُنافٍ لحقيقة الفرقتَين .

تاريخ المذهب :

في السَنةِ العاشرة للهجرة كانت (حجة الوداع) الشهيرة لدى العلويين ، لانها كانت مبدأ تشكل حزب علي . فإن بِيعة (غَدير خُم) في السنةِ العاشرة وفي الثامن عشر من ذي الحجة ، هي أعظم يوم لدى العلويين .

بيعة الغدير أثبتت لعلي مكانته المقدسة العلوية ، وحين غُمز على الرسول في جعله علياً وصياً ووليا على المسلمين اجاب محمد : .. إِنْ هُوَ إِلاَّ وحيٌ يوحَى . ويعتقد العلويون بان بقاء العقيدة العلوية مكتومةً هو من كمال الاسلام ، لان النبي بشر بالولاية ، وبقي حريصاً على كتمان التَقِيَّة . وهذه التقية لا يفسرها الا الفقهاء العلويون الباطنيون . غير انهم يلمّحون اليها بالقول : ان اهل البيتِ تَعلموا علوماً لم يسمعها غيرهم . وهنا تبدأ هذه الاسرار . (تاريخ العلويين محمد امين الطويل ص : ١٢٦) اهل البيت هم المعصومون ، لا يحرِّفون الحقائق .

ان كلمة نُصير مردُّها الى حزب الأنصار الذي ينتمي اليه العلويون في البدء ، وسُمُّوا بالعلويين لشدة مناصرتهم وتأييدِهم للإمام علِي، بعد أن ظفر بالولاية والوصاية من سيد المرسلين . وغير مقبول نسبهم الى السيد ابي شُعيب محمد بن نُصير النمري .

أما ما لفَّقه أحدُهم حول عقيدة العلويين أنهم المارقون في (الباكورة السليمانية) فكلُّه أباطيل وهذيان . وما الباكورة إلا كتاباً مُغرضاً حاقداً .

القدح :

ان التطاحن السياسي الـذي استشرى في العهـد الاموي بـين هؤلاء وانصار عـلي ، رافقتـه مطاعن من الـطرفين ، فكـان الامويـون يلعنـون علياً ، ويقـاتلون ويضـطهـدون اشياعهُ ، وبالمقابل اتخذ العلويون مَسبَّة الحزب المعارض الناقم ، وسيلةً للانتقام وحسب ، وليس في الحالين فريضة قط .

ان المذهب العلوي كما يؤكده الحاج (عبد الرحمن الخيِّر) لا يفترق في شيء جوهري عن المذهب الجعفري . وما الجُنبلانيَّة إلا طريقة كالطرق الصوفيـة لا أكثر، تعـود للعلاَّمـة الفقيه الجنبلانيّ ، في العصر الثالث للهجرة ، وهـو الذي رفض التقـرب من الاسماعيليـة بِمُوآزرة الخُصَيبيِّ استاذِ بني (بُوَيه) العلويين .

إن الفوارق بين الأئمة : الحيدريِّ والكلازي والماخوسي كلها سطحية لا تمس جوهر العقيدة في شيء .

العقيـدة :

ان كتمان عقيدة العلويين لا يعني ندَّهـا عنِ الإسلام قط . يقـولون ان الـدين عند الله الاسلام ومن يتَّبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه . . . كل مـا حام حـول العقيدة من تهم وافتـراء انما هـو لظروف سيـاسية عصبيـة . أمّا الإمـامة فهي هِبـةُ الله خاصـة بـأهـل البيت ، ولا علاقة لها بالعباد . وان الثقة العظمى التي اولاها العلويون للإمام عليٍّ بصفتـه النور الأول الذي انبثق من الله لأول خلقه ، تلك الثقة أُولتْ كتاب (الجَفْر) الذي صنَّفه الامام الأول ، قيمة كبـرى لما تضمَّن من حقـائق وتنبؤات آمنوا بهـا . وخَلَف جَفْرَ الامـام الأبيض (جَفْرٌ أحمر) هو للإمام جعفر الصادق ، وكلمة جَفْرٍ تعني : جِلد .

يتبـين من نص الحاج عبـد الـرحمن الخـيِّر ، وممـا ورد في مؤلف الـطويـل (تـاريـخ العلويـين) ، أن المذهـب العلوي هـو إمامي جعفـري بفلسفته وأحكـامه المـذهبية ، عـدا فوارق طفيفة في سطحية المعتقد .

على انهم يُضيفون التقليد التالي : زيارة القبور بتكرارٍ خاصـةً اثر المـوت ، معتقدين بان للأموات حياة بـاقية . اعتمـدوا بهذه العـادة الشائعـة لدى كـل المسلمين عـلى الآية : ﴿ ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا . . . امواتاً . . بل احياءٌ عند ربهم ﴾ .

الامامة :

إنها نصٌّ إلهي المحنا إليه ، تبلَّغهُ الرسول من ربه ، وسُمِّيَ به الأئمة الإثنا عشرَ بالتوارُث لا بالمبايعة . انها نص قاطع لا وِلاية عهد .

ان ميزة الائمة هي روحية ، ودليل هؤلاء قول الرسول : « علماءُ امتي كأنبياءِ بني اسرائيل » . المقصود بالعلم هو ما تناقله عن النبي اهل البيت منفردين ، قال عنهم تعالى : ﴿ لِيذهَبْ عنكم الرِجس ﴾ .

والميزة الكبرى للأئمة هي أن الانبياء يوحى اليهم او يكلَّمون . اما الامام فمعصوم ومطَّهر وهو مصدر الارادة الالهية ، دون وحي ولا واسطة .

العلويون يعتقدون بأن الاصابة في تفسير القرآن منحصرة بالائمة دون سواهم . وكل تفسير غيره تحت احتمال الخطأ ، بينما الامام معصوم عنه .

ألم يذكر القرآن : ﴿ وكل شيء احصيناه في امامٍ مُبين ﴾ إذاً فالإمامُ عارف لعلوم الاولين والاخرين وهو مخلوق بل اشرف المخلوقات واسبقها ، منذ الذَرْءِ الأول لمعرفة الله ، وهو امتداد لفيض نوره .

علي :

هو الامام الاول والاسبق لتوجيد خالقه ، والحافظ لعلوم من سَبقَ وسيلحق ، وهو مُورِّثُ الإمامةِ بعده بنص الهي لِنسله الطاهر : العِقد الزُمردي . ومن الاحاديث النبوية المتداولة : « مَن كنت أنا مولاه ، فعليٌّ مولاه . اللهم والِ مَنْ والاهُ . وأدِرِ الحقَّ معه كيفما دار » . من هنا بدأت الدعوة العلوية ، وتميزت بخصائصها التي ألمحنا إليها .

قال الرسول كما يروي الشيعة : « عليٌّ بن أبي طالب بابُ الدين ، مَن دخله كان مؤمناً ، ومن خرج منه كان كافراً » . ثم كرَّر : « عليٌّ مني بمنزلة الرأس من بدني » وقال : « يا علي ، أنت أخي في الدنيا والآخرة » ويروي الشيعة . والعلويون منهم خاصةً عشرات الأحاديث النبوية التي تنوِّهُ بِقيمة علي ، وبعظيم صِلتهِ بالرسول ، وعلوِّ مرتبته الروحية لدى خالقه .

وتقول سُورة « الأنفال » : ﴿ وأُولُو الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾ . فاتخذت

الشيعة عامة هذه الآية للتأكيد على وراثةِ الامامة ، فالتزموا بالنصّ وقدّسوا وعَصَموا أيمتهم ، وخاصة (فاطمة) فإنها الواسطة الوحيدة لبقاء نسل النبي ، عدا ما تحلّت به مكارمَ وسموٍّ روحي .

الكتمان :

ان طرق التصوفِ المتعددة في الاسلام أصرَّت على كِتمان بعض المعلومات الدينية عن غير مستحقيها ؛ وعلم الباطن هو ضرورة ملزمة ، سببها عدم تسليم العلوم الروحية الرفيعة لجماعة لا يفقهون معانيها ، فيبتذلونها ، وان ما يحاول الحاج (الخيِّر) التمويه به لمضامينه ، فَتَهرُّبٌ من المسؤولية ، وتشويش على التاريخ ، اذ هناك باطن وتقيَّة ، لهما خط واضح عريق في قدمه . وصيانتهُ عن حقٍ أو عن رَهْب ، اما ما دونه فمن المؤسف له ، ان يُكتم وان يُحرم التاريخُ من مفاهيم طَريفةٍ ايـاً كانت . ومن المغيَّبات آياتٌ وافرة زخرت صفحات الجفَرَين : الأبيض والأحمر .

المهدي :

يثبت المؤلف في مرجعه السابق (ص ٣٠) بلسان الحاج (الخير) ما يأتي :

قيل لابي بكر : يا خليفة الله أجاب : « انما انا خليفة الرسول اما خليفة الله فهو المهدي الآتي ، خاتماً لهذه الدورة المحمدية ، وهو الوارث لعلوم جدّه امير المؤمنين كما كان وارثاً لعلوم النبي الكريم » . ولم يُثبت الشيخ مرجعَ هذا القول .

الأركان :

للعقيدة العلوية اركان كبار ، لا يمتّون بصلة الوراثة للإمامة ، على ما يحملون من طهارة وايمان . على رأس هؤلاء : سلمان الفارسي . والمقداد وابو ذرّ الغِفاري ، وعمّار بن ياسر وبِلال الحبَشي .

الفرق العلوية :

بكل شريعة وعقيدة ينهد أئمة ومجتهدُونَ يفسرون الآيات والاحكام بطرق مختلفة ، ومعظمها ظاهرة، كذلك شأن العلوية . يقول المؤلف السابق في الصفحة (٢٦١ ـ ٢٦٢) :

« انقسم العلويون الى ثلاثِ فرق : ١ ـ التابعون لِلباب (ابي شعيب، عمر البصريِّ النُميري) .

٢ ـ التابعون لِـ (ابي اسحاق النخعي) الملقب بالأحمر ، وقد ادعى انه الباب وتبعه فريق .

٣ ـ الجماعة الذين حافظوا على نصوص جعفر الصادق وسُمُّوا بالجعفرية ، ثم تلت هؤلاء فروع .

حسن المكزون :

مجاهد علوّي كبير ، وشيخ وامير وافر الورَع والمعرفة ، اعتزل السياسة وأسلم نفسه للتصوف مُقتدياً بسيده (محي الدين العربي) .

ان مذهب العربي في التصوف نتحدث عنه في فصل الصوفية ، فإذا كان حسن المكزون قد احتذاهُ يكون قد بلغ في تصوفه المرتبة الرفيعة . وقد عاصر (الأميرُ الشاعرَ) والفقيه : المُنتجَب العاني المولود عام (٥٩٥) هـ .

قبل ختام البحث حول العقيدة العلوية نُنوِّه بما يأتي : لقد خص النبي وصيتهَ بأهل البيت ليتوارثوا العلوم الروحية الباطنية ، وبعد الائمة الاثني عشر أودعت دساتيرُ هذه الوصية للخواصِّ من أصحاب المذاهب العلوية ، وأعني خواص المسلمين ، ذلك في عُرفهم هُمْ .

الى هذا اشار المرجع السابق في صفحته (١٢٧) ولم يعلق عليه في شيء الحاج الخيِّر ، وكلاهما عَلويٌّ صميم .

وبالحقيقة لا يمكن لاي باحث مهما تقصىَّ ان يصل الى مضمون الديانة العلوية بشكل صريح وصحيح ، لانها مغمورة بالرموز وبالتقيَّة الفائقة . ولعل ما لفقَّهُ عن هؤلاء المؤرخون الأغرابُ هو نفسه ما كان يلفِّقه السلف عن كل باطن ، بُطلا وتجنِّياً .

على أن الأديب المُعاصر أحمد أسعد علي، في مؤلفه : المُنتجَبَ العاني، لوَّح لنا في بعض ومضات عقائدية نؤمن بصدقها ، لصدقه ، لكنه شحن الكتاب في رموز مختلفة ، يعسر على المؤرخ حلها ، والركونُ الى ذلك الحل .

لذا اراني ملزما بان اثبت ما هو واضح وصريح وان انوه بالرموز تاركا للقارىء الحصيف الانعام بها .

يقول المؤلف في صفحة (٥٣) : ان هناك سبعة علوية وسبعة سفليه ، عنى بذلك

ان في عقيدته عناصر خيَرة متوازية عداً مع عناصر الشر .

وقال ان الكمال والسموَّ الروحي هما طريق الى الله . مؤكداً على ذلك بقوله ، والكلام للمُنتجَب :

ومـا الـدِينُ الا تـركُـكَ الشرَّ والاذى   ودفعُـكَ بـالمعـروف عن خلِّكَ الردَى

وقال :

وربّـك أدرى بسرّ الـعـلاج فـسَلِّمْ الـيـه ، وخَـلِّ الـتـعـبْ.

التجلي :

اشار المنتجب الى ذلك بقوله :

تجـلّى لأبـصـار الـبرايـا بـصـورة   مُمـثـلة بـالـذرء، كـان بهـا بـدا
وكـرَّر آيـات الـظهـور مـذكـراً   بمـا كـان من إقـرارنـا سـاعـةَ النِـدا

ص (٥٦ - ٥٧)

ان الله في عرفهم هو السر الخفي الذي تعجز عن نقل حقائق الألسن .

يقول المؤلف ان محمدا هو حامل هذا الاسم على الأرض، وفي السماء يدعى : أحمد . ويختصر بحرف (ميم) .

الظهورات :

انها في المظاهر التي اصطفاها سبحانه دلالة على الذات وهي في : هابيل - شيت - يونس - يوشع آصف - شمعون وعلي . ذاتيةُ الله تتجلى حيناً في هؤلاء وتغيب حيناً عن الابصار (ص٨٨) .

علي ايضاً :

أن عليا مِنْ أعدائِه كما هو النَدُّ (عُودٌ طيِّب الرائحة) من الخشب . وفي نظر

المنتحب ، لقد عرف عليّ ربه في الذَرْء (قبل بدء الخليقة) وعرف معناه العظيم ، وكان كبير الحظ من نور باريه ص (٤٧٢) وتابع الشاعر المنتَحب حول عليٍّ :

«هــو البيتَ والعـرشُ المكـين لِعـارفٍ   واولُ   نـورٍ   كـان   لله   وحَّـدا»

ان علياً هو النجم الثاقب والأزليُّ الأبدي .

الفرائض :

للفرائض تفسيرات ظاهرة وباطنة لدى العلويين ، يشيرون اليها بالرموز المبهَمة . ولعل هذه الشيعة ترى في علي المظهر الانساني للذات العليَّة : الله .

الباب :

لعله الطريقة الروحية لمعرفة الحقيقة ، او لعله هو الحقيقة القصوى بعينها ، وهو اقدم واسمى من السماوات ، وكان قبل الزمن ، بدأ منه ويرجع اليه كل شيء .

لعل هذه مواصفات امير المؤمنين علي بن ابي طالب .

الباطن :

يرى العلويون الباطنَ سلطانَ الظاهر ، بِصلاحه يصلحُ الجسد ، والباطنيون في زعمهم هم اهل القلوب المتصوِّفة الذين يجاهدون لرؤية الله قبل الآخرة عن طريق ذلك الباطن .

صرّح المؤرِّخ : (Massignon ، مَسِّينيون): «لم توجد فرقة شيعية مغالية ، ادَّعت بان احد هـذه النماذج : علي ومحمد وسلمان (ع . م . س) يمكن ان يكون الله بجوهره » هذا تصريح لا أكثر .

يوم الأظلَّة :

هو الحِينُ قبل إيداع الارواح في اجسادها ، فالحبيب (؟) هو الذي اعطى الحياة لكل الموجودات . لعلّ الله أو علياً هو ذلك الحبيب .

الروح :

كانت الروح شخصية ترى وتسمع في عالم الصورة التي ظهر بها الخالقُ لخلقه ،

وناداهم معلناً ألوهيَّتِهِ . وقد صُنِّفتِ الأرواح يومها إلى مُجيبٍ ومُتوقفٍ ومُنكرٍ ، بناء للآية : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ . (الفاتحة) .

تقول العقيدة ان الله كان قد ابرز الروح من فضاءِ القدرة الى مضيق الحكمة ، واعطاها الفرصة لمعرفة الحكمة ، وأودعها صلصالاً كالفخار (جسداً) مأخوذاً فيها ، وطبعها على ما يُجوهر ذاتها في العالم . فالنفس الرضية تظل مشتاقة الى ربها ، وتستمر في التطهُّر ، وغيرها بعكس ذلك . تظل الأولى مأخوذةً بأشواقها الى ما رأته وسمعته في البدءِ فتستغرق في المجاهدة على الأرض ، وترجو المشاهدَةَ قُبيل الموت لتطمئن إلى مصيرها . ص (٤٨٨ - ٤٩٠) .

التقمص :

لم يوضحهُ احمد اسعد علي ، ولا المُنتجَب ، بشكل نطمئن اليه . غير اني التقيت شاباً علوياً طيباً ، صادقته زمناً فبَاح لي بما يأتي :

«كل نفس صالحة تموت في الديانات المختلفة تتقمَّص في العَلَوية، والنفس الشريرة في العلويين تنتقل بالتقمص الى خارج المذهب». وما ادري مقدار صحة هذا القول . على كل حال ، نرى مكارم الاخلاق وعراقة الانسانية في غضون ما يظهر من بَوارق هذه العقيدة .

ولعل الضنك والاضطهاد الذي حاق جماعة هذا المذهب ، كثَّف الحجاب على البوحِ به ، وألزَم مُعتَنِقيهِ بهذه التقيَّة . وليست المغالاة في تعظيم الامامة وسبطها زَيْغاً عن الاسلام ، ما دام هناك ايمان بتوحيد الله وتنزيهه ، وبالقرآن وتعاليمه في اطار التأويل المنطقي الرصين .

وقبل أن نقفوَ العلويِّين نوجِز بشكلٍ أدقَّ باطنَ ديانتهم :

كانت كل هذه الافتراءات وليدة حقد عارم من الخصوم ، وحب جامح مضلل لمن آمنوا بغير عليٍّ اماماً . والاسلام براء من ذلك .

أما الأنصار وهم الجماعة الذين واكبوا النبي وعليا ، وآزروا وضحوا في سبيل نصرة الاسلام . كان أبرز رجالاتهم : سلمانُ الفارسي ، والمقداد أبو ذر ، وعمَّارُ وابن

مضعون . كان هؤلاء يتابعون مهام حواريّي المسيح الأربعة : يوحنا ومتى ومرقس ولوقا ، توثيقا لمسلك التوحيد الباطني العام .

علم الباطن :

يعتقد العلويون بأن علم الباطن مختص بهم قبل الاسماعيليين ، وهم يزعمون ان للقرآن معاني ظاهرة وباطنة . ومثال ذلك الآية : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ . فلا يمكن القول بالمعنى الظاهر بل الخفي . كذلك السورة : ﴿ **ياسين** ﴾ و﴿ **ميم** ﴾ ﴿ **وألف لام ميم** ﴾ و ﴿ **كهيعص** ﴾ بالتقطيع . وأن الآية : ﴿ **وزيّنا السماء الدنيا بمصابيحَ وجعلناها رُجوماً للشياطين** ﴾ فالعلويون يرون لها معنى باطنيا خفياً . ومثل ذلك كثير .

يعتبر العلويون حق تفسير القرآن لأهل البيت (وحدَهم) لأنهم لا يخطئون كما ألمحنا ، وهذا الاعتبار للأئمَّة الاثني عشر كان قد أولاه النبي محمد لعليّ حين قال :

(انا مدينة العلم وعلي بابها) والمقصود بالباب علي وتليه ذريته . والعلويون يشاركون الشيعة الاثني عشرية في انه بعد غيبوبة (محمد المهدي) اعني **الامام الثاني عشر** ، قد انقطعت الامامة ، وان المهدي حي وصاحب الزمان ، والمنتظر ليملأ الارض سلاما وعدلاً . وكان انقطاع الامامة في العام (٣٠٠) هـ .

بعد الاضطهادات المتواصلة من الحكام العباسيين والاتراك وتضعضع العلويين ، لجأ من بقي منهم الى جبل (النصيرة) شمال غربي سوريا وبعدها ، ولكتمان معتقدهم الروحي أُطلق عليهم اسم : (النصيريه) سخرية ونسبتهم لعلي كما سبق هي الأصح .

وبعد الحرب العالمية الاولى عام (١٩٢٠) أسمت فرنسا هذا الجبل بأراضي العلويين المستقلة ، وتشكلت عندهم محاكم وادارات وقاضي القُضاة . وهم يحكمون على المذهب (الجعفري) مع بعض الفروق ، كما صرّح مثقف منهم موثوق بعلمه . واليوم هم جزء أصيل من سوريا .

الفصل الرابع عشر
المزدكية والبابكية

قامت في بداية القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي انتفاضة في (اذربيجان)

وفي جزء من ارمينيا . والقسم الشمالي الغربي من إيران ، ضد الخلافة العباسية ، واستمرت عشرين عاماً . ناضلت فيها تلك الشعوب بقيادة الشاب الثوري (بابك) من أجل حرية البلاد ، وحق الشعوب المغلوب على امرها في الحياة والمعتقدات .

ولا يفوتنا ما للزرادشتيَّة والمانويَّة من بذور في تلك الناحية من الخلافة الاسلامية ، وما رافقها من اضطهاد صعَّد فيها النضال لمعيشة اكرم ، وعقيدة مختلفة ، تتنازعها الزرادشتية والمانوية من ناحية، والاسلام من الناحية الثانية .

ان المزدكية في ايران كانت قد زعزعت الكيان الساساني ، لما عاناه سواد الشعب من الاضطهاد ، ومن تكريس الاقطاع الاقتصادي والسياسي ، لاستغلال الطبقات الشعبية المحرومة الرازحة .

وقد ساعدت المجاعة التي انتشرت في تلك البلاد ، بعهد الخليفة المأمون عام : (٢٠١ هـ ٨٣٣ م) في أذكاء نار الفتنة ، وتضخيم عدد المقاتلين تحت لواء (بابك) .

المزدكية :

يقول المؤرخ (كريستنسِنْ) أن شخصاً يدعى : (منع كوش) ظهر قبل زرادشت (التاريخ السياسي ج ١ ص ١٩٢) نسبت اليه المزدكية . ويضيف المؤرخ نفسه : ان زرادشت ادَّعى النبوة لمذهب مزدكي معتدل ، في القرن السابع قبل الميلاد . وأن الشَهْرَستاني) يعتبر الزرادشتية فرقة من المجوسية المجزَّأة إلى ثلاث : الكيومرثية والزروانية ثم الزرادشتية .

مزدك وتعاليمه :

نشأت المزدكية ، كتعاليم متطورة عن المانوية والزرادشتية وكانت قد انصهرت في المانوية ديانات عدة آنذالك ، غير ان المزدكية قد تميزت عن المانوية باعتبارها (النور) يعمل بالقصد والاختيار ، والظلمة تفعل على الخبط والأتفاق . والنور : جوهر حساس ، والظلام جاهل اعمى . وان المزج بين : (النور والظلمة)، كان على الاتفاق والخبط ، لا بالقصد والإختبار (الملل والنحل ج ١ ص ٢٤٩).

فالمزدكية وان شابهت المانوية بالثانوية ، الا انّ ما يلاحظ من كلام الشهرستاني ، ان

لإلـه النور الاهميـة البارزة عنـد المزدكيـة ، وانه يعمـل بالقصـد والاختبار ، بينـما اله الشر (الظلمة) فانه يعمل على الخبط والاتفاق ، بعكس ما ذهب اليه ماني .

ويظهر من تعاليم المزدكية ان اله الخير (النور) انتصر على الشر (الظلمة) في عالمنا الارضي . لكن النصر لم يكن حـاسما ، وهـذا يعني مواصلة كفـاح القـوى الخيِّـرة وهي : (المُعـدَمة المستغَلّة) ضـد القوى الشـريرة (الارستـوقراطيـة المستغِلة) وحتمية انتصـارهـا وتـطهـير الانفس من النـزوات ، والشهـوات ، ومن حب السيـطرة والجشـع في التملُّك (الطبري تاريخ ج ٣ ص ٨٨٥) كـذلك (الملطي والبيـروني وأبو الفـداء وابن خلدون) ، كل هؤلاء المؤرخين القدامى جاروا الطبري في رأيه ذاك .

وقد شابهت المزدكية المانويـة في ضرورة تـطهير : ذرَّات الاجسـام النوريـة من الآثام التي لحقتها اثناء المزج ، الا انها لم تسلك السلبية كالمانوية في نهجها العقائـدي ، لذا نـرى اختلاط القضايا الاجتماعية في الدينية الفلسفية ، ولا شـك في ان المعانـاة اليوميـة في سبل كسب الـرزق ، كـان لهـا هـذا الاثـر البـارز في معتقـدهم ، حيث كـانت تحـوقهم : الانتهاكات ، والمظالم والحرمـان من غلال الارض وحتى الحـروب . هذه العـوامل تجمعت لتطبع المذهب المزدكي بهذه الايجابية الحق ، فكانت شريعة سماوية وارضية معاً .

ونادت المزدكية بمشاعيـة الارض ، على قـول الطبـري والثعالبي (غـرر اخبار ملوك الفرس ص ٦٠٠) ليقسمها العبـاد بينهم بالتسـاوي ، ولكن الناس تـظالموا فيهـا . غير ان الملطي وجمهرة من مؤرخي الاسلام ، اتهموا المزدكيـة بالابـاحية في الارزاق والنسـاء معا ، لتشويه معتقدهم المناوىء للاسلام في ظاهره ، ولتثبيط عزائم جماعته في اشاعة اخبار نـابية مُخجلة عنهم ، وهم منها براء . وليست المزدكية وحـدها طعينـة تلك الافتراءات الـدنيئة . لَطالما رُشق الباطن في كل ديانة بسهام طائشـة كهذه . فهنـاك الديـانة المـانويـة السائـدة ، وهناك الاقطاع السياسي ، والاقطاع المادي النهوم . كلهـا تسخَّرت لِلّصق هـذه المثالب في المزدكية ، خلا عن حملات الديانات السماوية الثلاث ودفع مؤرخيها الى تشويه الحقيقـة . وجاء مؤرخو الفرنجة فنقلوا عمَّن سبقهم بغير تمحيص .

على ان المؤرخ (كريستنْسِن) صرح « بأن الشهـوة والاباحيـة متناقضتـان مع الـزُهد الذي كان اساسا للمذهب » وايَّد رأيه كلٌّ من : « لويس وَدِياكانوف » وكثير غيرهم ، ممن

تحققوا المراسيم التشريعية المزدكية ، واستدلّوا من اعمال حياتية لهم ، ان اتّهام هؤلاء بالإباحية مجرد اختلاقٍ لعدم وجود أية معلومات تؤكد ظهور مثل هذه التهمة . (دياكانوف) مختصر تاريخ ايران القديم رقم «١٥٣» ص «٤١٠».

الخرميّة :

هي فرقة دينية متطورة عن المزدكية تؤمن بصراع الخير (إله النور) مع الشر (إله الظلمة)، ذات برامج ثورية ، تدعو الى توزيع الاراضي على الفلاحين وتحرير مركز المرأة من المكانة المتدنية ، التي وصلت اليها في بيئتهم تلك يومذاك ، كما تدعو الى رفض الضرائب وعصيان سلطة الاقطاعيين .

ويقول ابن الاثير في الكامل (ج ٥ ص ١٨٤) ان معنى خرم (فرج) وابيح للرجل معاطاة الدعارة مع محَارِمه ، لكن ابن خلدون كان يعتقد بان : خرم يعني فَرَح . بينما يرى (ڤان فلوتن) امستردام ، (السيادة العربية عام ١٨٩٤ ص ٤٩) ان كلمة خرم اي ملتذّ ، وقد أظهرهم انهم لا يعرفون ايَّ دين غير دين المتعة واللّذة .

وهكذا فقد نقلت الصورة المشوَّهة لهذه الطائفة ، على منوال صورة المزدكية وللاسباب نفسها . وقد جاءنا مؤخراً المؤرخ الروسي (بونيبا توف) فصرح بأن « في الرواية التي تربط اسم (خرم) بالاباحية يسترعي النظر ضيق الأفق العلمي والسياسي والتحيُّز الطبقي للمؤلفين الاقطاعيين والبرجوازيين ». وقد استخدم المؤلفُ نَفْسهُ اقوال (تومارا): « صُعُوبة اعتبار الخرميين المكافحين كفاحاً بطولياً لمدة عشرين سنة ، جُمهوراً من المرحين المُغالين بانفلاتهم . . . وان اية حركة تحررية يتبعها السكر والمجون يُكتب لها الفشل مسبَّقاً». ثم أردف: «أن وَصْمَ الخرميَّة بالاباحة والاستهتار هو، بدافع تشويه جوهرها الكفاحي البطولي » . (تومارا) ، كتاب بابل ص ٧ وبونيبا توف : (مصطلح الخرمية ص ٤٨) .

وقد سمّى المؤرخ (سَمينوف) الخرمية باسم المزدكية الجديدة (تاريخ العصور الوسطى ص ١٣٣). وفي انكسار الخرميّة عسكريا ، تقوقعت جماهيرها وتسربلوا بلباس الصوفية ، ونقلوا معهم بعضا من مفاهيمهم الفلسفية الدينية والاجتماعية .

البابكيَّة :

ان الانتفاضة الأذربيجانية بمعونة الشعوب الاخرى المجاورة ، قد شدت هذه الفرق من مزدكية لخرمية لبابكية بعضاً لبعض ، وحدث تطور من واحدة لأخرى في المسلك الديني المتَّبع . كانت انتفاضة الفلاحين والمعدَمين ضد الاقطاع ، ضدَّ الزرادشتية اولاً ثم المانوية ثم الاسلام (العبَّاسيينَ). وقد اتخذت البابكية اطارا لإيديولوجيتها ، التعاليم الخرمية الدينية بذاتها . فالمزدكية البابكية هي تعبير لأزمة مجتمع العبيد . نادت بمَشاعيَّة الارض الزراعية ، واحترام مركز المرأة ، والاهتمام بقضايا فلسفية دينية . وقد عاشتْ سِرِّيةً فترةً ، حتى تقمصت بالخرمية في العهد العباسي .

لم يكن حظ (بابك) المناضل ادنى في التصدي الوقح لمسلكه الروحي والزمني ، من حظ ماني ومزدك وآخرين للأسباب الموجبة التي ألمحنا إليها . واتُّهم بالاباحة والفسق (وباللَّيلة الحمراء) وفيها يحدث الصخب المجوني الفاضح . (البغدادي ، الفرق ص ٢٦٩) كما دُعوا بالقتَلة والسفَّاكين ، للاعتبارات السابقة ، مضافاً اليها عامل جديد هو اعطاء هؤلاء الحق للمرأة في العمل بالمزارع ، وحرية الزواج بمن ترغب هي ، وحرية العبادة . وذنبهم رؤيتهم الصائبة بان كل دين يحمل لُقاح الخير في صميمه (البَدء والتاريخ ، المقدسي طهران ١٩٦٢ ، ج ٤ ص ٣٠). وقد شهدَ الطبري بحسن معاملة اسرى بابك من رجال ونساء خاصة ، بدافع الشعور الانساني وليس عن خوف من شيء (حسين قاسم العزيز جامعة موسكو ١٩٦٦ ، البابكية ص ١٥٩) .

عبادتهم :

تناقضت الاقاويل حول الديانة الخرمية البابكية ، حسب ما رأينا آنفاً . دعاهم بعض كبار المؤرخين : بالزنادقة والمتهتكين واللصوص والقتلة ، كما دعاهم فريق آخر : بالنُسك والطهارة والتقشف والامتناع عن زهق الأرواح .

كتب الأشعريُّ عنهم يقول : « لقد زعموا ان الرسل يأتون تترى بعد رسول الله ، وانهم لا ينقطعون . (معاملات الاسلاميين ص ٤٣٨).

وذكر ابن الأثير أن الخرمية البابكية تعتقد بحلول الله في آدم ونوح وإبراهيم إلى أن تنتهي في (أبي مسلم) ثم في المقنَّع . (الكامل ج ٥ ص ٥٢) . والحقيقة يتحمَّلُ ضياعها

التعصُّب الطائفي الذميم .

وقد أشار البغدادي الى ان البابكيين يُعلِّمون اولادهم (القرآن)، ولكنهم لا يُصلُّون ولا يصومون رمضان ، ولا يؤمنون بالجهاد = طبعا لانهم مضطهدون من المسلمين الفاتحين = (الفَرق بين الفُرق ص ٢٦٩).

تعتقد هذه الفرقة بنضال إلهِ الخير على الارض وبحتمية انتصاره على الشر ، وبضرورة تعاون كل قوى الخير المحبة للنور ، لطرد الشرور والآثام التي هي من مخلفات الظلام ، والقضاء على العوامل التي تساعد على بقائها ، كعدم التساهل في التملك لإزالة الظلم والظلام وآثارهما . (تاريخ العالم ج ٣ ص ١١٦).

ان الثورة البابكية لم يكن في جذورها شيء من العداء للإسلام وطقوسه ، انما كان العداء للسلطة التي تغذو الاقطاع بِدَمِ الفلاحين البؤساء ، وتُصغي الى تُرَّهات رجال الدين المُتزَّمتين . (اصول الاسماعيلية ، لويس ص ١٩٠). وكان رجال الثورة بين : مسلمين عرب وايرانيين وارمن ودَيالِمةٍ وو .

بابك :

كان هذا البطل من أصلٍ مُعدم لا يأبه احد لمعرفة تاريخ مولدِه ، قال (الدينوري) ان اصله يعود الى (ابي مسلم الخرساني)، لذا فانهم يُولونَ أبا مُسلم هذا الاعتبار (الاخبار الطوال ، الدينوري ص ٣٣٨).

وكان بابك طيلة شبابه مناضلاً ثورياً ضد الاستبداد والاقطاع والفُقهاء المتزِّمتين . ظل حتى ايامه الاخيرة يعتبر نفسه رئيسا روحيا ، وقائدا فكريا لفرقة الخَرْمية ، آخذا على نفسه نشر دعوتها . (الطبري ص ١٢٣١). وكانت قلعته المحصَّنة تدعى « البَذّ ». كان مذهب بابك يحتم الاكتفاء بزوجة واحدة ، وقد توفيت زوجته في حياته ، ولم يتزوج بسواها . قال (تومارا): ان كل قادة بابك كانت للواحد منهم زوجة لا أكثر ، وكانت تُسْهِم في إقامة الشعائر الدينية الخاصة بهم ، وتنشيءُ أبناءَها على محبة إله (النور) وتعتمد وصاياهُ الخيِّرة .

وحين فشلت ثورة بابك ، فرَّ الى ارمينيا ثم بِيْقَ بهِ ،فَسُلِّم الى سيد بغداد (الأفشين) في العام (٢٢٣ هـ ٨٣٨ م) حيث مُثِّل به ، وعُلِّق على خشبة في طرفٍ من مدينة

(سامـرَّاء) . (المسعـودي ، مـروج الـذهب ج ٤ ص ٥٨). وذابت العقيـدة وئيـداً في الصوفيَّة الاسلاميَّة .

الفصل الخامس عشر

مبدأ التصوف

بـالعصر الذي نشـطت فيه التـرجمات الى العـربية ، وتـربعت (بغداد) منـارةً عـلى شـاطىء المشرق ، فأمتها الوفود شرقاً وغرباً حاملةً مبادىء ، وافكـارا غريبـة عن الاسلام في ظاهره ، بعيدة عن التوحيد في قشورها ، فتذمَّـر الفقهاء المسلمـون ، ولم يجدوا بـدا من الايغال في اعماق تلك الافكار ، وسبر معانيها ومغازيها . التفتوا الى كتاب الله ، فـوجدوا في غضـونه ، تحت ضبـاب الظاهـر ، وخلف الكلمات المخـطوطة ، افقـا رحبا متـألقة في صدره ، كل هاتيك المبادىء المستجدة ، يخفيها عن الابصار ، حسر البصائر ، واستمرارية الانكماش والانعزال ، والقناعة بما تحمل على سطحها بُحور المعارف ، غير سابرين مـا في الاعماق ، وما يحتضن تأويل الآيات من كنوز العلم التي غمضت عـلى الفقهاء الاولـين ، عن جهـل لحقيقة التفسـير ، او ريبةً من التـوغل في مضمـار مضامـين القـرآن ، لاجتـلاء سواطع افكاره .

نجم عن تلك التطلعات ، والنشاطات في تـأويل آيـات الكتاب ، تـأسيس مدارس فكـرية تقـدمية ، البست العقيـدة ثوبـا حالِياً ، وبسطتهـا وافسحتها حتى ظهـرت عـالميـة المبـادىء ، شاملة زبـدة المعتقدات حـول التوحيـد الحق ، وحول اقـرب الطرق واسهلهـا لتلاقيه ، دونما واسطة انسان ، او اجتهادٍ في التكاليف .

ابرز هذه المدارس كان : الاشراق والفيض والتصوف ، وكلاها له جذور عميقـة في صميم القرآن ، عجز عن تفهمها الاوائل ، لتخلف في البيئـة اعاق الى حـينٍ نضوجَ ثمـار المعرفة ، فخدَّر جناح الفكر ليكمشه فوق خمائـلَ لم يتكامـل تفتُّحها . وهي ذي ، بفضـل القيِّمين من رجال الفكـر على هـذه المدارس الاسـلامية العـالمية وضعت القـرآن في ميزانـه الصحيح ، وقرَّبت الانسان من ربه : مثالِ الجمال والحق والخير .

ولم يعب المـدارس الاسـلاميـة ، انها اتخـذت من مشـاغـل : هـرمس وفيثـاغـورس

والأفلاطونية القديمة والجديدة وسواها ، مشاعلَ في أيديها ، لإنارة السبيل وكشف المكنون . فالمُهم ان طريقهم قد وضحت وان الغاية التي ينشدون قد تحققت ، وان التراث الذي تناقلته عنهم مكاتب المعرفة في العالم ، ما برح يصارع الجهل ظافراً .

التصوف : الفيض والاشراق :

لما كان هذا التراث الضخم مُستغَلاً من آيات الكتاب الذي اتخذه الاسلام عماد الدين ، غدا لزما علينا توضيحه بقدرٍ مختصر مفيد ، استكمالا لبحث عقيدة الاسلام من عميق زواياها وجذورها .

طلائع النهضة :

كانت هذه النزوة للفكر الاسلامي ، قبيل القرن العاشر وما بعده ، وميناؤها (بغداد والبصرة) على الأغلب، وكانت الطلائعَ ، والفلاسفةُ : الفارابي والكندي وابن سيناء والغزالي ، فقد تصاعدوا في مدارج الفيض ، وأطلُّوا على الصوفية بروح افلاطونية عرفانية قرآنية .

السُهْرُورديُّ :

كان السُهْرُورديّ بعدهم بثلاثة قرون ، في العجم ، وكانت مدرسته الاشراقية ترجمها الى الفرنسية البروفسور (هنري كوربان)، قادرا قيمتَها العلميةَ وسموها الروحي .

كان السُهْروَرْديُّ شيعياً مؤمناً بمبادىء الحلاَّج ، وقد لاقى مثله حتفه من الخليفة الظاهر في الشام . اعتمد السُهروردي في كثير من آرائه على الزرادشتية ، واجداً فيها كبير التقارب بالقرآن ، فاستعمل الرموز ، كما استعمله المُصحف ، واعتمد النور والظلمة رمزا للخير والشر اللذين اوضحهما القرآن ، وقَدّر هذا الاشراقي هرمس وادريس ، اللذين ذكرتهما الآية الكريمة .

النور الاعلى :

كان السُهْروَرْديُّ مؤمناً «بالنور الأعلى» وهو الحقيقة المحمدية ، التي أشار إليها الفقه الإسلامي وقال، ان الوجود كله « نور » تتفاوت درجات تألقه . كما هناك ظلمة : (خير وشر). « النور الاعلى » هو مصدر الوجود كله ، هو : « الله ». ذلك هو التوحيد

الصريح . وان المرتبة الوجودية تتفاوت وتتوقف على مدى اقترابها او بعدها من هذا النور الاعلى ، ومن الظلمة .

النور العادي :

ان المعرفة والادراك في الانسان هما بمقدار حيازته من ذلك النور السماوي . وهناك انوار ثلاثة : نور الشمس والكواكب وهو سماوي ، ووهج النار وهو عنصري ، ونفس الانسان وهو النور « الأسفهْبذي » . (الكلمة فارسية وتعني القدسيّ) .

الملائكة :

ان النور الاعلى ، وهو الشامل للكون اجمع ، متصل بكل شيء في الوجود سماءً وارضا ، وهو مالىء كل مكان . اما الملائكة ، فانها جواهر بين النور الاعلى (الله) وبين العالم المادي ، وهي مقتدىً للانسان ، لا تُرى بالعين ، انما لها تأثير في النفوس .

العقول :

سبق أن قسَّم العقولَ : الفارابيُّ ثم ابن سينا ، وكان العقل الاول (الكلي) مصدرا لانبثاق الموجودات ، خاضعاً لله ، مطيعاً لأوامره ونواهيه .

اما الاشراق فقد جعل الصلة بين الله وعباده ، ذلك النور العام . منه الملائكة المشابهة بعض الشيء « للعقول » وكلهم يجول ويمعن الفكر لإثباتِ حقيقة الله الواحد الاحد ، وصلته بمخلوقاته .

التصوف (الاشراق) :

ان هذا النور الادنى المنبثق من النور الاعلى (الله) والمتصل بخلقه ، يحس بطبعه ، في جاذب شطر العلى : شطر الخير والمحبة . من هنا تركزت الفضائل وظهرت حكمة الله في خلقه وعبادته . فالعبادة الصادقة هي : الفضيلة ، والمحبة في مبدأ الاشراق هي جوهر النور ، هي المغناطيس الجاذب الذي ينظم الافلاك ، ويقرِّب الانسان من أخيه الانسان ، ويبعث التعاطف في النفوس الصالحة .

إعْتَبَرَ الاشراقُ بلسان رائده هذا : جبريلَ والروح القدس ومحمداً واحداً ، هو الموحي الأول لكل معرفة من قِبَل الله .

النفس البشرية :

صرَّح الاشراق بوجود سابق للنفس ، في عالم الملائكة (على نمط عالم الصُوَر تقريبا) وفي نزولها الارضَ وقفْصِها في البدن ، بعد شطرها في العلى ، اخذ الشطر السفلي يحن الى شطره العلوي ، ويشتاق اليه . وهذا الشطر الارضي لن يسعد بالطمأنينة الكاملة والهناء العميق الا بالتحاقه بنصفه الثاني ، واتحاده بذاته الحقيقية . هذا الاتحاد هو منتهى الكمال المنشود . وكل مسرة وفرح في الارض هو انعكاس لأفراح ذلك العرفان والاتحاد .

الحكماء ـ والاشرار :

مَن ظفر بقسط وافر من الاشراق كان حكيما ، ومن اظلمت دنياه وعمهت بصيرته ، دون اي اشراق ، فهو الشقي البائس .

جبريل :

وُجِدت الاشياء في الكون بترنيم جناحه ، لأن جناحيه يهيمنان على السماوات والارض . والمقصود من جبريل : محمد او الروح القدس . وان هذا الترنيم هو دفقات نور الحقيقة المحمدية ، التي تضمنها القرآن ، وعبر عنها في آيات عدة . فما اقرب جبريل هذا ، وما اوثق صلته بالديانتين المسيحية والمحمدية ، القائمتين على الروح القدس (يسوع) وعلى النبي محمد . وما اشبهه بالعقل الفعال عند اساتذة علم الفيض ذلك العقل الذي انبثقت منه الموجودات . هذا بدفقٍ غامرٍ ، وذاك بترنيم رخيم وخلّاق . وما اشد صلة كل هؤلاء بالفيتاغورية الاصيلة ، التي كانت ركيزةَ معتقدها التوحيدي : الاعدادُ والرموز والنغمات ، فنجمت من ارومتها فسائل الباطنية في الديانات . اليست النغمات والفيض معا ، ذبذبات نورية ، متفاوتة الكم والكيف ؟ وهل كان علماء الذرَّة اليوم ، اسبق من اولئك الاسلاف في تطلعاتهم الى النور والى الذرات ومشتقاتها بما في ذلك الانسان . وما أكّده علم الروح الحديث حول الذبْذَباتِ وسرعة الجُزيئات في الذرّة ، كلّهُ ذو صلةٍ بهذا النور ، يكشفه العقل والعلم لاحقاً .

الم نسمع الصوفي الكبير « فريد الدين العطار » يقول : « ان شققتَ ذرةَ وجدتَ فيها عالَماً » . (مرجع التصوف فريد العطار ص . ٨١) اليست الذرة اليوم شغل العالم المتقدم بماهيتها وطاقاتها ؟ . أليستّ مصدرَ كل تبدُّل وتحويل وتغيير في كل شيء ماديّ جعلت وستجعل كل مستحيلٍ واقعاً ؟ .

الصوفية

تعريفها :

اختلفت مدارس المتكلمين حول اصل معنى الصوفية ونسبوها الى اشكال مختلفة ، لكن الارجح والاقرب للمنطق استقامة الكلمة من « الصوف » وهو لباس المتصوفة في كل عصر . وقد لبسوا في الاسلام الخرقة الصوفية البيضاء . وتميَّزوا بها . وقال بعضهم ان الصوفية مشتقة من كلمة (سوفُس) sophos اليونانية وتعني « الحكيم ».

ولا يغرب عنا ان مبدأ التصوف عريق في التاريخ ، يعود الى مطل فجر الاديان في العالم . انه الزهد في الدنيا والتنكر لشهواتها ، والتقشف في اللباس والمسكن والمأكل ، والبُعد عن الجاه والمال والسلطان .

هذه الصفات مغروسة في اصل الانسان ، تنشط في ظهورها ، وتتلاشى حسب استعداده المادي والروحي لقبولها او لرفضها .

ان التصوف جهد مستمر لعيش انماط الوحي القرآني عن طريق الاستبطان . وما المعراج النبوي الا حافزا للمتصوفين ، ونموذجا صحيحا لخرق الحجب التي تفصل السماوات عن الارض ، وتبعد الانسان عن ربه . انها العِرفان بعَينه ، ذلك النور الالهي الذي يبطن كلام الله . فالى متى يطول العماء ؟ هذا ما كان يردده معلمو الطرق الصوفية في ارجاء الاسلام من الاندلس الى اقصى المشرق .

قال القاضي الهمذاني المتوفى عام (١١٣١) م : انتشرت كلمة « التصوف » في القرن الثالث هجري والتاسع ميلادي ، كان اول من عرف بهذا الاسم في بغداد ، رجل اسمه : « عَبْدَكْ الصوفي » المتوفىّ عام (٨٢٥) م .

كان للمتصوفة مدرستان كبيرتان في العالم الاسلامي يومذاك : في بغداد وفي خراسان . اما في الاندلس فلم تنشط هذه المدرسة ، بدليل مفارقة رأس المتصوفين الامام محي الدين بن عربي الى المشرق .

معتقدها :

تؤمن هذهِ المدرسة الشائعة بان وراء مدركات الحواس ، عالَما من العِلل ، هو : الحقيقة الالهية . وعالمنا كلُه في عُرفهم : سَراب .

رسخ علماء السُنَّة والشيعة بعدهم هذه الفكرة على اساس فلسفي ، تعدى الزُهدَ والصبر والفكر . لكن مهما قربت ينابيعه من « المطلق » الهندي فان محاقِنَة الأصيلة توحيد الذات ، مهما تنوعت وتعددت الصور الصوفية ، رغم ما جنح وجمح منها ، مدفوعا بالورع المتناهي ، والغيبوبة العميقة في الروحانيات . فلا تاريخ للصوفية ، اذ كل عصر ومكان له مبادئه واحاسيسه ونفسياته .

علماؤهم :

اشهر الصوفيين في الاسلام كان : البسطامي وجلال الدين الرومي وجُنيد وذو النون المصري وفي طليعتهم : ابن عَرَبي .

وسنقف موهنا فيما يلي ، حول آراء بعض رجال الفكر في التصوف ومغازيه .

أكَّد ابن خلدون على أهمية علم الباطن الذي هو روح الشريعة ومنشأ التصوف . . وأوضح مجاهدات المتصوفين ، لضبط القلب الذي يُصلح ضبطه كلَّ الجوارح ، ويثمر أرقى غايات الدين : الإحسان .

بهذا ادلى الدكتور اسعد احمد علي في مؤلفه : (المتجب العاني ص ٤٠٣) ثم اضاف ان شرح معنى الروح والنفس والعقل والقلب وكمالها وبروزها ، واكتساب الروح للمعارف التي بها كمالُها ، وأعلى انواع السعادة : النظر الى وجه الله . ولذة المعرفة الكشفية ، وامكانية حصولها في الدنيا : (رؤية الله). اعاد المؤلف هذه المعلومات الى ابن خلدون في كتابه « شفاء السائل لمعرفة المسائل » يتبين منها ، ان الظاهر عبادات ومتناولات تقوم بها الجوارح ، والباطن ايمان يقوم به القلب ، وصفات يتلون بها ، وعلى هذا الباطن تقوم روح الشَرع في الاسلام (ابن خلدون ص ٥).

وعرف القسْطَلاني في مقامات العارفين (ص ١٠٨) الطريقة الصوفية بـ « هي الدخول في كل خَلق سَنيٍّ والخروج من كل خلق دَني ». وقال (دُوَيم بن أحمد البغدادي): « هي البقاء مع الله على ما يريد . . . لا تملك شيئاً ولا يملك شيئاً » (عوارف المعارف رسالة ١٥٠).

وقال الشيخ « زرُّوق » (في رحلة الى الحق ص ٢٧): « للتصوف وجوه تبلغ الفي باب . . وترجع كلها إلى صدق التوجه إلى الله ، وإنما هي وجوه فيه » .

ولما كانت الصوفية تَعتبرُ الجزء الاصيل للنفس البشرية هو في السماء ، عند ربه ، لذا نَجدهم مثابرين على التطلع بتوجُّد الى هذا الاصل . اوضح ذلك الصوفي الرائد جلال الدين الرومي حين قال : ان كل انسان اقام بعيدا عن أهْلِه ، يظلُّ يبحث عن زمان وصله » المرجع : (مثنوي جلال الدين ج ١ ص ٧٣). اما بشأن المعرفة فيقول المرجع الاخير في (شفاء السائل ص ١٨ ـ ٢١): « ان بذور المعرفة محمولة في الروح من النشأة الاولى . تسير بها في الآخرة للسعادة الكبرى التي هي : النظر الى وجه الله حيث التجلي . وهناك تتفاوت المعرفة بتفاوتها ههنا ، تحصلُ لمن تَناهى صفاءُ قلبه » .

هذا الصفاء تعبِّر عنه المحبة للآخرين، وحطم كل الفوارق والتناقضات في بني البشر : ان بذرة المحبة التي القاها الله معرفةً في خصوبةِ الروح ، لا تثمر الا المحبّة : (المنتجب المعاني ص ٥١٧) وما ذلك بغريب ولا جديد ، وان لم يعط ثماره المرجوة الناضجة ، عبر التاريخ ، رغم ان المحبة هي الدم في عروق كل ديانة ، وما الاديان على رأي « ماكس موللر » الا جراثيم خيّرة ، عايشت الانسان منذ وعيه ، حاملة كلها بذور المحبة . أليست المحبَّةُ العمودَ الفقريَّ لِعلم الروحِ الحديث ، ولِتناهي مِثالية االانسان ؟ .

سُمع عن جُنَيْدٍ قولُه ، حين سئل : من أين أُتيتَ هذا العلم ؟ قال : « من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة » . وقال الحلاج : « انا الحق » و « مازَجَتْ روحُكَ روحي » « يقصد الله » .

ظاهر هذا الكلام كُفر ، لكن تأويله هو التوحيد بعينه ، وهو التقرب الكلي من الله ، هو الذوبان في نوره الاعلى ، وهو الصفاء الكامل المؤدي الى انتباذ الجسد والامتزاج بروح نوره ، فالقصد من ذلك ابعد من ان يستخدم الله ، وان يتجسد وان يجانس . انه النقاء الذي يجعل في النفوس النورانية الورِعة شوقاً وحنيناً الى النور الاعلى (الله) فيصورون هذا الشوق بمختلف الصور الظاهرة . والكلام لمدارس التصوُّف .

ليس التوحيد لدى المتصوفين ، كلاما وتجديفا ومعاطاة تكاليف ، انه محبة وشوق الى الحبيب ، انه لواعج وزفرات يصعِّدها الصوفيُّ متجاوزةً سدود المادة وحدودها ، منكشفة بكلِّيتها للنور الأعلى ، مستذيبة في بحر خيره وجماله وحبِّه ، رائدها : الخير والصفاء والمحبة .

ابن عَرَبي :

ولنصغ الى « ابن عَرَبي »، وقد جاء المشرقَ بعد ان توطدت الصوفية في عربه وعجمه ، وكان الشارعَ الأعظم لِلعرفان الاسلامي ، مصارحاً كل متزمت بحقيقة الاسلام هذه ، الكامنة وراء باطنهِ الزاخر . وُلد ومات بين عام (١١٦٥ - ١٢٤٠) م . قال ما مضمونه : « يجب بروز الصوفية ، لتعريف حقيقة الاسلام ، فالنبيّ كان مناراً للمتصوفين ، وقد فضل الزمنُ الشعبَ عن روحانية رسوله » .

افكاره :

يؤكد هذا الامام ان اساس المعرفة : « الرؤية » وانهُ بمرآهُ ، ادرك الوحدة المتعالية لجميع الاديان ، وهي التي قادته الى الشرق فزار مكة حيث التقى « الخُضر » الذي ارشده الى الاسرار الالهية . كان الإشراقُ الالهي محورَ فكره ، معتبراً جميع الاشياء مغموسة في الوجود الالهي . وكان ما يكتبه يعتبره هو ، إيحاءً متتابعاً ، دون ان يمعن في صياغته وتناسق معانيه ، وترابطها . وكان هذا مأخذاً على تراثه العلمي لا الروحيّ .

إنَّ الوحدة عنده ، كما عند الصوفيين عموماً ، هي حلُّ التناقضات الظاهرة والتعارضات الوجودية ، انها : اتحاد الصفات المتعددة ، وتلك غير الوحدانية مع الله شأن البرهمانية الهندية ، إتحادٌ واضمحلالٌ بالذات .

تقول الصوفية : لا شيء ما بعد الطبيعة (Métaphysique) لأن الفيض الالهي يجري في عروق الكون كله . وليست الكائنات هي الله ، انما وجودها ليس آخرَ غير وجوده . وابن عربي يقول: «إن الله غير مركب من اسم ومُسمًّى أنه هُما معاً، إنه هُوَ، يرى نفسه بنفسه ، ويعرف نفسه بنفسه ، وقد ارسل نفسه بنفسه لنفسه . انه متعال عن التناقضات . الكون كله تجلّيه . هو العقل والمعقول . وفوق الصفات وليس خُلواً منها » .

في عرف ابن عربي كما عرفته الصوفية ، الانسان الكامل هو الانسان الاول ، هو الكلمة (Logas) الذي اجتمعت فيه المُثُل كافةً . وبصفاء النفس ومبرَّاتها وتجردها المطلق ، ومؤآخاتها للمتضادات ، ترتفع مرتبتها لتدنو وتماثل ذلك الانسان المسمى نبياً او إماماً او قطباً روحياً . يرى اعلام الصوفية في الوجود نهراً دافقاً ابداً ، متجددةً مياهه ،

بكل لحظة ، مع بقائه محتفظاً بشكله العام : نهر ذو مجرى وضفتين وينبوع ومصبّ .

ومراتب الوجود في معتقد هؤلاء ، كـانما هي فـروع «لشجرة الكون» : جذورهـا في الذات الالهية ، وفروعها متبسطة شاملة اجزاء العالم . وبقـدَرِ ما يحقق الانسـان في عمله وفكره ، من انسانيات وصفاء ، يدنو ذلك النسغ في صدره من المصدر الأم : «الجذور» .

الاتحاد بالله :

إن رمز «الاتحاد» الذي نراه في الصوفية ، ويتغنى به شعراؤها ، ويتباهون وينخطفون ، هو ان الذات يستبصر ويُبصر ويسمع ويحس بحواس الانسان نفسه متى الله احبه .

نـرى من هنا المحبة في المستوى الـذي كان يـراها ويـدعـو لهـا المسيـح ، وانبيـاء اليهود ، واقطاب كل دين منذ عَرف الانسان حدَّه .

وجاهلٌ مَن يدعو ذلك الاتحاد كفراً . لماذا ؟ لأن الانسـان حين يتخيـل نفسه وصـل الى ذلك المستوى ، تضيءُ فيه فرديتُه كانسان ، فيغرق في النـور الالهي . ذلك هـو الاتحاد لديهم . وان ظل الله المشابه لخلقه ، يصبح في تلك الحال شفّافاً بحضور الحق فيـه ، وهو ظل نوريٌّ ، وبفضل التعاطف القائم بين العـالمين ، يجـذب الصفاء الـداخلي في الانسـان ذلك الحق اليه تدريجاً .

المشاهدة :

هي أن يدرك المرء أن الله مِـرآتُهُ في رؤيته نفسَهُ ، وانها الجهـد الروحي والصفـاء . وان الله هو المرآة التي يشاهد الرجل الـروحاني فيهـا ، حقيقته الـذاتية . ولمـا كان الله هـو النـور الاعلى والاعم ، وكنـا نحن البشر شرارات خـافتةً منـه ، كـان مصـدرنـا ومنتهـانـا واحداً ، ووجب ان ننظر الى كل انسان مهما بعد ديارا ولونـا ومذهبـاً بالعـين التي اوضحها ابن عربي حين قال :

لقـد صـار قلبي قـابـلاً كـلَّ صـورةٍ ... فـمـرعـى لِـغـزلانٍ وديـراً لِـرهـبـان
وبـيـتـاً لأوثـان وكـعـبـة طـائـفٍ ... وألـواح تـوراةٍ ومـصـحـف قـرآنِ
أديـنُ بـديـن الحُـب أنّى تـوجَّـهـت ... ركـائـبُـهُ فـالحـب ديـني وإيمـاني .

وهل اقرب من كلام ابن عربي هذا ، الى كلام الله في القرآن : ﴿ **وخلقناكم شعوباً**

وقبائل لِتَعارفوا ﴾ كذلك كلام الخليفة عمر بن الخطاب : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، وهل يكون تعارفٌ ونزوعٌ إلى التحرّر بغير دافع المحبَّة ؟

وحدثت فِرق أُخرى في الاسلام أبرزها :

الفصل السادس عشر

أ ـ المعتزلة

انها فرقة من المتكلمين في الاسلام ، نادى بتعاليمها (واصل بن عطاء) معتمدةً في هذه التعاليم ، على العقل والجدل ، كذلك هو اعتمادها في ما تؤوله من الآيات القرآنية . وتلك هي مبادئها الرئيسية الخمسة :

١ ـ التوحيد ، معتبرة ان الله ليس بعنصر ، ولا بجزء ولا بجوهر ، بل هو خالق الاشياء جميعها ، وليس له صفات ازلية ، من علم وقدرة وحياة وسمع وبصر ، بل هو عالم قدير حيٌّ سميع بصير بذاته ، لا ثنائية ولا تجسيد لذاته .

٢ ـ الانسان حر وخالق لأعماله . ذلك لان الله عادل ، ولا علاقة له بهذا الخلق للافعال . والثواب والعقاب حق ليحملَ المرءُ مسؤولية ما فعل .

٣ ـ الوعيد . لا يغفر الله لمرتكب الكبائر الا بالتوبة .

٤ ـ المنزلة الوسطى التي تقع بين الايمان والكفر هي : الفسق .

٥ ـ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقالت المعتزلة برؤية الله في الآخرة انه امر غير ممكن ، ولو كانت الرؤيا ممكنة ، لكان متميزاً في مكان ، امام الرائي . انه لا تدركه الحواس . وكان هذا جوابهم على الأشاعرةِ اندادِهم ، الذين اكثروا الادلة على تدخُّل الله المباشر في كل حدث ، مُفسرين آيات الله على النحو الذي يدحض آراء المعتزلة . (الاسلام : الاب مبارك ص ٦٣) . واوضح العالم محمد حسن الاعظمي في كتابه (الحقائق الخفيَّة) ان المعتزلة تنفي رؤية الله بالأبصار وتؤكدها بالقلوب ، وانكرت الوجه واليد والكرسي والعرش بعكس السُنَّة .

علم الكلام :

اما علم الكلام الذي اعتمدته المعتزلة والأشعرية ، انما هو علم اللاهوت في الاسلام بل هو مدرسة فلسفية تناولت الاسلام بجوهره . انما لم يخض هذا العالم في بحر

المباحث العرفانية (الغنوصية) التي خاضتها بعدئذ الشيعة بفروعها .

منشأ المعتزلة :

ان مدرسة المعتزلة ذات طابع ديني تأملي ، قائم على العقل ، مستمد من صلب الاسلام .

نشأت هذه المدرسة في البصرة (العراق) بالنصف الاول من القرن الثاني للهجرة ، وقد انضوى تحت لوائها جمع غفير من مفكري الاسلام . ثم غدت بغداد مقراً لتعاليمهم ونشاطهم الفكري ، خاصة بعهد الخليفة المأمون ، مُعتنقِ هذه المبادىء .

سميت المعتزلة بهذا الاسم ، حسب تعريف (البغدادي) لانهم انفردوا عن اجماع الامة الاسلامية ، وقيل لأن واصلاً بن عطاءٍ مؤسس المبدأ ، قد اعتزل مجلس (الحسن البصري) حول قضية مرتكبي الكبائر .. وكان هؤلاء يفخرون بهذا الاسم : المعتزلة، معتبرين انفسهم المدافعين عن التوحيد الاسلامي .

ب ـ الاشعرية

دعا لهذا المبدأ ونشرهُ ودافع عنه : ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المتوفىّ عام (٨٧٣) م في البصرة .

لزم في شبابه المعتزلة . وبعد عزلة خمسة عشر يوماً وقف في المسجد قائلا : انني فلان بن فلان ، كنت أُومن بمذهب الاعتزال واقول بخلق القرآن وان الله لا تراه الابصار ، منكراً صفاته . فانا اليوم تائب عن ذلك . ويُظن ان سبب هذا الإنحراف ما لقيه من شيوخ المعتزلة من تطرف في ارائهم حتى اعتقد انها تمس جوهر الاسلام .

للاشعري مؤلفات بلغت التسعين ، منها في المعتزلة وفضائلها ، والثانية في المبادىء الاسلامية الاصيلة ، والفرق المتنوعة في الاسلام .

عند الاشعري نزعتان : تقرُّبه من السُنة حتى ظنوه شافعياً او مالكيا او حنبلياً . وقد حرص على التوفيق بين هذه المذاهب . وقيل على لسانه : كل مجتهد مصيب وكلهم على حق ، واختلافهُم في الفروع لا في الاصول ، معتقداً بان استخدام الادلة العقليّة في الدين ، انما هو بدعة لم يلمح اليها النبي ولا الصحابة بعده . ثم هاجم الاشعري المعتزلةَ

مناقضا كُلاًّ من مبادئها،معتبراً ان دعم الـدين لا يأتي من العقـل بل من الايمـان والقلب ، لان العقل دون المعطيات اللَّدُنية . ومما عالجه في معارضاته للمعتـزلة ، كـان احيانـاً يتخذ موقفاً وسطاً بين موقفي القدريـة والجبريـة . كان كـل اهتمامـه واساس ابحـاثه يقـوم على القضايا الروحية والدينية . وتطورت في القرن الثالث عشر الميلادي .

ج ـ السَلَفيون :

سُمي اصحـاب هذه الفـرقة بـالسلفيـين لأنهم جـاروا السلف بعقيـدتـه ونـاهضـوا الاشعرية مـع (ابن الجوزيـة) و (ابن تيمية) . والسلفيـون هم الجماعـة المتعنتون الـذين اعتمـدوا القرآن والحـديث بحرفيتهـا ، حسب ما تنص الآيـة : ﴿ **وما اتـاكم الـرسـول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ تؤكد هذه الآية ثقة الله برسوله ، كـما انها لا تلمح هي ولا سواها الى مصدر آخر موثوقٍ من الله .

وقد شرح (البغدادي) عقيدة اهل السُنة هؤلاء موجزها :

١ ـ التوحيد والنبوة واحكام الوعد والوعيد .

٢ ـ الصفـاتية في الله ، وهي ازليـة ، متبرِّئـين من القَدَر والاعتـزال ، مثبتين رؤيتـه تعالى بالأبصار من غير تشبيه او تعطيـل ، كما اثبتـوا الحشر من القبور ، مـع اثبات السؤال في القبـر. وإثبـات الحـوض والصـراط وهُما (حـوض فسيـح سـائـغ في الجنـة، وطـريق قويم على كتفها يتسع للخيِّرين ويضيق بسواهم) . ثم اثبتوا الشفاعـة ، وغفران الـذنوب التي هي دون الشرك .

ان هؤلاء كسـائر السُنـة يؤمنـون بـدوام نعيم اهـل الجنة ودوام عـذاب النـار عـلى الكفار . وقد اثبتوا على الله المحبة والغضب والكلام ، والاستقرار على العـرش ، والنزول في ظل من الغمام . (الشكعة) إسلام بلا مذاهب كـما آمنوا بـرؤية الله بحجـة من القرآن ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة** ﴾ فالنظر بالوجه معناه الرؤية بالعين واما قوله تعالى في سورة الانعام ﴿ **لا تدركه الابصار** ﴾ فالمقصود به الادراك في هـذه الدنيـا . وقد اشتـد عضدهم في الإمام (أحمد الداعي) إلى حدّ سلطان العقل في القضايا الدينية .

قالوا: ان القرآن غير مخلوق لكنه ليس قديماً بكلامه . واعتبروا التوسُّل لغير الله شِرك والتصوف والمعتزلة زيغ لا كفر .

الفصل السابع عشر

الهرمسية

ان هرمس المعروف في التاريخ ، كان وزيراً عند الفرعون (زوسَر) في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد ، وقد اتى هناك من العلم والفن مُذهلاتٍ ، مما حدا باليونانيين الى تسميته بـ (هرمس المثلث في العظمة) واسموه آله الحِكمة .

اول من عُرف باعتناق مبادئه من الديانات الظاهرة هم : الصابئة اهل (حرَّان) شمالي سوريا . وقد ترجم الى العربية ، طبيبهم الشهير (ثابت بن قُرَّة) كتابا بعنوان (أنظمة هِرْمِس) . كما أن هرمس كان بالمانوية واحداً من الحدود الخمسة (الرسل) وقد اشار اليه القرآن باسم (إدريس) ، والانجيل بِـ (أخنوخ) . رغم الفرق الزمني بين هذا وذاك . غير ان الباطن التوحيدي الدرزي يعتبر الثلاثة روحاً واحداً تقمَّص في ادوار مختلفة .

وقد تأثرت الشيعة بالتعاليم الهرمسية مع التحفظ بمبادىء القرآن، وكان (ذو النون) المصري اولَ من ادخل الى الصوفية روحية هرمس ونَفَسه التوحيدي ، وقد ظهر اعظم اثر لتعاليمه في « الحلاَّج » ، الشهيد الصوفي ، وكان السُهْرُوَردي من اولئك التلاميذ . كما ان الفيلسوف الشيعي الفارسي (أفضل الكاشاني) قد ترجم للفارسية رسالة هرمس . وما العرفان الاسلامي في جوهره الا مزيجاً من الهرمسيَّةِ ومن القرآن في تأويله السليم .

وبالجملة فان المذهب الهرمسي يعير النجوم والافلاك عناية خاصة ، معتقداً بتأثيرها على الانسان. كما يؤمن بالعددية (الأرقام) الواحد والثلاثة والخمسة والسبعة . . . واعتبرت الباطنية الشيعية هذه الأرقام رمزاً إلى الله وإلى النبي وعلي وفاطمة ، ثم إلى الائمة السبعة . . ان ما قام به من ترجمات لتعاليم الهرمسية في العالم الاسلامي ، كبارُ المؤلفين يثبت الدورَ الذي لعبه هذا المبدأ خلال تطور الاسلام فكرياً ، وفي العراق وفارس بادىء الامر . ومن الفُرَق المتعددة التي ظهرت هنا وهناك ضمن العالم الاسلامي ، ما سنُورده لاحقاً ، مكتفين بالتلميح اليه وتعريفه ، لِضآلة الفائدة التاريخيَّة التي يحويها الموضوع :

اليزيديَّة :

فرقة في الاسلام قدست الشيخ « عَديّ » زاعمة انه يتحمل عنهم الصلاة ، منهم من يرى في عَدِيٍّ الهاً ، ومنهم مستشاراً لله ، وبعضهم انساناً فوق الانبياء . يؤمنون برؤية الشيطان المدعو (طاوس ملك) وهو بكر الخليفة ، كما يؤمنون بالملائكة ، وبأمكانية رؤيتها .

يعتقد هؤلاء بالتقمص على الشكل التالي : لدى وفاة الشيوخ اليزيدية تتقمص ارواحهم في الملائكة كما ان الملائكة يتقمصون بعد الموت شيوخاً فيهم .

الشبكيَّة : آمن هؤلاء بأقنوم ثلاثي يجمل : الله ومحمداً وعلياً ، ورمزوا اليه بالشكل (أ . م . ع) وهذا المثلث مردُّه إلهٌ واحد . شأن الأقانيم المسيحية .

الماخوسيَّة :

انها من الفرق الاسلامية العلوية المغالية التي آمنت بان الشيخ (حسن جبريل) هو الذي اوحى للرسل ، وهو مُلهِم الفلاسفة ، وانه حي خالد . هو في رأيهم هيولى العالم ، وواهب الصوَر .

اعتقدت الماخوسية بالتقمص على الطريقة الهندية القديمة وأعني امكانية انتقال روح الانسان الى حيوان ونبات وجماد . وسمي ذلك التقمص بـ (الفَسخ والنَسخ والرَسخ) كما انهم آمنوا برؤية الثالوث : علي ، سلمان ، محمد (ع . س . م) كما ألمحنا آنفاً .

المرجيئة :

تؤمن هذه الفرقة من الاسلام ، بان الايمان الصحيح معرفةُ الله بالقلب ، وليس فعلا باللسان ولا عملا بالبدن ، المقصود من ذلك وجوب ترسيخ الايمان بالجوارح قبل العقل ، واستحواذِه على مشاعر المرء كافةً استحواذاً يمتلكها كلها . ويغني عن الصلوات والتوسلات ، وعن الفرائض العامة في الاسلام . لُقِّبوا بالمرجئة لاعتقادهم بأن ما يفعله الانسان من صالح العمل ، او من شره ، انما يُحتفظ بالحساب عليه كله ، الى يوم البعث ، لأن الله هو الذي يدين الخُطاة لا سواه .

الرافضة :

هي فرقة الاسلام العلويِّ المُغالي . زعم بعضهم في الإمام علي مزاعم شتى . منهم

من نادى به إلهاً تجلىَّ بشرا سوياً ، شأن يسوع المسيح . وزعم بعض انه لم يمت ، بل نـزل في‌السحاب ، يـراقب اعمـال البشر ، وبعضهم يـزعم انـه سيعـود قبـل القيـامـة ، هـو واصحابه ، منـادين باعتنـاق الفضائـل وتعظيم اهـل البيت واجلالهم . وجمح في بعضهم الخيال الى القول ، بانه تلقى بنفسه علم الرسـول ، فاضـاف اليه ، وفسَّر آيـات الكتاب التفسيرَ الصحيح ، ولقَّنه الى نَسله بالتوارث .

المعطِّلة :

موقف هذه الفرقة مغاير لـلاسلام ، ولكـل دين سماوي . لا تـرى دوراً لله في هذا الكـون فلا هـو خالق ، ولا محـاسب على الاعمـال . ومع رؤيتهـا الاشياءَ كـائنة من غـير تكوين ولا مكوِّنٍ لها . ترى الخلقَ بمنزلة النبات يمر على الحياة مـرور الطَيف، أو هـو قبسة مضيئة لحين . متى مـات مات كـل شيء فيه . تـذكّرنـا المعطِّلة بـالبوذيّـة في حياة زعيمهـا المستنير حيث الروح شرارة وتخبُو في بدءِ تعاليمهِ .

الحلوليَّة :

لهذه الفرقة العلوية رأي غريب : بعث الله برسـالته الى البَشَر مـع الملاك جبـريل . فسـاء فهمه هـذا ، ونقلها الى محمـد بدلاً من علـيٍّ المُرسلةِ اليـه . وظل عـلي الخليفة بعـد محمد ، ولا سواه خليفة بعد الرُسُل .

الفصل الثامن عشر

د ـ اخوان الصفا وخلان الوفا

إنها جمعية أخوية خِلاَّنية إشراقية، ما زال لغزاً اسم أول من قام بها. قيل: إنهم ثلاثة من الاخوان الاسماعيليين كِلاهم يحمـل اسم « محمد » ، تمـويهاً لـلأخصام . كـما قيل ان عدداً وافراً من الكُتّاب ساهم في تدبيج رسائلهم .

يؤمنون بأن نور الله يشرق على مختاريه ، فتصبح لهم دراية في معرفة المستقبل . ومن اشرق عليه النور ، فهو إلهٌ بالاشراق دون ان ينقص من نور الله شيء .

قالوا ان لله وحيْـينَ : الفلسفة والشـريعة . وان الامـام من ذرية اسمـاعيل ، وهـو وارث علم النبوآت، خاصةً الخفية الباطنية منها. وانه العقـل الكلي «والكلمـة». هو عـين

الحقيقة . قد فاض من الله قبل ان يكون شيء ، لا ليل ولا نهار . هو نور من نور . واعتقدوا بأن الوضوء والطهارة . انما هي رموز تعني التحرر من التكاليف الناموسية ، كما اعتقدوا بالتقمص وبتجلي الله في ادوار مختلفة . ويرون ان الكون يمرُّ في ثمانيةَ عشرَ ألفِ دور ، بين كل دور ودور سبعون عاماً والعام ألف سنة من حسابنا .

لدى الاخوان أفكار مختلفة متطورة ، ومباحث علمية زمنية قيمة ، نعرض هنا عنها بـ : الأفكار الرئيسية التي يقوم عليها مسلكهم العِرفاني :

المذهب :

آمنوا بالسِحر والتنجيم ، وقبسوا الكثير من الروح الفيثاغورية الهرمسية .

الخليفة :

هو الذي يسعد بتأييد الله له ، حيث تساعده الافلاك في التصرف بالامور الروحية ، لأن هذا التصرف انما هو اقتباس من الضياء الأسمى .

الاوتاد :

يرون في الائمة السبعة الشيعيَّة أوتادَ الارض ، فَبِهم توثيق الصِلات بين العالَمِين : العلوي والارضي ، وهم اطباء النفوس ، (الرسائل ٤ : ٤٠٦) .

الملائكة :

انهم الكواكب نفسها ، وعلمُها علمُهم ، والنبوءةُ من تأثيرات (عطارد) . وعطارد هذا له قوة تسري في جسم العالم اجمع ، بكامل اجزائه ، هذه القوة تفجِّر المعارف والاحاسيس ، وتبعث الوحي والنبوآت . (الرسائل ٢ : ١٢٥) قبل غزوه .

الافلاك :

لها أنغامٌ خاصة يسمعها المستنيرون بها ، في تنقية نفوسهم وعلو مرتبتهم ، وتحرير نفوسهم من اجسادها (٤ : ١٧٢) .

النبوة والإمامة :

نزل جبريل على الرسول فرآه وسمعه واستقبل منه وحي ربه . اما النبي فقد يرى جبريل ويسمعه وقد يراه ولا يسمعه . والامام يسمع الكلام ولا يرى الموحي .

والنبوْءة فيض من النفس الكلية على النفوس الجزئية (الانبياء) ، ومقدارهذا

الفيض يتوقف على ما تخزن نفس النبي من صفاءٍ وحسٍّ رهيف يتقبَّل الوحي .

النفس البشرية :

يقـول الدكتـور الزعبي وزَيْعـور في كتابهـا (البوذيـة) ص : (١٦٢) ان النفوس الطاهرة ملائكة بالقوة ، فاذا فارقت الاجسام اصبحت ملائكة بالفعـل ، والشريـرة منها : شيـاطين . والنفس جـوهرة سمـاوية نـورانيـة حيَّـةٌ بـذاتهـا ، قـابلة للتعليم ، مفـارقـة . (الرسائل) (١ :١٩٧) . قالت احدى رسائلهم : انها جوهرة روحانية سماوية ، راجعة الى عنصرها ومعدنها ومبدأها ، إما بغبطة دائمة ، او بنـدامة أبـدية ، حسب مـا يقدِّم لهـا جسـدها من اعمـال . وبارتقـائها الى المـلأ الاعلى تجـد الصور النـورانية التي لا تـدركهـا الحـواس ، من نعيم روحي ومتع . والنفس الشـريـرة لثقـل أوزارهـا تعجـز عن الارتقـاء فتجرفها الشياطين الى مستويات الوهج والزمهرير .

النفس الكلية :

مـرتبتها فـوق فلك القمر ، وقـواها سـارية في جميـع الاجسام بـالعـالَمـين : العُلوي والأرضي ، وسريان هذه القوى كما يسري نور الشمس والكواكب في الهواء .

الجسم الكلي :

انهُ المطلق الذي رُبطت به النفس الكلية ، وانه العالم بأجمعه فَلكاً وارضاً .

الجسد البشري :

هو الحائـل دون بلوغ النفس شأوَهـا . والموت هـو الكاسر لـذلك القيـد ، كما هـو المطلق للنفس الكلية صُعوداً وهبوطاً .

العقل الكلي :

أحد ملائكة الله المقرَّبين يؤيد النفس الكلية بكل ما يرضي الخالق .

الله :

هو خالق بارىء منشئٌ مصورٌ كيف شاء ، وهو واحد احد ، أبدع العقل ثم النفس ثم أنشأ الهيولى ..

نرى في تعريف الله عند الاخوان اختلافاً لبعض الباطنية الذين يجرِّدون الله وينزِّهونه عن كل عمل بما فيه الخَلق .

قـالت احدى الـرسائـل : إنّ العدد متى بـطل منه الـواحد فسـد نظامـه ، وتعطّلت اقسامه ، كذلك من انكر الواحد الحق فلا ثبات له في حال . (الجامعة ج ١ ص ٣٠) .

وليس الله بشخص ولا بصورة . هويته وحدانية . لا يعرف احـدٌ ، مَن هو ، كيف هـو . اين هو . هـو المبدع لكـل شيء بقولـه : كُنْ فكان . وهـو فوق الصفـات . عـرَفـهُ الانسان بَداهةً .

التقمّص :

عند صفاء النفس لا تعوزها العودة للحياة الارضية . اما العاجزة فتنوء بالشهوات ، وتستقـر على الارض . والـطاهرة تصعـد الى عـالم النـور ، حيث هبـطت (الجـامعـة ج ٢ ص ٣٠٠)

الشياطين :

هـم اصحاب النفوس المعاندة التي تنكّـرت للحق واستمرت في نكـرانها وضلالهـا ، كذلك هـم الجنّ على انواعهم ، كلهم ارواح شريرة .

إبليس :

انه مصدر الظلمات ، وهو الذي سبَّب الخطيئة الاولى ، حُباً بالمعاصي والشر .

الجنّة :

عرَّف الجنةَ الدكتور « البير نادر » في كتابه (اخوان الصفاء) قـائلا : انها في مكـان مـا تحوي ارواحـاً بلا اجسـام ، وملذّاتها خـاصة لا اثـر فيها للهيـولي ، وان سبب النار : تكرار التناسخ (التقمص على الأرض حتى تَنقى النفوس) .

وأعتقـدُ بأن الـدكتور سهى عنـه ان يحدد الملذات بـأنها روحية في الجنـة ، كـما هـو معـروف لدى الاخـوان . أعتقد بـأن الارواح تحتاج الى آلـة لاحتضانها ، ولجعلهـا تشعـر بالملذات وبالعذاب . والحواس لا تكون بغير اجسام ، أو لعلها أثيريةً هنالك .

ان هـذه الجمعية الخـطيرة ، التـزمت بستار من التكتُّم ، وان رسـائِلها كـما وصلت الينا ، تعود الى القرن العاشر الميلادي .

رسائل الاخوان في البصرة تكاد تشمل جميع فروع المعرفة ، وهي تتـألف من احدى

وخمسين رسالة ، يلاحَظُ فيها اعترافٌ بيِّنٌ بالحِسابيَّة الفيتاغورية . (والميزان) عندهم يفوق ما تحويه الفلسفة . ولكل نظام عندهم ولكل علمٍ موازينهُ الخاصة .

اما الميزان الأعظم ، فذلك الذي اشار اليه القرآن في (الآية ٤٨ من السورة ٢١) قال بأن اموراً هامة وراء الشريعة يجب فلسفتها والسير بمقتضاها . وهذا يحتاج الى نظام يدعو لتحرير الروح من علائقها المادية ، وخاصة ما حمَّلتها اياهُ الديانات السماوية من تكاليف .

وللنظام عند الاخوان مراتبُ أربعٌ تستجيب لأعمار المُريدين ، بدءاً من الفطرة في اليافعين حتى الحكمة والرموز ، ثم الاسرار الروحية الخفية ، حتى انكشاف الحقيقة الباطنية ، بعد بلوغ الخمسين من العمر .

ان مفاهيم الاخوان تسيطر عليها النزعتان : الصابئية والاسماعيلية . ورسالة الجامعة هي الاخيرة والثانية والخمسون ، وهو مشكوك في نسبتها الى الاخوان بالذات ، على زعم المرجع السابق .

اما اثر فكر الاخوان في العالم الاسلامي فكان بالغ الاهمية والعمق واخصُّ منهم المتصوفين .

اجمعت الاسماعيلية على ان الامام محمد بن اسماعيل ، الامام السابع ، هو الذي دوَّن هذه الرسائل ، وقيل الامام احمد ، آخر احفاد اسماعيل .

وقد اشار المستشرق الروسي (إيڤانوف) الى ان نَواة فلسفة الاخوان قد بُذِرت في عهد الامام الأول : علي بن أبي طالب ثم توسَّعتْ مع الزمن .

لكنَّ للمؤرخ (دي بور) وللفيفٍ من الباحثين آراءَ اقتبسوها من صميم رسائل الاخوان ليأتونا بالايضاحات التالية ، وبالتأكيد على ما المحنا اليه قبلُ قليل :

اخوان الصفا :

المعروف عن اخوان الصفا ، بعد تأسيس جمعيتهم وانتشار رسائلها ، انهم اجتمعوا على الطهارة والنصيحة ، وان مذهبهم هو : الفَوز برضوان الله . وقد زعموا ان الشريعة قد دُنِّست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل لغسلها الا بالفلسفة .

معتقدين بأنه في حال انتظام الفلسفة اليونانية الاجتهادية ، والشريعة العربية ، يحصل الكمال .

يؤكد المؤرخ (دي بور) : « لقد أفلحت الحكمة اليونانية في ان تستوطن الشرق وذلك عن طريق : إخوان الصفا » .

عند الاخوان للنفوس خمس عشرة مرتبة . منها مرتبة النفس الانسانية ، ثم سبع نفوس فوقها وسبعٌ تحتها . وان نشوء الانفس الجزئية هو من الجسم كالجَنين من الرَحِم ، وهي متى تبيَّنت امرَ عالمها ومبدأها ومعناها ، كرهت الكونَ « الجسد » وأستغنت بجوهرها عن التعلق بالاجسام ، فتدْخل في زمرة الملائكة ، وتعاين الصوَر النورانية التي لا تدركها بالحواس الخمس ، ولا تتصور في الاوهام البشرية ، وشاهِدهم ما جاء في الآية الشريفة : ﴿ فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون ﴾ .

والنفس البشرية الجزئية التي لم تظفر بالصفاء فجماعتها : لا تُفتح لهم ابواب السماء ، ولا يدخلون الجنة ، حتى يلج الجَملُ في سُمِّ الخيَّاط راجعةً الى قعر الاجسام المُدلهمَّة وأسر الطبيعة الجسدانية ، متدافعةً بأمواج الشهوات المحرقة . (مضمون الرسالة الثالثة عشرة) .

وقد اشارت الرسالة الخامسة عشرة الى ان النفس الكلية ربطت بالجسم الكلي المطلق الذي هو جملة العالم ، من اعلى فَلَك المحيط الى منتهى مركز الارض ، وهي سارية في جميع افلاكه ، واركانهِ ومولداته . وان النفس الجزئية تتعلم السياسة والتدبير والتهذيب وزكي العمل . هكذا يتشبه الجزء بالكل تشبهاً بالإله . فمتى بلغت النفس اقصى مدى غاياتها ، نُقلت الى حالة اخرى هي اعلى واشرف من الجسد اللَّحمي ، بدليل ما جاء بالآية : ﴿ ونُنشئكم في ما لا تعلمون ﴾ .

وهناك رسائل يتضح منها تسفيه معتقدات العباد حول نظر الناس للاله البطَّاش العنيف ، ثم لُمنكِرٍ ونَكير ، ولِرَب اليهود الحقود ، ولتمادي طيبات الجنة ، وللجحيم والتِنّين والنيران . وليس الامر في نظر الاخوان كما يعتقد الظَلَمة الكَفَرة : الامر لا يعلمه الاّ الله والراسخون في العلم .

واشارت الرسالة الثانية من النفسانيات حول الخَلق ، قالت : إعلم يا أخي ايَّدك الله

وإيانا بروحٍ منه ، ان الله أبدع الموجودات ، ونظمها ورتّبها كمراتب الأعداد عن : الواحد ، لتكون كثرتها دالةً على وحدانيته .

وتؤكد الرسالة السابعة منها ان : قيام الارواح هو الانتباه من نوم الغفلة ، واليقظة من رقدة الجهالة ، والرُقّي الى درجات عالم الارواح النورَانيّ . وان المعلومات تأتي الانسان بطريق حواسه ، ثم بالتأمل ، وبالوحي والالهام ، وهذا الاخير موهبة من الله تعالى .

وقالت الرسالة الثامنة ان وجود العالم عن الله . لكنه ليس كوجود الدار عن البنّاء . او الكتاب عن الكاتب ، بل كوجود الكلام عن المتكلِّم الذي ان سكت بطل وجودُ الكلام . فالكلام موجود ما دام المتكلم يتكلم به ، ومتى سكت بَطلَ وجوده . وان النور ليس جزءاً من الشمس ، بل فيض منها ، كذلك النار وحرارتها .

وفي الكلام عن الله ، قالت الرسالة الثانية من المجلَّد الرابع ما موجزه : لقد خلق الله الخلق وسوَّاه ، ودبَّر الامور واجراها . . ثم استوى على العرش . وقد اختار طائفة من عباده ، فقرَّبهم وناجاهم وكشف لهم عن مكنون علمه ، ثم بعثهم يدعون الى توحيدهِ ليحوزوا دارَ النعيم . شرط ان تصفو نفوسهم وتكمل استقامتهم ، ويتحلوا بالايمان ، والتوكل ، والاخلاص ، والصبر ، والرضا بالقضاء ثم الزهد في الدنيا وفي الرغبات .

واعتقد الاخوان بجديةٍ بسلطان السحر ، زاعمين ان هناك سحراً حلالا مُسانِداً الانسان في قضاء حاجاته ، وشفاء جسده ؛ وسحراً حراماً ، هو الشعبذة والإفك والخيال ، وتسوية التراب : (الدك) أحد أعمال السَّحَرة .

السحر الأول يستدل بعلم النجوم ، وموجبات أحكام الفلك ، وذلك ما يختصُّ بالأنبياء والكهانة والفأل . بهذا آمن إخوان الصفاء وخِلّان الوفاء .

الفصل التاسع عشر

هـ - مذهب القرامطة

القرامطة :

اول ظهور فرقة القرامطة الاسماعيلية ، في جنوبي العراق بعد ثورة الزنج عام

(٨٧٧) ميلادية . الفِكَرُ الرئيسية لمذهبهم قريبة من اصلها الاسماعيلي . امتدت حركتهم الى الجزيرة العربية وسوريا بعد العراق ، وامتازت ولأول مرة في تاريخ هذه الرقعة من الارض ، بنزعتها الاشتراكية ، بغية توطيد العدالة والمساواة في مُجتمعهم . ولا غرو بذلك ، فقد شهدت الايام بعهدهم ، مظالم وتحدِّياتٍ ، وخلفاءَ تماثيلَ متحركةً ، وغوغائية شعبية صاخبة وحاقدة ، وفقراً مدقعا .

قدح زِناد الثورة القرمطية مؤسسها (حمدان قرمط) بين الكوفة والبصرة . يحيط به شعب متنوع الجنسيات من عرب لزنج الى انباط . معظمهم مضطَهد مقهور مسحوق ، مُعدَم .

حمدان قرمط :

قال بعض المؤرخين ان حمدان مؤسسُ (دار الهِجره) يؤدي فيها الشعب ضريبة زكاة الفِطر ، وضريبة الهجرة ، وسواها من الضرائب المفروضة . منها ما يُجبى باسم الامام المحجوب ، ومنها لتأمين حاجات الدار . اما ضريبة (الخمس) فتصرف في (عشاء المحبَّة) أعني أكل (خبز الفردوس) . وقد بُنيتْ « الدار » في الكوفة عام (٢٧٧) هـ . وانتهى امر هؤلاء الثائرين الى تطبيق نظام اشتراكي بدائي ، وزعوا فيه الثروة بين الغني والفقير ، وغدا ما يملكونه من متاعٍ مشاعاً بينهم . ولم تعُدْ لأحد منهم ملكية خاصة ، خلا سلاحه القتالي .

تقبّل الشعب هذا النظام بحرية واندفاع ، وحرصوا على صيانته ، لولا السياسة الرعناء المحيطة ، ولولا الروح الاستثمارية الطامعة والعنصرية الدينية ، وتطرف اولياء الامر ، فيما يتعلق بالطقوس المتوارثة . كل تلك العوامل تألبت على هذا المذهب التقدمي الحديث ، لتحدَّ من انتشاره واستمراريته ، رغم ما شهد من اقبال شعبي عليه ، رافقهُ تنظيم دقيق . إدَّعى مؤَسِّسةُ (الظاهر) ، ان هناك دعاة اعلى منه مرتبة روحيةً ، حملوا القاباً مستعارة كـ (صاحب الخال ، وصاحب الناقة وصاحب الظهور) . اما الدعاة الظاهرون فقد انطلقوا يبشرون بالدعوة في شمالي العراق امثال (ذِكْرَوَيْه الدنْداني) . وفي البحرين وجنوبي العجم : (أبو سعيد الجَنابي) .

على اثر هذه الحركة الناشطة ، هب الخليفة العباسي بما يملك من طول ، لمحاربتها

واخم... ...ن شبَت نـارها . وفي عـام (٩٠٠) للميلاد قُتـل الداعي (ذِكـرويه) بصحـراء سوريا ، وانهار انصاره .

الجنابي :

في العام نفسه ، كان قد أفلحَ الـداعي (الجَنابي) في الاحسـاء والبحرين فـاستولى على البلاد واقام فيها نظامه الشيوعي ، مُلتفتاً الى البصرة ، طامعا بها حتى ببغداد نفسها . وخلَفَ (أبا سعيد الجنابي) نسيبه (أبو طاهر سليمان) المتوفَّى عام (٩٤٣) ميـلادي فتابـع خطة نَسيبِهِ طوراً يتجه شطر البصرة ، وتارة شطر الحجاز فالحرمين ، مهددا طريق الحج . وفي عام (٩٣٠) دخلت انصاره « مكة »، فردموا زمزم ، واقلقوا الحجيج وأذعرُوه ، وقتلوا المقاومين من اعدائهم ، واتوا بما يقدم عليه كل محارب منتصر من اعمال ثم استـولوا عـلى الحجـر الاسود من البيت الحـرام ، وظـل مفقـودا عشـرين عـامـاً ، حتى ارجعـه الخليفـة الفاطمي (المنصور).

بعد وفاة ابي طاهر عام (٩٤٣) كره احفاده الغزوات الخارجية ، عن عجـز فيهم ، وراحوا ينظمون شؤون بلادهم بروية وحكمـة ، قانعـين بما آلت اليـه ثورتهم الحمـراء من انكماش وركون .

علاقتهم بالفاطميين :

كان القرامطة يَجْبونَ الأموال باسم الدولة الفـاطمية ، المناوئة للعبـاسية في بغـداد ، وكانت هذه الدولة في عنفوانها . وحين حالف القدر القرامطة ، وحازوا بعض الانتصارات عـلى العباسيـين ، غـررَّت بهم نفسهم ، الى التنكُّـر للفـاطميـين ، والى تَحـدِّيهم ، في مـا يعتقـدون حـول (إمـام الـزمـان) . رأوا أن يلجأوا إلى العبـاسيـين ويـطمئنـوا إليهم، في السياستين الزمانية والروحية . كل ذلك قد حصل بعد وفاة « الجنابي » الذي كانت تـربطه بالفاطميين صلات روحية ومادية اصيلة .

معتقدهم :

لانبخس (حمـدان قرمط) حقـه في حسن تنظيمـه ، وحسن اختياره لـدعاتـه ، وفي تطبيقه عمليا المُثُلَ العليا التي كانت تنادي بها المعابد والاقلام والتيارات الفكـرية الفـارسية وغير الفارسية ، من الحق والعدل والـرحمة بـالفقير والمحـروم والمضْطَهـد . جسَّد كـل هذه

الاحلام الداعي (قرمط واعوانه).

وقد اثبت للتاريخ الرحالةُ الفارسي الخطير (ناصر خسرو) انه في عام (١٠٥٢) م زار الاحساء فوجد طواحينها تعمل باسم الدولة . والدولة تنقد العُمَّالَ أجورهم . وكان ذلك بعد وفاة قرمط بزهاء نصف قرن .

اما شعائر القرامطة الدينية فأولها : نقض فرائض الاسلام ، وتأويلها بما يعود للإمام ، وكتم الدعوة ، والتنكر لظاهر الصلاة والصوم والحج ، وما الى ذلك . كان للنور لدى القرامطة مكانة مميزة ، باعتبار ان النور الالهي العلوي هو مصدر كل نور روحاني ، أما النور الشعشعاني ، والنور القاهر ، فيصدر عنهما العقل الكلي والنفس الكلية . هذه النفس تُحدثُ عقول الانبياء والاولياء والائمة والمختارين . والنور الظلامي هو الافلاك والأجسام الفانية على الارض . انه المادة بعينها . اما النور الشعشعاني فمن ذرَّاته المتفرقة في الكون ، يستنير الانبياء والائمة ، وكل ذي فضل وصلاح ، ويترفعون عن كل ما هو مادي ، وما يعود بالألم النفسي والجسمي لكل ذي وَرَع .

هذا النور الشعشعاني يحرِّر مَن سَعِدَ بشعاعٍ منه ، من الطبيعة التي تحمل الاحزان والحرمان للانسان ، ومن الناموس الذي يفرض الأوامر والنواهي ، ومن الدولة التي تعاقب وتراقب وتقيِّد الحريات . متحرراً من الضرورة التي تُخضِع المرءَ للقيام باعماله اليومية ، وبارهاقه بما لاطائل وراءه .

إن هذه الفرقة من الإسلام، على تباين معتقداتها لمؤمنةٌ بإله واحد أزليٍّ ابدِي، خالق متعال ، ومؤمنة بالعقل الكلي ، مصدر كل المخلوقات والمشرف عليها ، وراعيها ومدينها ، وهو بمثابة النبي والامام معا ، كما انهم يقومونَ بالأعمال الخيرة ويتطلعون الى حُسن المآب .

فلا يضير الاسلام في شيء ، إذا هم جنحوا عن اتباع الفرائض ، طالما هم يؤمنون بشهادة ان : لا إله إلا الله ، وبالقرآن البليغ : نهجا قويماً ، بما يحمل من آيات مؤولات . ومَن امعن في العقيدة الاسماعيلية ، رأى فيها وجه الاسلام الشيعي المتطرف ، ورأى فيه المذاهب التي انبثقت عنها : الغَلْوية والدرزية والقرمطية ، اهمالاً لبعض الفرائض ، وتأويلا لها . انما ظل الايمان بمضمونها ، والطاعة لمرسلها والتوحيد لبارئها ، في مقدمة كل رأي . وحين نتناول هذه الفرق يتبين مدى علاقتها بالاسلام الام ، مهما جمح بهؤلاء

الـزمام ، وشـطح الفكر المستـورَد من ائمة البـاطنية العـالمية ، امثـال : فيتاغـور وهـرمس وافلاطون ، وامثال الباطنية في مصر القديمة والهند والصين وفارس ، وامثال كل تيار باطني توحيديٍّ تغلغل في مطاوي الغرب والشرق بكل زمان .

الايمان بالله :

حسبنا من القرمطية ان ايمانها بالواحد الاحـد وبأنـواره العلوية القـدسية هي قـطب العقيدة ، والمحور الذي يدور حوله الكون أجمع . لنسمعها تقول: « إن الله نـور علوي لا يمازجه ظلام ، تولَّد منه النور الشعشعاني حيث الانبياء والائمة ، علماء الغيب . وقد تولـد من النور الشعشعاني الأسبق ، نور ظلامي ، هو ما نراه في الشمس والكواكب والجواهر . وبواسطته تحل الآثام والنسيان والشهوات ، وتتفجر الانانية الحمقـاء ، بكل طـاقاتهـا ، في كـل المناسبـات » . ونراهم احيـاناً يُـوغِلون في الشذوذ فينـادون : « ان البارىء لا يحتـاج الى عبادة خلقه ، ولا جنـةً ولا نار . فمن مـات فني جسده ، ولحقت روحـه بالنـور الذي تولدت منه ، فترجـع كما كـانت ، نورا سمـاويا » . شـأن الهندوسيَّـة .

تلك هي خلاصة المعتقد القرمطي والاسماعيلي ، ولعلَّ التحريف طال بعضه لسببٍ ما .

ومن أحدث منْ تناول تـاريخ القـرامطة ومعتقـداتهم المؤلف (ميكال يـان دي خويَـهْ (M. de Goejé الهولندي الأصل ، في كتابه : (القرامطة) ترجمـة وتحقيق الأديب (حسني زينه) . نُثبتُ رأيهُ خدمةً للتاريخ :

قال المؤلف في مطلع كتابه هذا : « القرامطة والفاطميـون فرقـة واحدة في الحقيقـة » كان ذلك حقا في الفترة الزمنية الاولى لتاريخ القرامطة ، وبعدها انحرفوا شـطر العباسيـين في السياسة الـزمنية ، والتـزموا خـطا روحيا معـارضا للفـاطميين الاصيلين ، قبـل الخليفة (علي الظاهر)» . ورد في تاريخ اخبار القـرامطة تـأليف (ثابت بن سنـان) وتحقيق (سهيل زكّار) بيروت (١٩٧١) مـا يلي : استجـوب الخليفة العبـاسي المعتضد عـام (٢٨) هـ احد زعـماء القرامـطة فقـال : « هـل تـزعمـون ان روح الله وانبيـائـه تحـل فيكم ، فتعصمكم وتوفقكم » اجاب القرمطي : « ان حلت روح الله فينا فما يضرك ، وان حلت روح ابليس فما ينفعك ؟» .

هذا الجواب لا ينفي عدم ايمان القرامطة بالحلول ، بشكل او بآخر .

الوضع الاجتماعي :

يقول المؤلف نفسه في الصفحة (٣٥) : « كانت الضرائب ، وهي كثيرة وباهظة ، تدفع بحماسةٍ شديدة ، وكان المكلفون يتعاونون على تسديدها ، والموسرون يدفعون عن الفقراء » . ان هذا التعاون والاندفاع على دفع تلك الضرائب المتعددة ، بغير اجبار ، دليل على اعتصام هؤلاء بمبدأهم ، والتزامهم بملء حريتهم ، بتعاليم مذهبهم الجديد .

واستطرد المؤلف : « ان هذا النظام كان ينسجم تماما مع الأمل في رؤية ملكوت الله ، يتحقق قريبا على الارض ، وصيرورة الارض ملكا للمؤمنين » .

أليست هذه أمنية الاسلام أجمعين ، على اختلاف مذاهبهم ، وأمنية المسيحيين في عودة يسوع وبسط سلطانه ، وأمنية اسرائيل بعد بعثهم ؟؟ .

يرى المؤلف في الصفحة (٦٧) نقلا عن الجوبري ، (المختار في كشف الأسرار) : أن أبا سعيد الجنابي كان مُتبحِّراً في علم الغيب، وانه ادعى النبوة . ونقلت عنه أخبار كثيرة روحانية ، حتى ان (ناصر بن خسرو) الفارسي ، لدى زيارته للبحرين ذكر في مؤلفه (سفر نامه) ان شعب ذلك البلد يحمل اسم : (الأبي سَعيديِّين) تبركا بالداعي أبي سعيد الجنابي .

وقال (مُوللر) في الجزء الاول الصفحة (٧٥) من كتابه (بُورجر وشْلوسَّر ، Burger and Schloessr) لقد نال أبو سعيد الجنابي لقب منصور البحرين، واللقب هذا يعادل لقب (المهدي). وقد اثبت المؤرخ المقريزي في كتابه : (إتعاظ الحنفا) ص (٢٥١ - ٢٦٥) الصلة الوثقى بين كلا المذهبين الفاطمي والقرمطي ، وهو ابن ذلك العصر . لكن (إبن حَوْقَل) عاد ليؤكد اعتراف أبي طاهر الجنابي ، خليفة ابي سعيد ، بأن (عُبَيدالله) وخلفاءه في المغرب كلهم ائمة صدق وهم خلفاء شرعيون لمحمد بن اسماعيل . غير ان بعض الشيعة يؤكد عكس ذلك ، معتبرة محمد بن اسماعيل ناطقاً ظاهراً ، لا باطناً قط .

المقدر :

مما يؤيد كلام المؤلف (De Goeje) حول شدة اقدام القرامطة وتفانيهم المتناهي ، بإيمانهم «بالمقدّر» الذي لا مهرب منه ،ايمان الفاطمية الحاكمية ،والدليل ما كتبه (ابن الجوزي) في المنتظم (ج ٦ ص ٢٠٩) قال : « قيل لبعض القرامطة : كيف تغلبون مع

قِلّتكم قالوا : « نحن نقدِّر السلامة في الثبوت ، وهؤلاء يقدّرونها في الهرب » .

وهل اصدق من الابيات التي نظمها الداعي (أبو طاهر) معرفا قيمة الكواكب في معتقدهم ، وحقيقة القدرية ، وانه حامل رسالةٍ سماويةٍ مقدَّسة . لِنسمعه ينشد :

« إذا طلع المريخ من ارض بابل وقارنه كيوانُ ، فالحذرَ الحذرْ
... أنا ذلك المهديُّ لا شخص غيره انا الفارس الضرغام والصارم الذَكَرْ
ألستُ أنا المذكورَ في الكتب كلها ألستُ أنا المنعوتَ في سُورة الزُمرْ
أعمَّرُ حتى ألتقي « بابنِ مريم » فيَحمُد آثاري وأرضى بما أمرْ
... ولكنه حتمٌ علينا مقدَّرٌ فَنفْنى ويبقى بارِىءُ الخلق والبشرْ » .

إن القدرية شائعةٌ في الاسلام ، أما التنجيم فمرفوض ، غير أن المعتزلة قد عبَّرت بلسان احد فقهائها قائلة : « يستخدم الله الاجرام السماوية لِلاعلان عن المستقبل ، لكنه يحارب المنجمين الذين ينسبون اليها التأثير المباشر » . عن عبدالرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين (ج ١ ص ٢٨٠ - ٢٨٦) .

وقد روى الشهرستاني في (المِلل والنحل ج ١ ص ٣٢٥) نقلا عن الخزرجي ، قصيدة كلها ثلب وتعرض وقحٌ فاضح وكاذب لِمبدأ القرامطة . دلت على عكس ذلك تصرفاتهم الحكيمة وعدلهم وتفانيهم . ولا يصح ان يعتمد هذه الصفات الكريمة ، لصوصٌ قتلةٌ فاسقون ، بحجة خلاف عقائدي طارىء ، او حقدٍ متأصِّل .

كانت قيمة الامام لدى القرامطة تماثل قيمته لدى كثير من الفرق الشيعية فهو : « اسم الله في أهل عصره ، وطاعتهم له ، وجهٌ لطاعة الله . ومن سلَّم له في جميع أموره وعرف حدودَهُ فأقرَّبهم ، فقد عرف الله ووحدَّه بحق وصدق » . عن (دي جوجه (De Geoji) : (١٣٨) .

القرآن والتأويل :

اعتبر هؤلاء القرآن ، مرجعهم الاول ، واعتبروا قيمته في تأويله حيث الحقيقة . اما تأويل القرآن فقد اختلفت المذاهب الشيعية فيه ، فأَوَّلهُ كلٌّ على هواه . وقد ظفر الباحثون في (كمبردج) على مختارات من سيرة السادة (البُوسَعيدِين) منها هذان البيتان من قصيدة مسهبه :

« وأبطلوا الصلوات الخمس ، وانتهكوا شهر الصيام ، ونصّوا بينهم صنما

ومـا بـنـوا مـسـجـدا لله نـعـرفـه   بـل كـل مـا وجدوهُ قـائـما هَـدمـا »
رقم (١٨٣ ورقة ١٠٣).

وفي مخطوطة (ليـدن) الأوراق (٣٠٠ ـ ٣٠٤) تأويـل للنفخة في (الصُّـور) نوجـز منها :

انها دعوة الناطق الى ظاهر الشريعة التي تعمّ كل الناس . تلك هي النفخة الاولى ، اما الثانية فهي محض تأويل ، ومن سارع اليها نجا ، وجُوزيَ بالحسنى .

والمقصود بالصُور ، حسب تأويل القرامطة هو : امـام زمانهم ، والنفخـة هي اقامـة دعوته التي يجتمع اليها الناس المخصصون المحجوبون .

ويتابع المرجع : « ان المقيمين على الظاهر يزعمون ان الصُوْرَ قَرْنٌ طـوله من مشـرق الارض الى مغربها فيه ثقوب بِعَدِّ انفاس الخلائق . . لقد ضل سعي هؤلاء ».

من هنا يتبين لنا وجه المـذهب القرمـطي الباطني الشيعي المتـطرف . لعل الـظروف السياسية سعـرت احقاد هؤلاء فجنحت بهم الى مـا رأينا من تصـرّفاتهم : عمـلاً وفكراً . ولعلّ الافكار الغريبة عن الاسـلام ، والوضـع الاقتصادي المتـدنّي ، حدا بهم الى اعتمـاد هذا الخطّ الثوريّ ممّا أدّى الى لَغَطٍ مُتزايدٍ ومتناقضٍ ، حـول عقيدتهم ، مـع الأيام . لـذا وجدتني ملزَماً = لخـدمة التـاريخ = عـلى تناول مختلف الآراء حـول هذا المعتقـد الباطنيِّ ، التقدُّميِّ الجريء ، موجزةً في ما يلي :

يقول الدكتور (مصطفى غالب) في كتابه القرامطة : طبعة ثانية صفحة (٥) بيروت (١٩٨٣): « ان الاسماعيلية هـم المعنيـون بكلمة (قـرامطة) والتسميـة هذه دُسَّت عليهم دسا بقصد ابعاد الناس عنهم وتشويه سمعتهم باعتبارهم خطرا يُهدِّدُ الجماعة الاسلامية ». والحـركة هـذه انما هي تجسيـد لاحلام المقهـورين والمعذبـين وهي حركـة اصلاحيـة دينيـة اجتماعية وسياسية . اما معظم المؤرخين فانهم لم يتفقوا بعد عـلى تحديـد مذهب القـرامطة وصحة انتسابهم الى الاسماعيلية . كثرت الآراء واللغظ حول هـذه العقيدة ، لكن المـرجع انها مذهب اسماعيلي قريب جداً من (اخوان الصفاء)، وفي مُنطَلقهِ الأوَّلِ كان أخا روحيًا واجتماعياً للمَسلك الـدرزي . في وفاة الجنـابي ابي سعيد وابي طـاهر بـدأ الشقاق والعـداء والصراع .

وحسب تنظيمات دعوة القرامطة الاسماعيلية السرية كان يتولى رئاسة الدعوة الامام بالذات يحيط به اربعة دعاة كبار يُعرَفون بـ (الدعاة الحرم) ويتسمَّوْن بنفس اسم الامام امعانا في التستر والكتمان .

كان مقر الامام ودعاته بلدة (سَلمَية) شمالي سوريا ، وكان الامام الأول للاسماعيلية القرمطية : (محمد بن اسماعيل) المتوفّ عام (١٩٣) هـ . تسلمها بعده ابنه (عبدالله بن محمد) ودواليك حتى (عبيدالله) بانى مدينة (المهديِّة)في تونس عام (٣٠٣) وحيث انبثقت الفاطمية .

كان شعار القرامطة : الطاعة المطلقة والتضحية ، معتبرين نورَالامامة هي خلافَةَ الله في الارض .

من خطب احد أئمتهم : « ابنائي الاعزاء : اوصيكم بالجد والاجتهاد والتضامن والاخاء والمحبة والاخلاص ، ثابروا على نشر دعوة الحق ومبادئها الخيِّرة . . بالتضحية والطاعة الفعلية . . وإلى الجميع احملوا بركاتي الأبوية » .

كان القرامطة يعنون بتعليم المرأة كالرجل ويوكلون اليها المهام الخطيرة نظيرهُ .

شعائرهم :

١ ـ صهر الطبقات العاملة كافة في بوثقة واحدة .

٢ ـ السيطرة الفعلية على الاراضي الزراعية والصناعية واخضاعها لمجلس الدُعاة .

٣ ـ يدفع كلُّ مستجيب اشتراكا شهريا قدره دينار واحد .

٤ ـ تجمع الاموال وتنفق بالتساوي على المشاريع الاجتماعية والعلمية والصناعية .

٥ ـ العناية الفائقة بنشر العلم والمعرفة بين الجميع .

٦ ـ نشر العدل والمساواة والمحبة .

٧ ـ مساواة المرأة بالرجل في كل الحقوق .

٨ ـ التضحية في سبيل الاصلاح وتقويم الاعوجاج .

٩ ـ العمل بسرية تامة وعدم الاحتكاك بالطوائف الاخرى .

١٠ ـ الدقة في اختيار الدُعاة والتخصص بالدعوة في بلدة (سليمة) .

ولتأكيد المبدأ العام للقرامطة يمكننا ان نسمع بعضا من خطاب كبير زعمائهم في

الفترة الثانية ، (الشيخ ابي سعيد الجنابي)، قال : « اعلموا ان الدين والعقيدة لخدمة المبدع سبحانه ، لذلك اطلب اليكم جعل اهدافكم الدينية والعقائدية وسيلة لإسعاد الناس وتحريرهم من الظلم والاضطهاد ، وايجاد العدل والمساواة والاخوة الحق بين الجميع ، لا فرق بين قومية وقومية ، وجنس وجنس ، طالما للجميع ارضية واحدة وهدف واحد » . . .

وقد أعيد في عهد رئاسة آل الجنابي الحجر الاسود الى بيت الله الحرام وكانت مُدَّةُ غيبته إثنتين وعشرين سنة . أعيد عام (٣٣٩) هـ . أما الدكتور (غالب) المعاصر فقد خالف سواهُ في بعض أفكاره كما نلحظ .

وكان المقر الاخير للقرامطة (البحرين) حيث انتهت دولتهم في سنة (٣٧٠) هـ . واستمر المذهب الاسماعيلي بتعاليمه المختلفة قائما وسط العالم الاسلامي ، رغم ما طالعه من اضطهاد وافتراء ، سببته العوامل السياسية الزمنية .

هكذا يرى الباحثون النزهاء غُبنَ المعتقدات الباطنيّة العالميّة ، رافقها مدى انبثاقِ وَعْيِ الانسان ، حتى عصر مُداناةِ النجوم .

الفصل العشرون

هـ - عقيدة الدروز

منشأها :

الدرزية مسلك توحيدي قديم ، قِدَم وعيِ الانسان ، عايش الادوار والحضارات شرقاً وغرباً ، وبرز منه اقطاب متفوقون ، شهد بمواقفهم التاريخ العام ، سنلم آتيا بذكر بعضهم .

عرَّف هذا المسلك المؤرخ (مصطفى الشكعة) بقوله : « انه مسلك توحيدي صميم ، غايته الكشف عن حقيقة الوجود » .

آمن هذا المسلك بما انزل من الرسالات السماوية كل الايمان ، لكنه عاب بعض اصحابها ، في الافراط بالتأويل لآياتها ، وبتحريف بعضها او مسخه ، لأسباب سياسية او حضارية بينة . كان ابرز اقطاب مسلك التوحيد الذين عايشوا الديانات الثلاث الكبرى

شُعَيب بعهد موسى ويوحنا المعمدان بزمن المسيح ، وسلمان الفارسي ايام الرسول .

مهمَّة هؤلاء الاقطاب مدُّ الديانات الظاهرة ، والإسهام في توضيحها وتعميق الايمان بالتوحيد . إتَّهم المؤرخون القدامى وبعض المعاصرين ، هذا المسلكَ بما هو بَراء منه . اتِّهامُهم هذا نابع من مواقف سياسية عدائية للدولة الفاطمية ، في عهد خليفتها الحاكم بأمر الله . وزاد الاتهام شراسة ، ضرورة الباطنية والتقية في هذا المذهب . ثم تلا ذلك تحريف وتشويه بعض الدعاة المارقين للعقيدة ، واللَّبسُ الذي سبّبته الوثائق الزمنيّة في مكتبة الخليفة الحاكم حول الباطنيّة .

الباطنية :

كانت الباطنية في المعتقدات الروحية عامة وليدة فجر التاريخ ، آن أخذَ الانسانُ الاول يتحسسّ القوى الخارقة الخفية ، مشيراً من بعيد الى الكائن الاعلى .

وكم اشرنا الى هذا التيار الباطني في كتابنا هذا ، متسرِّباً الى قاراتٍ ومعتقدات مختلفة . اول ما تحقق واتضح بمصر في اول سلالاتها : (بأتون وهرمس واخناتون)، وبالمشرق في : (راما وكرشنا ولاوتسي)، وباليونان في ألوزي Eleusis والنِحلة الاورفيّة والمدرسة الفيتاغورية ، وفي الرومان بملكها الروحاني الكبير : (نُوما Nouma) ، كما اتَّضح قديماً أيضاً لدى شعوب : الدرويد والسَلْت ، في أُوربا . وحديثاً في الصليب الوردي وما دار في فلكه حالياً وأخص بأميركا .

انبثقت الباطنية على اشدها حرارةً واتساعاً في الاسلام ، بعد انشطاره في المعارك الدامية بين : سُنَّةٍ وشيعةٍ وتعمَّقتْ بعد وفرة المترجمين والمواصلات التجارية .

كانت التقيَّة ترافق الباطنية في كل مراحلها ، حيناً تخوفاً وحذراً من سلطان منغلق ، وحيناً تأبياً عن وضع الجواهر التوحيدية في متناول معشرٍ لا يفقه حقيقتها ، ولا تقوى مداركه على الغوص الى لجّ معانيها ، حتى تتقبّله أفهامها . يعتبر المتضلعون من فقه المذهب التوحيدي الدرزي ، ان كل الديانات السماوية بفروعها ، بل كل معتقد روحي ، يحمل بذوراً للتوحيد السليم ، فمن تعرف اليها ، وغذاها بالمعارف الصادقة والاعمال الخيِّرة ، فهو موحد .

إذاً فان عقيدة التوحيد غير محصورة في دين ، ولا في مذهب او طريقة . من آمن

بالله الواحد الأحد مجرداً منزها ، جاهدا في تحقيقها وتجسيدها في الحياة اليومية ، فهو ذلك الموحد .

واني في ما يلي سأوضح العقيدة ، متناولاً ما يشمل صرحها العتيد من دعائم ومقتضيات ، تسمح للقارىء بأن يُلمَّ بحقيقتها ، ويتفهم بصدقٍ وجلاء باطنيتها .

في هذا الرُبع الأخير من القرن العشرين ، انطلق بعض المؤرخين الدروز في لبنان ، فكشفوا الحجاب عن الباطن الدرزي ، قدْرَ ما سمحت به معارفهم .

حدث بينهم من مغالطات تعود الى سطحية العقيدة . لقد حمل الموحدون لقب « الدروز » نسبة الى أحد دعاة الحاكم بأمر الله ، الذي ندَّ مِن حقيقة التوحيد ، وممارساته. انه: (نشتكين الدَرَزي). عمد هذا عائثا في (وادي التيم) من لبنان ، حتى قُضي عليه بعد وقت قصير . وشاع هذا اللقب وما أُبِه له .

الدروز اليوم منتشرون في بعض الاقطار العربية والمهجر . عددهم لا يتجاوز المليون نسمة . طقوسهم اسلامية ، والفرائض لديهم اختيارية ، مجتمعهم للصلاة ، في مجلس بظاهر كل بلدة ، يتلون فيه ارشادات روحية ، وزمنية اولا ، ثم يرتلون آيات الله ، وبعضَ الرسائل المخطوطة من كتُبهم الخاصة المسماة بـ (الحكمة). اما المغرقون في التقوى فلهم خلواتهم الخاصة ، وبعضهم يتبتّلون ، متنكِّرين للحياة الدنيا ، ومتاعها ، وطيِّباتها ، وسياساتها .

تلبَّس الدروزَ هذا اللقبُ بعد احتجاب « الحاكم » وائمَّته . خرجوا من الفرقة الشيعية الاسماعيلية ، بعد كشف هذا التوحيد ، على يد الداعي الاكبر (حمزة بن علي الزوزني الفارسي)، عام (٤٠٨ هـ) الموافق لعام (١٠١٧ م). راسخا في نفوسهم الاعتقاد بما يلي :

I ـ الله : قال صادقاً العلامة محمد كامل حسين في كتابه : (طائفة الدروز) : «أن تجلي الله في الحاكم العظيم ، لا يراه العامة إلاّ على قدر عقولهم . ولو نظروا الى افعال مولانا جلت قدرته ، بالعين الحقيقة وتدبروا اشاراته بالنور الشعشعاني ، لبانت لهم الالوهية وو ». اذاً فالالوهية ليست شيئاً مجسداً او حالاً بجسد قط .

يقصد المذهب في كلمة : العين الحقيقيَّة ، العين الثالثة لدى المدارس الروحية المعاصرة ، وهي التي تنبعث طاقتها الى ابعد مدى من البصر والبصيرة . انها معرفة الباطن التوحيدي ، معرفةُ رؤى ما بعد الطبيعة .

اما الشعشعاني ، فهو النور الروحي الكامن في تلك العين الحقيقيَّة ، النور الذي يجلو غوامض الظواهر ، ويصل بالعارفين الى سر اسرار الوجود ، نورٌ عرفناه في مذاهب سابقةٍ بَدءاً من شمس مصر ومسلَّتِها . الله في هذه الطائفة لا يوصف ولا يحدد، انه الانطلاق الكلي من شراك عقلنا المحدود ، وحسنا الخاطيء ، انه الموجود الاحد ، ليس في مكان خاص . كما لا يخلو منه اي مكان . انه المبدع لكل كائن ، كما هو الخالقُ ، لخلقه . والله في العقيدة ذاتٌ متناهية الشمول . انه الوجود لكل موجود ، وفي كل موجود ، ولا وجود فيه لأي موجود . لا شيء في الكائنات خارجَ إرادته ، وارادتهُ تلك غير ذاته فهي الخَلاقة، وهي التي يمدُّها ويحتويها ، كما سنرى لاحقا . كما ان اللاهوت موجود منزَّه عن المشافهة والمشاكلة والتربية والافادة ، فهذا كلّه من مَهَام العقل ، بأمر الله .

II ـ التجلي : ان اعتراف محمد كامل حسين بقوله : «لا يرى العامَّةُ الله الا على قدر عقولهم» فصحيح ، واضيف : « وعلى قدر ما ينعكس على مرآة قلوبهم ، وتستوعبه مداركهم القاصرة التي تنميها الدراسات الروحية ، ومكاشفة الموحدين واستقامة السلوك الحياتي ، على مستوى انساني رفيع » .

ان التجلي هو انعكاس النور الالهي على بصائر الموحدين . كما تنعكس صورة الشيء على صفحة مرآة له . والله بتجلّيه في الناسوت ، لا يتلبس جسدا بشرياً فيخضع لمتطلباته ، انما هو كالسَراب في العين المجردة ، وحقيقته في لاهوته .

للتجلي اسبابٌ، منها أن الله بهذا الناسوت عرَّفنا ان الانسان اشرفُ المخلوقات، لانه اختار صورته مظهراً له ، ولانه بهذا الناسوت عرَّفنا بأنه ليس عَدماً ولا صَنَماً او سواه ، مما كان يُؤلَّه ، بل موجود حقا .

رأت أعيننا الله الأحد وخاطَبنا بلغتنا ، وكان هذا التجلي زَخماً لجماعة الموحدين في تعميق ايمانهم به ، كما كان صاعقةً على المشركين والكَفَرة ، لأنه دل على ذاته تعالى . فغاية التجلي بعث الطمأنينة للقلوب والأنس للأنفس ، في حين ان لاهوته لا يُرى قط . وأن تمام

التـوحيـد بنفي العـدم . والمعـرفـة تتم بـالمشـاهـدة . لا يتخـطى الانسـان بهـذا التجـلي ، حجاب اللاهوت ، وجزئية وعيه لـه . وما تلك الصـورة الانسانيـة للمبدع الا اداةً لمعـرفة حقيقتـه ، كما هي الكلمـة اداة للإطـلالة منهـا على معنـاها الصحيـح . ويعتبر المـوحدون الدروز ان الإقرار بـالتجلي وصحتـه هو اعـظم اركان العقيـدة ، خاصـة وقد اشـار القرآن الكـريم الى ذلك في سـورة النور الآيـة (٣٩) حـين قـال : ﴿ والـذين كفـروا ، اعمـالهم كسَراب بِقَيعةٍ يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده ، فوفَّاه حسابَهُ والله سريع الحساب ﴾ . وليس التجلي رؤيةً لجسد مادي انما هو رؤيا بالعين الثالثة ، فحين يصفو المرء بمجاهداته يدرك ان الله اصبح مرآة له ، يشاهد فيها ذاته الحقيقية .

القـول برؤيـة المبدع في التجـلي على قـدر طاقـة الانسان الـروحية ، يعـود الى ما في الانسان من كثافة ، والى ما في الله من لطافة فائقة . فبقدر ما تتمكن العين الحقيقية الثالثة من كشفـ حُجُب الضـلال عنها ، وإذابَـةِ تلك الكثافـة ، بقدر مـا تتوصـل الى الدنـو من مشـارف النور الشعشعـاني الالهي ، بِقـدرِ مـا تتحقق لهـا رؤيـة البـارىء في صـورة ذلـك الرائي ، فتكون الرؤية على قدر اللطافة وحُسن الشفافيـة اللذَين لا يتهيآن الا للصـادق في توحيده ، والعريق في انسانيته . والخلاصة انه كلما كان التوجه للحق مخلصاً ، كان الوجـه الذي يتقرأه الرائي أجلى وأنصع .

فالصوفية التي تنادي بمواجهة الله ومناجاته ، او بالفَناء فيه ، من ايـة حضارة وزمـان كانت ، كلها انما تواجه وتناجي حجاب الله فقط ، وكلها ، انمـا تفنى او تنصهر في مشيئـة الله اعني (بنفسه الكلية) . ومن شطح به التـوحيد الى الـذوبان والاضمحـلال بالـلاهوت نفسه ، فيعتبره المذهب الدرزي مغالياً جداً ، لان الله متعالٍ متعـازٌ لا يُدانيـه شيء ، بينما هو دانٍ وفي قلب كل شيء .

لقد اكد المؤلفان المعاصران مصطفى الشكعة ومحمد كامل حسين ، على ان المقصود لدى المذهب الدرزي بكلمة : مولانا جل ذكره : « هو لاهوت الله الـذي لا يدرك بِـوَهْم ولا يدخل في الخواطر والفهم ، يعلم خـائنة الاعـين وما تخفي الصـدور » . وبصفتي من نفس العقيدة أُقرُّ بصحة هذا القول ، قادرا جهود المحقِّقِين المعاصرين .

امـا قول المؤرخ « عبـدالله عنان » بـأن الدروز يعبـدون علياً بن أبي طـالب ، الامام

الشيعي الكبير ، فخطأ فاضح ، بدليل ما وضح في احدى رسائل التوحيد الدرزي : « من اعتقد التناسخ في شخص علي بن أبي طالب وعَبَده ، من دون الله ، خسر الدنيا والآخرة » .

وما ورد في كتاب « حسن ابراهيم حسن » من مغالطات عدة في كتابه (تاريخ الدولة الفاطمية) يؤسَف له ، لان المؤلف اعتمد المؤرخين القدامى ، ولم ينح سبيل الباحثين المعاصرين ، ولا ادرك ان مذهب الدروز يقول بصراحة : ان الاسماء والصفات كلها للمخلوق لا للخالق ، فالخالق متعاظٌ متعال ، هو خيرٌ محض ونورٌ روحيٌّ محض ، غائب عن الابصار ، حاضر في بصائر الموحّدين .

تؤكد العقيدة الدرزية بنصوصٍ صريحة ان الله ذاتٌ متميز عن مبدعاته وعناصرها ، ونوره الشعشعاني لا يبلغه مخلوق مهما تسامى وتناهى صفاء وانخطافا . ان منتهى درجة الصفاء هي بحدود الامامة التالية لا ابعد ، ولو كان ممكنا بلوغ اللاهوت والذوبان فيه ، لكان أسبق إلى ذلك العقل الكلي ، المُعتَبَر بـ (سابق السوابق) خلقاً وتوحيداً ومشاهدةً وصفاء .

من هذه الشُرفة التي تطلعنا على التوحيد الدرزي نتأكد من ان فاصلا بين التوحيدَين : المطلق والدرزي . ذاك يؤمن بالانصهار والفناء بالذات الالهية ، فيحتويها هو ليصبح الوجود واحدا بجوهره . وهذا إيمانه راسخ بأن هذا الفناء النوراني يحدث ، ولكن بين جواهر الانفس البشرية من موحدين وَرِعين ، وبين حدود المذهب الاربعة الذين سنُلمُّ بلمحة عن مميزاتهم الروحية . اما جوهر المبدع فمغاير كل المغايرة لجوهر النفوس المبدَعة ، لذا غدت مستحيلةً قطعاً الإتحاديَّةُ في رأي العقيدة ، بل هناك امكانية التقرب اليه بالمشاهدة ، ومن وراء حجاب .

وقد امكنت تلك الرؤية في الحياة الدنيا ، كما يمكن وتتتالى في الجنة ، بعين المحقّين من عباده . والذريعة التي يمسك بها الدكتور « سامي مكارم » في كتابه : (مسلك التوحيد « ص ٦٥ ») هي تلك : « الانسانية هي شعور الانسان بأنه واحد في الواحد ، وبأن الكثرة التي تفصله عن هذه الحقيقة هي وهم ، والانسان إن يُخضع عقلَه لرغائبه وشهواته لا يبقَ انسانا حرا . . بل عبداً لتلك الشهوات وو » .

مِن مَســاقِ دراسة الـدكتور مكـارم هـذه ، يتضـح ان كلمـة (الـواحـد) عنـده هنـا ، تعني المبدع تعالى ، لانه قد سبق ان كرر هذا المعنى . وهنا بالذات يحدث غياب حقيقة التوحيد الـدرزي عن تقييم الدكتـور له بهـذه المغالاة . ان الـواحد في عُـرف العقيـدة هـو العقـل الكلّي ، والأحد هو المبدع تعالى .

أليس الدكتور نفسه بالمرجع السابق (ص ٢٩) يقول : « هذا الواحـد الاحد الـذي بالفَناءِ فيه ، يبلغ الإنسان الحقيقة الكبرى » . أيّ المراجع الدرزيّة أثبت هذا الفناء بالأَحد أو بسواه ؟ النفسُ البشرية خالدة ومُستقلة ومتكرّرة النُقُلات إلى المدى .

إن الله الذي يعنيه التوحيد ، هو ذلك الاحد الفرد الصمـد ، الذي نفهمـه فقط في تأملنا بذاته اللاهوتية وبجليل مبدعَاته ، وفي انفلاتنا كليا من قيود عقلنا البشري الضيق ، المغلق في مـادة جسده ، كـذلك من تصـورات حسِّنـا ، وهي ادنى من ان تتحقَّق بـآلاتهـا المادية عظيمَ لاهوته .

اما الله الكلمة المادية ، التي نصوِّرها بالحبر والقلم ، ونتعـرف بوضـوح الى كُنهها ، فـانما هـو دون الله المبدع بكثـير ، هو بشرٌ مثلنـا ، ومن جوهـر ارواحنا . يمتـاز عنا ، كـما المحنا ، بأسبقية توحيـدِه وصفاء جوهـره ، مما مكّنـه بأرادتـه تعالى ، عـلى الخلق ، وحسن الرعاية ، وصدق المجازاة .

ذلك هو « العقل الكلي »، وهو الذي عنتـه الديـانات السـابقة للمـوسويـة بكلمة : الله ، او الكائن الأعلى او طريق الحق . وما كان ليؤمِنَ بالله الحق مـوجوداً ، بحجـة تجليه المعنوي : إلَّا الموحِّدون ، قبل وضوح الديانات السماوية منزلةً ومَؤوَّلَة ، بهذا آمن التوحيد الدرزي ، منزِّهاً بارِئه واكِلاً خلقهُ إلى العقل الأعظم .

III ـ العقل الكلي: ورد في احدى رسائل التوحيد ما مضمونه : « ان الصورة الكاملة الصافية التي اظهـرها المبـدع سبحانـه هي الإرادة . . احصى فيه جميـع الكائنـات . . وهو سابق السوابق الروحانية » . وورد : « العقل هو القائم على النفوس بما احتقبت وهو الذي طبَّقت دعوته العالم وخيَّر الناس في دينهم ، بكل لغاتهم ، وعلى قـدر مستوى مـداركهم » . إلى مثـل هذه العظمة والفردية والسمو يلمح الفيلسـوف المعاصر (ت . دي شـاردن ، T. de chardin) بكلمة (أوميغا ، Oméga) وقد سبق ان تحدّثنا عن مدلولها في نهايـة فصل

المسيحية . تعني سَعَةَ الدعوة كلّ باطنٍ توحيديٍّ في العالم . وقد سبق للفلاسفة المسلمين القدامى ، ان عَرَّفوا العقل الكلي بكثير من الشبه بتعريف المذهب الدرزي له . واكثر المذهبُ توضيحاً لميزات العقل الكلي فقال : هو ارادة الله اولا ، وهو مُبدَعٌ من نور جلاله ، وانه علّة العلل ، حيث الله وَحْدَهُ مُعِلُّ العلةِ الأُولى ، التي منها انبثقت الكائنات تدريجياً ، بعد نضج التكوين السماوي في الذرءِ الاول ، انه هَيولى كل شيء ، وهو المبدأ والمعاد والمقصود بكلمة : ارادة الله هنا ، ما عرّفها به عامة الناس : مشيئته وامره . فقد اراد ان يكون مدبِّر الكائنات من جوهرها واصلها وطبيعتها المنتقاة ، وان يكون هيولاها ، فكان هذا العقل الأشمل، والأصفى ، بروحانيَّته . هو كلمة الله ، وأمره ومسيحه . وكلمة عقلٍ تعني لغةً : النور الروحاني الذي تدرك به النفسُ ما يتعدى الحواس الخمس ، وهو يحبس صاحبه عن التورط في ما لا يصلح . والعقل الكلي هو كذلك النور الإلهي الذي يدرك باريه ، ويدرك نفسه كما انه يعي ويُحصي العلل جمعاء لفرط لطافته وشفافية حِسه .

إن الهِبَةَ التي منحها المبدع للعقل : التوجُّد للمشاهدة الالهية ، والشوق الى التقرب منه ، والحمد على خلقه ، تلك الهبة كانت السلك الذهبي الذي توارثه العنصر الانساني ، واخذ يمارسه بِحُبِّه لاخيه الانسان ، كما كان وما يزال يشدّه الى الله ، فكان : الحب على شكليهِ السماوي والارضي ، تلك النفحة القدسية التي سخرت بالحواجز وهزئت بالمادة ، واخترقت الجماد لتجعل فيه نَبضاً حياً ومسحةَ جمالٍ رائع .

وفي قرارة التوحيد الدرزي ، أفضلُ التوجُّدِ واسمى الشوق ، ما يتَّجهُ الى العِزة - الالهيةِ مباشرةً . لكن ذلك السلك كان قد وصل في بدء التكوين ، بين العقل والانسان بعنصَريْهِ : الروحي والمادي وكان هو المقرِّبَ الارضَ من السماء ، قدر سمو مقاصد الانسان ورهافة نفسه .

ولما كان العقل الكلي جوهراً خالياً من الكَدَر كُليَّاً ، وكان هيولَى كل شيء وجب ان ترى فيه المخلوقاتُ العاقلة طباعاً أربعة لفضائل اربع فكانت : حرارة العقل « الطاعة »، قوة النور ، سكونُ التواضع وبرودة الحِلم . وكل هذه الفضائل كلية في جوهر العقل وجزئية في سواه .

وشاءت الارادة ان تكون لفظة الصِدق (بالسين) لا بالصاد لتعليل (فيتاغوريّ

عددي) وهي تحمل المعنى نفسه في مقدمة فرائض التوحيد الدرزي ، لذا فقد دُعي العقل الكلي بـ «ذومَعَتْ». وحين عني الباحثون الاجانب مؤخرا بمضمون كلمة (مَعَتْ) التي طالعوها في احدى الديانات المصرية القديمة بعهد (اوزيس واوزريس) وكان لها شأن كبير في ميزان الحساب على الحسنات والسيئات ، تبيّن لاولئك ان كلمة (معت) تعني بالمصرية الفرعونية قمة الفضائل : (استقامة وحقيقة ونزاهة وو) واعترفوا بان كلمة (صدق) بالعربية هي اقرب وادق صفة يمكن ان تترجم اليها هذه اللفظة . المرجع : (ما وراء الطبيعة في التوحيد الدرزي) أطروحة الدكتوراه للمؤلِّف نفسه (ط ٩٧٤) م .

فالعقل الكلي (الكلمة الالهية وأوميغا العصر الحاضر) الذي يقر الدروز بحرارة ، بانه قوام التوحيد وهو الصدقِ بمضامينه ، انما العقل البشري هو ومضة من ألق نور المبدع . فعلى قدر ما يتعمق الانسان في دراسة ذاته ، ومعرفة عنصره ، وفي تنكره لمغريات الحواس المادية ، وشطحات الأنا الجامحة ، على هذا المقدار ، يدنو من المثل الاعلى (التوحيد) ويتحقق لديه ذلك الحب والشوق ، فيحتضنه ويجسدّه في عالم المادة ، فلا يفرق انسانا عن سواه الا بقوله وعمله .

ولعل ما كان الاوائل يسمونه بآلهة متعددة ، هي ما يدعوه الباطن الاسلامي : الحدود وهم دون العقل مرتبةً ومدارِكَ .

١٧ـ الحدود: أن الباطن الدرزي، بلسان أحد كبار أئمته الشيخ (عبد الغفّار تقي الدين) فيلسوفِ العقيدة أوضح في مؤلفَيه : « مجرى الزمان والنقط والدوائر » متخذا مهتداهُ : رسائل التوحيد وشرح من سبقه زماناً من الأئمة . قال ما موجزه : « لقد أبدع اللاهوتُ العقلَ من نوره الروحاني ، ثم تلاه الضد ، أبو المفاسد ، منبثقا من جوهره ، وانبعثت النفس الكلية مواليةً للعقل ، ثم تمّ انبعاث الحدود الثلاثة التالِينَ : الكلمة والسابق والتالي ، وكلهم مُوالون ومنصاعون للعقل : كما انبثق للضِدّ نِدٌّ هو من عنصره وطبائعه .

فغدا آنذاك : نور وظلمه ، خير وشر ، يلازمان العنصر البشريَّ حتى الحشر . كان هؤلاء الحدود في الذرء الاول السماوي صوراً روحانية كأنما هم مصابيح فضائية قبل ان يكون زمان ولا مكان لشيء » . وتابع فيلسوفنا إيجازَهُ :

«ثم ابنعثت الأرواح البشرية مصابيح مثلها، وحين تكامل الخَلق تلبّست تلك

المصابيحُ أجسادَها ، ترافقها باستمرارٍ حتى القيامة » . ونتابع مُستقانا :

«ولدى أمر العزة الالهية بوجود مادة للأرواح ، تتمكن بواسطتها أن تَظهر وتتّضحَ سرائرُ كل روح لوجودٍ آتٍ ، ثُمَّ تَكامَلَ انبثاقُ الكائنات ، كما تمَّ تلبُّس كل روح انسانية ، كانت مصباحا سماويا ، جسدا كامل الخلق ووجب ملازمة الروح لجسدها ، وعدم ظهورها إلاّ به ، وحين يفنى الجسد تنتقل الروح نفسها لجسد انسان آخر ، لانها جوهرية غير قابلة للفناء . ودواليك حتى الدينونة . إن السبب الذي أراده الله في خلقه الحدود بعنصريها الوليِّ والمعاند ، وكلهم بشر سوى بطبائعه ، امتاز الاخيار بصفاء النفس وعُمق التوحيد في كل دور يعقب .

فالاخيار من الحدود هم مُنسِّقوا هذا المذهب وكلهم معصومون عن الزواج وحسب ، والعقل الكلي وحده هو في منتهى العِصمه ، يعايش الادوار ويظهر ويستتر . انه انسان ميزتُهُ أنهُ قمَّةُ التوحيد والعصمة . تتكرر ولاداته ، حاملاً كل مَهامِّه ، حتى الحشر .

V ـ **الضد**: انه ظلام محض وهو نفسه (ابليس وهامان) وهو اهرمان في فارس . في عنصره طبائع اربعة زريّة هي : المعصية والجهل والظلمة والاستكبار ، وكلها مضادة لطبائع العقل التي مرت بنا . وكانت الروح المعاندةُ هي الضابطة لِنظام هذه الطبائع .

وسبب انطباع الضد بهذه الرذائل هو : سوء تفهُّمه لحقيقة المُبدع تعالى ، ولحقيقة طريق التوحيد ، فندَّ وحمل جرثومة الشر ، لينقلها الى كل مستجيب لتعاليمه ، مأخوذٍ بزخرف الحياة الدنيا . عايشَ الاجيال ، وصاحبَ الديانات وتقارب من كل النفوس ، وغايته الايقاع والفساد والحسد . وهو على جانب كبير من المرونة والتثعلب والدهاء . يقول فيه المذهب : « انه يدخل سلطانُه في مجاري الدم حتى يبلغ الصدور ، وهو لطيف روحاني ، اصله نطفةٌ مظلمة ، انبثق من جوهر العقل فتم صفاءُ هذا ، ودام كَدَرُ ذاك .

VI ـ **النفس** :ونعني بها الروح وهي شرارة من النفس الكلية (الحدُّ الثاني) حملت من نور العقل وظلمة الضد ، كما حمل اصلها (النفس الكلية). وقد أحتُبِست في الجسد وآلتهِ ، ليظهر بتحركاته وهي ذلك المحرِّك بما فيها من خير ونورانيّة .

هذه النفس ، كما عرَّفها الفلاسفة المسلمون : هي جوهر بسيط غير قابل للتجزئة ،

ولا للفناء والفساد . انها المحرك لجسدها ، والقائد المختار لضلاله او رشاده . ويتمادى مذهب الدروز في تعريفها فيقول : « ان نفوس الاخيار تتحد بالانوار القدسية (ائمة التوحيد) وتبقى مفتنّة بالجواهر العقلية » آيات التوحيد. وليس هذا الافتتان الا الشوق والتوجد الذي صدر عنه في البشر : الحُبّ . ثم اكمل المذهب : « ان النفس عاقلة ، عالمه ، حيةٌ ، وهي مخلوقة من الطبيعتَين : الوليّة والضديّة . الوليّة منها ، تصل بمجاهداتها الروحية الى حد التنوء بالإلهيات . انها مهما صفت وسمت لا تتعدى مستوى الحدود الاربعة ، تتّحد بهم وتلبث في شوقها وتوجدها الى المبدع الاحد ، دون ان تدانيه أو تذوب فيه . هذا ما أوضحه فيلسوفُ العقيدة في الما ورائيات .

نقل المؤرخ البريطاني : (ج ارمانوس) عن كتابٍ وجده في المكتبة البريطانية يتحدث عن النفس عند الدروز فقال عن الهيولى : « بهذا التجريد عجزت عن معرفة الباريء فاوجد لها صُوَراً بشرية . . . ولما تكونت الأبدان كاملةً ، حلّت فيها النفوس ومدَّها الله بالنطق ، وكان فريقان يومذاك ، احدهما للهداية ، والآخر للتضليل ، وكلٌ يدعو لطبيعته . لبثت الدعوة مستمرةً حتى مجيء الحاكم بامر الله في مصر ، فكشف التوحيد ، فترةً . ثم حجبه ليوم المقاضاة الاخير ». هذا الكلام لامِراءَ فيه بالعين الدرزية العريفة .

وأضاف المذهب الى ذلك قوله : « ان الفضائل العقلية والعلوم الربانية ، لا تنكشف حقيقتها الا في جسد بشري ، لان تمام العبادات هو : له ومنه وبه ». وقال المذهب ما معناه : « لقد خلق الله النفس المنبعثةَ من العقل ، لتُظهر ما تضمنته ذاتُ العقل من صُوَرٍ فيها . فجعل النفس عِلةً لإخراج التراكيب جميعها . ومعاد النفوس الصادقة اليها » .

VII ـ **التقمّص**: يعتقد الدروز بان التقمّص قانون الهي كوني لا مناص منه ، لانه يظهر عدالة الله في خلقه، ويُبعد العقول عن اللجوء إلى الماورائيات، ويخفف على المرء غول الموت وظلمة التراب. انه انتقال النفس البشرية بالموت الجسدي، إلى جسد بشري آخر. وهي بجوهريتها تختصر شاسعَ المسافات وتخترق كثيف الحُجب. ففي حال تمام كمال الجنين ولدى بزوغه للنور، تأتيه النفس فوراً وبغير واسطة، لأن النفس والجسد عُنصرانِ متباينان

لكنهما متلازمـان ، طالما الجسم قابلٌ لاحتضانها . يتحقق العـدل الالهي بالتقمُّص ، عـلى حـد تعبيرِ العقيـدة الدرزيـة ، لان العمر الـواحد لـلانسان مهـما يـطُل لا يكشف مخبـآت النفس ، وان الانســان في حكمة تنقُّله من قميص لقميص (جسـد) وفي مروره بحـالات اجتماعية وصحية ومادية متنوعة ، يصح اختبار جوهره . فإن نتساءلْ ما نصيب الطفل يوم الحساب ، وما ذنب الضـرير والمقعـد والمعتوه ، ومـا فضيلة ذي السلطان وذي الثراء وذي النبوغ ؟؟ وما الى ذلك من تساؤلات يطرحها فقهاء الدروز ، حين لا يكون هنـاك تقمص تُعـبرُوتعيشُ فيـه الـروح كـل تلك المنـاخـات ، وتتنعّم وتتخبَّط ، وقـد يكـون سبب هـذهِ الحـالات أعمـالاً مُحَتَقَبَةً من عمـرٍ سابق تجني ثمـارها عـاجـلاً ، وقـد يتـأخـر الحسـاب وهـو الأعم والأبقى ، الى يوم يبعثون (محمد كامل حسين) .

وكل ما يحيق بالانسان من مِتع ونقم دنيوية يبقى محصوراً في حلقة هذه الـدنيا ، ولا يزيد النفس ولا ينقص من مستواها الروحي شعيرة ، اذا لم تتقمص اعمال الجسد لتشمـل الخير والغيرية ، مقرونة بالتطلُّع من المعارف الروحية ، وممارسة المبرَّات ، وذكر الحق لسانا وجـوارح ، واجتياز المخـاضات العسيـرة في الحيـاة ، بحكمـة وأنـاة ، يصحبهـا التـوكّـل الـدائم ، والتطلع المستمـر الى الأفضل نتـائجَ ، والأسمى مقـاصد ، والأعم فـوائد لخلق الله أجمعين .

يلمح مذهب التوحيد الدرزي الى ان ضرورة التقمص تؤكد مسار عجلة التطور عبر القـرون ، لأن في اعتقادهـا ان هذا التـطور المتصاعـد لا يتأتى للجسـد ، اذا لم يكن هناك عقل ونفس واعيينَ راقِيينَ . وفي صقل العقل والنفس البشريَين بتكرار التجسد ، بمرورهما في حيوات ومستويات واختبارات وتجاربَ متعددة متنوعة ، تغـدو إمكانيـة التطور الصـاعد أضْمَنَ ، ومدى الرقي الروحي والفكريِّ ، داني المنال .

امـا صحة التقمص او عـدمه فتشير العقيـدة الى آيـاتٍ كثيـرة وردت في الانـاجيـل والقرآن تثبت ما يذهبون اليه .

وقد يصحب بعضَ الارواح لدى نقلتها . معارفُ مادية لِعمـرها السـابق فتنطق بهـا والدليل حدوث مئات الظاهرات لدى الدروز ، جرى تحقيقٌ فيها فَصحَّت بتـأكيد الاستـاذ « إيـان ستيڤانسُن» في مؤلّفـه (التقمُّص) . كما تنتقـل المعارف الـروحية وتنمـو بالمـطالعـة والممارسة ومعاشرة الصالحين .

IIX ـ آدم : في العقيدة الدرزية كما في الشيعة السبعيّة توضيح بان آدم يحمل اسم ثلاثة اشخاص هم : آدم الصفا والناسي والعاصي .

اما آدم الصفا فهو العقل الكلي الذي تجسد بالتقمص في الهند باسم (شطنيل) ، وتعني الكلمة بالصينية : (القديس) ، وتقول رسائل التوحيد انه يعني (صفيُّ الله) لان الله اصطفاه للقيام بدعوة التوحيد شرقاً وغرباً يصحبه لفيف من فريق الهداية .

وآدم العاصي وآدم الناسي هما الحدَّانِ التاليان للعقل ، وقد ضلَّا فترةً عن طريق التوحيد ، وما لبثا ان عادا تائِبَيْنِ .

IX ـ **الخصائل التوحيدية** : يؤمن الدروز بوجوب اعتماد خصال سبع محمودة هي : «الصدق، المحافظة على الاخوان، وترك عبادة العَدَم، التبرؤ من الطغيان وأبالسته، والإقرار بوحدانية وأحدية الله ، والرضى بحكمه ثم التسليم لأمره» ، وقد استُبدِلت بهذه الخصائل ، لدى تمام العمل بمقتضياتها ، كل الفرائض ، حين أوَّلْتها بما يعود مضمونه اليها بالذات ، ولبثت الفرائض اختيارية مُستحبَّة ، بعد ذلك الشرط الجازم . بذلك اعتُبِرت هذه الفرائض تكاليف الزمت بها السُنةُ اتباعَها المسلمين المؤمنين ، اما في باطن التوحيد ، فتتلمس النفس النقية جواهر الالوهيات وتتعرف الى لباب التوحيد فتستبدلُ بما يوجبه التأويل ولا تسقط تلك التكاليف عمن يشاء .

واقصى غاية التوحيد التوكل على الله ، والانصياع لأوامرِهِ ونواهيه ، قولا وعملا ، والحذر الحذر من الانسياق في تيار الهوى المادي ، حيث السلبية للوجود الحق ، وحيث الظلمة المطبقة على كل رجاء بإنسانية مُثلى . تقول العقيدة بإيجاز : ان اللطيف هو جوهر الكثيف ، فالانسان بروحه والكلمة بمعناها والإسلام بتوحيده ، والرموز بمضامينها والفرائض بمدلولاتها .

X ـ **الجنة والنار** : تؤمن العقيدة الدرزية بان الحساب الأخير سيحصل على الارض وبان الجنة والنار هما هنا ، وبان لا مغيَّبات من ملائكة وجنّ وأنبياء ، إلَّاعلى الأرض ، نُعايشهم ويعايشوننا ، وبان كل ما لا تراه العين ، خلا البارىء تعالى ، فباطل .

وقد اختصر تعريف الجنَّة القاضي أمين طليع ، وهو ابن العقيدة فقال :

(إنها حكومة أخيار واحدةٌ ، ودينٌ واحد الى المدى) .

وذكـرت الآية الكـريمة : ﴿ إنّـا نحن نرث الارض ومن عليهـا والينا يـرجعـون ﴾ (مريم ٤٠) .

وعرَّفت المراجع التوحيدية الدرزيةُ الجنـةَ والجحيم بما يـلي : (ان الجنة هي الـدعوة الهادية المهـديةُ ، وثِمـارها المعـارف الحقيقية . وهي تـوحيد المبـدع سبحانـه . اما الجحيم فهو : الجهل والشر والحرمان وتوبيخ الضمـير إلى المدى) فـلا نار ولا صقيـع ولا مُغريـات مادية .

وقال الدكتور محمد كامل حسين في كتابه السابق : « يكون الثواب والعقـاب بمقدار ما تكتسب النفس من المعرفة ، وما تُحرَم منها ، في ادوار تقمصها المتعاقبة » .

واغفـل المؤلف عن مضمون كلمـة (المعـرفـة) . انها تجسيـد الفضـائـل التي تـدني الانسان من ربه ، وتثير فيه سعير الشوق والتوجد لـرؤياه ، ولهبُ الحب لِعبـاده ، ولن يتم ذلك الا بتكرار عودة الروح لأجساد مختلفة الأوضاع : اجتماعياً وصحياً ومادياً وفكرياً .

كـما أوضحت الرسـائل الموجـزَ التـالي : ان الله لا يُـدمِّر ولا يميت ، ولا يـزلـزل السماوات ، ويدك الجبال ، يوم الحَشر ، انما هناك مقـاضاةٌ بمنتهى العـدل ، بعد ان خَـيَّر الله عباده منذ القِدم ، ولن يُشوِّه الله بـالنسخ احـداً فالمنـافقون يعيشـون في تبكيت الضمير والحرمان ، والصالحون تتحقق رغباتهم ، ولا يؤخذ إنسان بجريرة غيرهِ لا خيراً ولا شراً . ويصيب هذا النعيم والشقاء الروح والجسد على السواء .

وكـلا الجنة والجحيم ، همـا هنا عـلى الارض مرتـع تصرفـاتنا اليـوميـة ، منـذ وعى الانسان اعماله . اما قول الامام العظيم « العقل الكـلِّي » بتعالي بصـائر البشَر المحقـين ، طلبا للاتحاد بالجوهر الثمين ، فلا ضرورة في ان يؤجل ذلك الى ما بعـد الدينـونة ، ثم ان الجوهر الثمـين هو « النفس الكليـة » ، منتهى مطامـح الأخيار ، لا الـذات الإلهية ، كـما المحنا سابقاً .

XI ـ الحاكم بأمر الله: انـه الخليفـة الفـاطمي الـذي تسلم الامـامـة من السلف في القـاهرة عـام (٣٨٦ هـ ـ ٩٩٦ م) وكان يـافعاً بعـد ، انتهج مسلك من سبقـه من الخلفاء الفـاطميين بـدءاً من القائم ، في التـطلعات الـروحانيـة ، والتضلع من العلوم العـرفـانيـة الالهية .

اثبت ابرزُ المؤرخين المصريين المعاصرين ، جلائل الاعمال التي تحققت في عهد الحاكم ، على عكس ما اتُّهِمَ به زوراً على ألسنة قُدامى المؤرخين ومن حذاهم وبزَّهم لاحقاً .

اما القول بأن الدروز يعبدون شخص « الحاكم » فبُهتان ، وما من جسد لِيُعبد ، انما آمنوا بقدسية الصورة الالهية التي تتعدى رؤيتها ومعرفتها وتحديدها الأبصارَ والبصائر . انها لَتُرى ، كما اسلفنا ، من خلف حجابٍ ، يراها المستحقون على قدر صفاء نفوسهم ؛ وغيرُهُم . . عُميٌ عنها .

يعتبر الدروز مطلع كشف الحقائق السماوية ، والعلوم الباطنية الربانية ، جاء بأمر من الحاكم حين تخلى عن الامامة لشخصية : (حمزة بن علي بن احمد الزوزني الفارسي) لِما رأى فيه من كمال روحي ومادي ؛ ولما كان قد أغدق عليه المبدع تعالى من معارف قدسية وقدرات خلاقة .

فحمزة في عقيدة الدروز هو آدم الصفا بنفسه (شطنيل الحكيم) وهو مع اخوته الروحانيين معايِشو الديانات الظاهرة ، وهم المسهِمون في انطلاق جذوات التوحيد في كل دور ، وذلك بتكرار نقلاتهم بغية ترسيخ وانماء ونشر العناصر الخيّرة والصدق في الناس .

XI ـ الإمامُ: تبدأ الامامة دورها منذ الخلق الاول ، هي العقل الكلي بكمال جوهره، وقد سبق الحديث عنه، إذ ليس في المعتقد الدرزي ما يشذ عن سائر المعتقدات الروحية السماوية تناقضاً او لَبْساً او مسلكا جسدياً . ان النور الالهي الذي انبثق عنه العقل الكلي ، هو بذاته ما يتحدث عنه الاسرائيليون وما رؤي على طورسينا ، وهو النجم المشير الى قدوم المسيح ، وهو النور المحمدي الاول . جميع هؤلاء يؤمن بقدوم ذلك النور الروحاني وبتجسده بِذاتٍ ما ، وبتحمُّله مهامَّ دعوة جديدة لشريعة جديدة .

الإمامُ في عُرف هذا المسلك ، هو بالتحديد : روح التوراة والاناجيل قبل ان يطرأ عليها التحريف والإسقاط ، وقبل ان تنشط الفلسفات والاجتهادات . والعقل هو : مؤوِّل القرآن ومُجلي ما غمض من معاني آياته ، وهو هادي المؤمنين الى لُباب التوحيد .

فالإمامة هنا ، وان اتخذت مهامَّ الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية بمضامينها ، فهي تختلف عنها في ان الامامة الدرزية تَلازُمُ روحِ ذاتٍ واحدٍ، تنتقلُ معارفها معه في جميع

نقلاته ، لتطبع المريدين بما استجدَّ من معارف ومفاهيم ، لحياة أهنأ وارقى ، انها علم وهداية ، الى تجريد توحيد الله ، والدلالة عليه ، وهي الطريق الى معرفته ، وحق عبادته ؛كما هي المثال الدنيَويُّ ، ترَفُعاً عن البهارج، والتزاماً بالحق والصدق، وليستْ وِراثيةً إطلاقاً .

ان حمزة بن علي هو آخر تقمصات الإمام العظيم ، ظهر في عهد الحاكم ، بالقاهرة ، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة حين باشر بكشف التوحيد ، في عام (٤٠٨ هـ ١٠١٧ م) مقره المعروف في جامع رَيدان في القاهرة ، ملتقى الحكماء والفقهاء ، من مُناهضٍ ومُوالٍ يومذاك .

الدرزيَّةُ هي الإسلام بعينه ، متدرجاً من الشريعة الى الايمان فالتوحيد ، حيث تتلاشى الفوارق الدينية والزمنية ، ويُنظر الى الانسان بمقدار؛ما اكتسبَتْ نفسه في نقلاتها الطويلة ، من معارف روحية ، وما اسلفت من خيِّر الأعمال . بعد اختفاء حمزة أُقفل باب ؛التوحيد على كلّ انسان . وما كان في العقيدة من إجبار في الدين ، إذ قالت بالحرف : امرُ الله تخييرٌ ونَهيُهُ تحذيرٌ . وقالت : وإنما اعمالكم تردُّ اليكم . وقد تُردُّ عاجلاً او آجلاً .

لقد تناولتُ أُسس التوحيد الدرزي . بقسط من التوضيح ، وكله ، تعود معانيه الى صلب العقيدة ، عَوْدَةَ صِدقٍ .

الدرزية هي في المفهوم الفلسفي للاسلام : الجُنيدُ ورابعةُ ، وآبن عَرَبي والسهُروردي . مع التحفظ بأن المعبود لا كالعابد . والعابد لا يتَّحد بالمعبود : مبدع الكائنات .

والدرزية هي مسلك الأنصار في الاسلام وهي : سلمان والمقداد وابو ذرٍ ، وهي في المسيحيَّة الحواريون الأربعة لِيسوع : يوحنا المعمدان ومتى ومرقس ولوقا . وهي الوصايا العشر التي تبلَّغها موسى، وهي شعيب وإيليا وأخنوخ. وهي أعلام الحضارات الغابرة. أتباعها يردِّدون ، إنها خُلاصةُ الأديان السماوية ، معتبرة الإيمان الحق بالتوحيد هو العمود الفقري لكل دين سماوي ، ولكل معتقد باطني ، تحسَّسَ الألوهةَ وخافها وأطاعها واتَّخذ الصدق والمحبّة نبراس طريقه الطويل ، والظلامُ والاندثار للمنحرفين .

وهناك اخيراً لفتةٌ فاتتِ المؤرخين المتجنِّين على الدرزية ، وهي ان رسائلها كانت بمنتهى التحفُّظ والسريّة ، وان رسائل المارقين كانت تُنشر علناً ، وبِسَورة حقدٍ مشحونةً

خاصةً بها مكتبات القاطرة وبعض الدول المستعمرة على ضوئها أخذ المؤرخون بغير ما إمعان أو نزاهة بَحثٌ ، يحيكون الأراجيفِ ، أعتماداً على نَزَق المؤرخين : الطائفيين والمأجورين ، والموتورين ، قديماً وحديثاً . وحين استذأب اللبنانيون في حربهم الداخلية الطويلة عام (١٩٧٥) مسخوا جوهرَ دياناتهم عَقارِبَ ، فعاثوا وآستباحوا . عدا الشرفاء والطيِّبين منهم وعلماءهم الأقطاب النزهاء .

الفصل الحادي والعشرون

أ ـ مذهب الوهابيين

يشهد التاريخ مدى حلكة الليالي التي اجتازها الاسلام عموماً والعرب خاصةً ، في القرون الوسطى والاخيرة منها ، سيما الجزيرة العربية ، بعد ابتلاء الدولة التركية المسلمة بِداءِ سرطان الانحطاط والتخلف والرشوة . في مضمار هذا التخلف السياسي والاجتماعي ، كان الاسلام غارقاً في خضم البِدَع المختلفة والشطح في تيارات غريبة كل الغربة عن الاسلام، وعما بشَّر به، وجاء من اجله الرسول «محمد». اضافة لما سبق إيجازه فقد .

قيَّض الله لهذه الأمة اليقظة بعد الغفلة ، والوعي بعد التخبط في وحول الجهل والعَمَهِ والضلال . فكان العام (١١١٥) هجري اي في اواخر القرن السابع عشر المسيحي ، موعداً لانبثاق نجم ساطع في سماء الاسلام ونجدٍ بالضبط ، هو الامام الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) التميميَّ المُنتسِبِ ، والحنبلي المذهب .

ولد الإمام محمد بن عبد الوهاب في (نجد) بقرية (العينيَّة) ونشأ في جوّ يهيمن فيه الصلاح والتقوى ، والعلم والفقه والحكمة . حفظ القرآن الحكيم وهو في العاشرة من عمره وفي المدينة المنوّرة بعدها ، تلقّى علوم الدين على علماء (المدينة) ثم تعدَّدت رحلاته، بين (البصرة والاحساء والزُبير من العراق) . وقيل انه لم يتخطّ حدود الجزيرة. خلال هذا الطَوف المروِّع الذي غمر الجزيرة العربية سياسياً ، كما غمر الإسلام قاطبةً ، إنبرى فضيلة الامام الى الإمعان في الطرق المؤدية الى اصلاح الحال ، ومسح غُبار الشعوذة عن عيون المسلمين ، فوجد افضل السبل هو التذكير والتوضيح بجديةٍ ومثابرة للعقيدة الاسلامية ، ولما كان يفعله وينطق به رسول الله .

لَبِثَ الامام النجديّ يغرف من بحور الفقه ، بواسطة العلاّمة ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم وغيرهم ، ويجدّ في ترسيخ مذهبه السَلَفي النهج ، حتى توفاه ربه عن واحد وتسعين عاماً ، صرفها في العلم والتحصيل والتثقيف الشرعي والتوجيه القويم .

كان عميق التأمل ، حادّ البصيرة ، راسخ الايمان ، فاستغلّ مواهب الله له ، في خدمة شعبه ودينه لإنقاذه من لجة المنكرات والعماهات ، على خِلاف من سبقهُ في الجزيرة من العلماء المتخاذلين كان يقرُّ بحزم :

I ـ **الاجتهاد والتقليد**: كان الإمام محمد بن عبدالوهاب مجتهداً ومقلداً معاً، أوضح العقيدة ولم يخالف السلف الصالح . ما كان لينكر الاجتهاد شرط الإلتزام بمضمون الكتاب ، وسُنّة الرسول .

مِن قوله : اذا اجمع اهل العلم = ويقصد الفقهاء = وجب اتباعهم شرط ان يكون الإجماع كاملا . ان الكتاب وسُنَّة الرسول هما المصدرانِ الوحيدان لكل امر ونَهي ٍ وتقرير .

II ـ **العلم والعمل** : يقرّ الامام إبن عبد الوهاب ان العلم والعمل عنصران متلازمان ، واذا خلا منهما التوحيد كان تعطيلاً لحقائق الاسلام . وشرط العالِم العامل : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في اطار الاخلاص لله وتوحيده ، وسيأتي لاحقاً تفصيل ذلك .

III ـ **الغيبيات** :

أ ـ يؤكد الامام محمد بن عبد الوهاب على أن اهل العلم في جميع الامصار اقروّا بأن اهل الكلام هم اهل بدع وضلالات ، لانهم يحرفون كلام الله حسب اهوائهم ، ولانهم يأخذون اصولهم من عقولهم وليس من الوحي . وكانهم قد سخروا من الآية : ﴿ **انّا جعلناه قرآنا عربيا لعلّكم تعقلون** ﴾ (سورة الزخرف : ٣) فوقعوا في الفرقة والافتراق والبِدع .

وقد اثبت صحة كلام الامام ما قاله أحمد : لا ترى احدا ينظر الى الكلام الاّ وفي قلبه مرض .

ب ـ امام الجزيرة يؤمن باقوال السلفُ في ما يتعلق بصفات الله وبذاته فيقول :

« اني اعتقد بما اعتقدته الفرقة الناجية من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والبعث والايمان بالقدر ، والايمان بما وصف به نفسه في كتابه العزيز «**ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم، والسميع البصير**». فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ولا أُلحد في أسمائه وآياته . (الدُرَرُ السنية في الاجوبة النجدية ج ١ ص ٢٩) وقوله تعالى ﴿ **ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذَروا الذين يلحدون في اسمائه** ﴾ (الاعراف : ١٧٩) .

كما يؤمن بان الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان ، وان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة ، وان محمداً هو خاتم المرسلين . وكان فضيلته يؤمن بشفاعة النبي وبكرامات الاولياء ، ولكن لا يطلب منهم ما لا يقدر عليه الاّ الله . وكان يرى ان الايمان قول باللسان وعمل بالاركان ، واعتقاد بالجنان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . وكان يرى ان التوحيد لا يتم الا بنوعية الربوبية وبإثبات الصفات جميعها . معتمداً بذلك على كلامه تعالى : ﴿ **لا يحيطون به علما** ﴾ (طه : ١١٠) و ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ (طه : ٥) . وكان الامام محمد بن عبد الوهاب شديد الاعتصام بحبل الله ، وبقوله تعالى : ﴿ **اليه يصعد الكَلِمُ الطيِّب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ . (الانعام : ١٨) .

IV ـ النبوات : يعتبر الإمام أن أنبياء الله ورسله قسمان :

١ ـ بعضهم بُعث لهداية قومه الى الحق وحسب . اما الرسول محمد فقد بُعث للهداية وللدعوة الى عبادة الله الواحد الاحد : ﴿ **ولقد بعثنا في كل امة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ (سورة النحل : ٣٦) وقوله تعالى : ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل** ﴾ . (النساء : ١٦٥) .

ويعتبر ابن عبد الوهاب الانبياء كما خلقهم سبحانه بشراً : ﴿ **ما هذا الا بشرا مثلكم** ﴾ (المؤمنون : ٢٤) وقائل يتَحذْلَقُ فيقول : مِن اين تأتي الرسل والانبياء ؟ يجيب ابن عبد الوهاب بالآية الكريمة : ﴿ **الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس** ﴾ . (مجموعة التوحيد ص ٢٥٩) . وآمن ابن عبد الوهاب بان بشرية الانبياء اقتضت ان تكون صفاتهم كصفات البشر، ميزتهم بالعلم والعمل الصالح وصدق الإيمان. خصّهم الله بأجود الفضائل وابعدهم عن الرذائل ، وانهم معصومون عن الكبائر ، وان وقعوا في رذيلة تابوا على الفور : ﴿ **وما أنسانيهِ الاّ الشيطان** ﴾ (الكهف : ٦٣)

٢ ـ لكن المعجزات فهي خارقة للعادة ، وهي اما حسية وحسب ، أو هي حسية وعقلية معاً . فالحسية منها معجزات بني اسرائيل ، ومنها : عصا موسى التي كانت تتفجر منها المعجزات ، كذلك كانت معجزات السيد المسيح في يده وفمه وهي كثيرة .

اما معجزة محمد الفائقة فهي نزول القرآن عليه . والقرآن معجزة المعجزات ، تحدّى العقل البشري وتميز لفظاً ومعنى . ووعى علوم الاولين والآخرين . بهذا كان الامام محمد بن عبد الوهاب يؤمن ويصرح ويعمل جاهداً على غرس هذه البذور في صدور المؤمنين والضالِّين .

٧ ـ البعث والجزاء ١ ـ استضاء الإمام ابن عبدالوهاب في الحديث عن البعث والنشور بالآية : ﴿ **وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور** ﴾ (الحج : ٧) وقوله تعالى : ﴿ **خُشَّعاً ابصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر** ﴾ (القمر : ٧) .

٢ ـ الشفاعة : يؤمن الامام كذلك بشفاعة النبي الأمين اولاً ، وبكل انواع الشفاعات ، كالشفاعة لدى تساوي الحسنات والسيئات ، لرفع الدرجات ، والشفاعة لتخفيف العذاب عمن يستحقه ، والاذن لجميع المؤمنين بدخول الجنة ، كما شفاعته في أهل الكبائر .

وقد قبل الله حق الشفاعة من الملائكة وتَوسُّلِ الأولياء ، والبرهان قوله تعالى : ﴿ **قل لله الشفاعة جميعاً** ﴾ (الزمر : ٤٤) و﴿ **من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه** ﴾ : (البقرة : ٢٢٥) . ولا تكون الشفاعة لمن اشرك بالله . ولا ينكر شفاعة النبي الا اهل البدع والضلالات . والشفاعة من بعد اذنه تعالى تتم كلياً .

VI ـ العقيدة والتصوف ١ ـ اعتبر الإمام محمد بن عبدالوهاب الصوفيةَ حاصلة عن طريق الالهام ، وذلك يخالف ما دعا اليه القرآن من المعرفة عن طريق النظر والاستدلال وتحكيم الضمير ، وان الشريعة الاسلامية في عرفه تقوم على الظاهر لا الباطن .

وعاب الامام إبن عبدالوهاب على المتصوفة اسرافهم في تعذيب النفس والجسد وتركهم الواجب وَرَعاً ، وتعبُّدهم بتحريم الطيبات . كما هاجمهم باعتزالهم في صوامعهم ،

وبعـدهـم عن التيارات الاجتمـاعية العـاملة الناشـطة . واعتبـر مـذهب (ابن عـربي وابن الفارض) اغلظ كفراً من اليهود والنصارى ، مُركزاً عـلى تنقية التـوحيد ، والأخـلاص لله محذراً من الانخداع بكل ما يخدش هذا التوحيد . وان كل الأعمال مهـما صلحت ، ومهما كـثر التعبُّد والابتِهـال اذا هي لم تقرن بـالايمان الصـادق بتوحيـده تعالى ، وبِنَبِيِّـهِ المـرسـل بكتابه ، فالعقبى : الكفر والعذاب .

٢ ـ وكان الامام محمد يحذر من الاعتقاد بالسحر ، والتفرقة بين الشعوذة والكرامات وينعي ويثـور على الجهلة الـذين يعظِّمـون القبور ويـوقـدون السرج ، ويخـاطبـون المـوتى بالحوائج والتبرك بالتراب ، وافاضة الطيب على القبور ، والقاء الخرق على الشجر ، معتبراً ذلك اشارة الى عبادة الاوثان ، ومخـالفة كتـاب الله وسُنة رسـوله . وهـل من نصّ واحد ، يقول الامام ، يدل على شيء من هذه الاباطيل لِنُقِرَّهُ ؟ ويستشهد بكلام الله : ﴿ **اتبعوا ما انـزل اليكم من ربكم** ﴾ انه كـما سبق يؤمن بتنقيـة القلب ، وتنـزيـه البـاطن ، ويـرفض شطحات الصوفية ، متَّخِذا رائده قوله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** ﴾ (الذاريات : ٥٧) وتوحيده هذا يشمل جميـع الطبقـات من الناس ، تـوحيد ربـوبية كـما سبق ، وتوحيد صفات ، معتبرا التوحيد اعظم من الصوم والصلاة والزكـاة والحج ، لأنـه اعظم الفرائض ، وقد اكبر امامنا هذا التوحيد الخالص في الشدة كما في الـرخاء ، متـوكلا عليه تعالى في الســراء والضراء ، مشيراً إلى الآية : ﴿ **ومن يتـوكل عـلى الله فهو حسبـه** ﴾ (الطلاق : ٣) والى قولِه تعالى ﴿ **ومـا أُمروا الاّ ليعبـدوا الله مخلصين لـه الدين حنفـاء** ﴾ (البيِّنة) .

VII ـ التوسل: التوسل هو ما يتقرب به من الأعمال إلى الله . لكن الإمام محمـد بن عبـد الوهـاب لم يكن مُغاليـا ومقرا كـل توسـل وتقرب الى الأوليـاء والصالحـين ، اذ كـان يقول : ان الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها وقد نزلت الآية : ﴿ **فاستغاثة الذين من شيعته على الذين من عـدوِّهِ** ﴾ (ابن غنام، تـاريخ نجـد ٥١٧) والتوسـل على انواع ، منها : التوسل اليه باسمائه وصفاته كقـوله تعـالى : ﴿ **ولله الاسماء الحسنى فـادعوه بها** ﴾ (الاعراب ١٨٠) ـ والتوسل بالصلاة ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ (البقرة ٤٥) ثم التوسل بالتوحيد وبالتسبيح وبالقرآن وغيرها .

من بين اخلاص توحيد الخالق وإفراده في سائر انواع العبادة : الاستغاثة والتوسل . والاستغاثة بمخلوق حيّ او ميت فيما لا يقدر عليه الا الله ، فهذا ما رفضه رفضا الامام محمد بن عبد الوهاب لانه يوصل الى الشرك ، وسواه مستحب وجائز .

IIX ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

لقد أحيا امامنا هذا الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر حين عني بالربط بين العلم والعمل . ان بناء الفرد يتم من خلال الجماعة . لذا قال تعالى ﴿ **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم** ﴾ .

وكان فضيلة الامام يردد في حثه على العلم والعمل الآيات التالية : ﴿ **لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم** ﴾ (التين آية ٤) و ﴿ **أن ليس للانسان الا ما سعى** ﴾ (النجم : ٣٩) و ﴿ **ولا تَزرُ وازرة وِزر اخرى** ﴾ (الانعام : ١٦٤) . ويرى الامام ان اعتقاد الاسلام بالشهادتين يدخل العبدَ ساحة الجماعة الاسلامية ، اما نيته فمردها الى الله . وقال النبي بذلك : « بُعثت هاديا لا منقبا عن قلوب الناس » كما يرى فضيلتهُ ان مَدار الاسلام قائم على : النطق بالشهادتين .

IX ـ الجهاد : كان إمامنا مع شدة تمسكه بالتوحيد يردد كلام الله : ﴿ **وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما** ﴾ . (النساء : ٩٥) وقوله : ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده** ﴾ (الحج : ٧٨) كما كان امامنا ينكبُّ على تثقيف وتعريف جماعته شرعيةَ الجهاد ، ومنزلته ومراتبهُ ، وكان لا يرى صلاحاً للحياة إلا بالجهاد ، لأن تركَهُ عذاب للنفوس ، وذهاب للاموال .

X ـ آثارهُ في الفكر الإسلامي: كان الإمام محمد بن عبدالوهاب داعيا إلى الإسلام بوصفه عقيدة شاملة تنظم شؤون الدين والدنيا معاً ، وبانه يعالج علاقة الانسان بالله وبالكون والحياة . لقد عمل على تحرير العقول من حبائل التقليد والتحجر ، واضعاً المذاهب الفكرية في حجمها الانساني ، باعتبارها فكراً بشرياً يخطىء ويصيب ، وليست الحقيقة كلها وليدة مذهب ، او محصورة في شريعة معينة ، غير قابلة للاجتهاد والتفكير السليم العميق .

في تقرير الامام لمذهب الاجتهاد فتح للدين القويم كوى بعيدة أنارتْ امام سالكيها

الصراط المستقيم ، واوضحت اسرار الشرع الحنيف ، وكشف الدرر الخبيئة تحت السطور وفسرت مذهب السلف المجيد احسن تفسير . وكان فضيلته يرى سياسياً ودينياً ان الوحدة الإسلامية تقوم على قاعدتين هما : الحج إلى بيت الله الحرام والخلافة . لذا كان لدعوته التوحيدية صدى داويا في ارجاء الارض : في افريقيا الوسطى والشمالية ، وفي سومطرا والجزر المجاورة . انها تتمة وتوضيح للمذهب الحنبلي يرافقها الاجتهاد المنطقي التوحيدي البنّاء .

ولم تبرح سلالة الامام العظيم جادة في سلوك نهجه القويم ، سائرة على تطبيق تعاليمه الروحية ، حاثةً على ربط العلم بالعمل الخيِّر ، مطبقة عملياً ، وفي الحياة اليومية ، كلَّ ارشادات وتعاليم السلف الصالح جدهم : الامام محمد بن عبد الوهاب .

الفصل الثاني والعشرون

البهائيّة

انه مذهب حديث ينتَسِبُ الى الإسلام . مؤسسهُ علي بن محمد الشيرازي : الباب . نشر المذهبَ ميرزا حسين علي نوري ، الملقَّب بِ : بهاء الله عام (١٨١٧ ـ ١٨٩٢) . وُلد في طهران وتوفي في عكا بفلسطين . ترك سلطته الروحية لابنه عباس افندي : عَبْدِالبهاء إدعى انه « مَن يُظهره الله » .

تؤمن هذه الفرقة المُعاصرة بأن كل إنسان تحلى بالكمالات الإنسانية ، سُمّي بهائيا . البهائي يرى وجه « المحبوب » اي الله في جميع الوجوه ، لذلك عليه ان يحب كل شيء مخلوق . « كلما ازدادت محبتنا بعضاً لبعض ، كلما دنونا من الله » . وخدمةُ الله في ايمان هذا المعتقد ، تتجلى في خدمتنا لِعباده . كما يؤمن بان هناك واسطة بين الله « المحبوب » والبشَر وسيطها هو : المسيح اولاً ثم محمد ، وأخيراً : ألبهاء . لِلبهاء حوالي المئة كتابٍ في العقيدة . اسسَّ عقيدته عام (١٨٦٨ م) وفُرضتْ عليه الاقامة الجبرية ، في عكا ، حتى موته .

تؤمن البهائية بان الله ارسل عدداً من الروحانيين ليعلِّموا البشر القوانين الكونية الاخلاقية ، وليظهروا قواعد اجتماعية تتناسب مع كل وقت يظهر احدهم فيه . تَعتبرُ

سمى العبـادات هي خدمـة البشر . عارضت كـل اجناس التمييـز . وهي ذي منتشرة في العالم ، ولها (١٧) الف مجلس محلّي ، منها ألفٌ في الـولايات المتحـدة الاميركيـة ، والمركـز الرئيسي لعمدتها : حيفا بفلسطين .

يقول البهاء ان الصـلاة واجبة لأن من أحب شخصـاً لا يفتر عن ذكـره ، لكن هذه لغةٌ روحية بين المرء وربه وابتهالِهِ له .

وقد نتصور ان الخَليقة منذ مـلايين السنـين . لا بدايـة ولا نهاية للوجـود . والتطوّر مستمر في كل شيء بدءاً من الانسان .

وفي ما يلي توضيح لنظرة هذا المبدأ الى الوجود الانساني ومسيرته الروحية :

١ ـ الروح : الموت ولادة ثانية ، انها هروب من سجن البدن الى حياة اعلى واتمّ . وقالت البهائية بِلِسان (و . ميرس ، W. Myres) في كتابه : « الشخصية الانسانية »، ان الروح هي في حالة رفيعة من الرقي ، حيث الحكمة العليا ، والمحبة الصافية . والمحبة هنا هي اتصال النفس المستمر بالنفوس المقدّسة . تلك هي عنـدهم الحياة الأبـدية ، ومفـاتنُها بالروح لا بالمادة العابرة .

٢ ـ التَلْبِثَـة : تؤمن البهائيـة بـامكـانيـة الاتصـال المبـاشر بـالأرواح ، بـين الارض والسـماء . وهناك التَـرقّي الحسيّ (Télépatie). وان الأرواح البشريـة تظلّ محـافظة عـلى محبتها وعلاقاتها بالدنيا ، ، لها خمس حالات منها : النباتية والحيوانية ثم الانسانية ، هي في الانسان كفَيضِ الشمس والبلّور . ولها جناحان ، احدهما روحاني خيِّر ، والثاني شيطاني . وهنـاك الـروح السمـاوي ، وهي من نفثـات الـروح القـدُس ، تجعـل الانسـان الارضي سماوياً . وأخيراً الروح القُدس ، وهي الواسطة بين الحق والخَلق . حامِل هذه الروح هو « المربّي الكُلّي » جسمانياً وانسانياً وروحـانياً ، وإلا لَفسـد . مِن اولئك المـربين ابـراهيم ، موسى ، المسيح ، محمد ، البهاء . (كتاب النور الأبهى) لِعَبْدِ البهاء .

كتب البروفسور (ج . أ . أسلَمنت) في مؤلفه : (بهاءالله والعصر الجـديد) . تنـاول في الكتاب ، الافكار الرئيسية للعقيدة البهائية نوجزها بما يلي :

١ ـ المحبـة : هي القضيب الالهي الذي يضمُّ مختلف الاديـان العالميـة ، تحت لـواء واحد هو : المحبة والأخوة والصفاء .

٢ ـ **النفس** : لها بداية لكن ليس لها نهاية ، اما الحقيقة المقدسة ، فلا بِدَايةَ ولا نهاية لها . والمقصود بهذه الحقيقة : الله ، فالروح جوهر. تحصل على مراتب الكمال وتتقوّى اذا هي اتَّجهت شطر المحبة والخير . ثم هي تترقّى في العالم الثاني ، قدر تصوُّفها وصفائِها .

٣ ـ **الروح** : عادت البهائية فأضافت الى الروح التوضيح التالي :

الروح والعقل موجودان في النُطفة ، مكوَّنَين « كالمحبة ». وعلى الروح ان تسير في جميع المراتب لتكسب الكمالات كي تظهر للعالم بفيض إلهي .

الروح من الجسد ، كالطير من القفص . ان بالتضرُّعات والشفاعات ، وبالعمل الخيِّر تتم ترقية النفوس ، ويكمل صفاؤها . ومَن مات عاصياً تُقبل له الشفاعة .

٤ ـ **الانسان** : متى حسنت تربية المرء وأصغى الى الانبياء المربِّين ، يغدو جوهر الجواهر ونور الانوار .

٥ ـ **الجنّة** : الزمان والمكان في عرف هذه العقيدة غير موجودَين في الحياة الأبدية . انها الاستفاضة من الروح الإلهي كما يستفيض الوَرد من الربيع ونسماته وطيوره . وإنها كالشمس من المرآة ، تتعلّق بها بحرارة وتَوقٍ ، بينما لا مكان لها من صفحة المرآة .

٦ ـ **النار** : هي الخلود في حياة حقيرة وجافة ، كالحجر بالنُسبة للانسان . وهي مستقر الذين فاتهم الصدق والاستقامة والصفاء .

٧ ـ **النجوم** : ضَلالٌ ان ترقى الى مستوى العِبادة . انها كائنات سماوية مترابطة ترابطاً وثيقاً بالكائنات الارضية ، ومؤثرة تأثيراً مباشراً على اجسام البشر ، لا على ارواحها قط ، كما يتوهَّم الصابئةُ وسواهم .

٨ ـ **الرؤيا** : انها إلهامٌ رحماني وإدراكات فوق الحواس وهي مثبتةٌ في العلم الروحي « التلبثة » .

٩ ـ **التقمُّص** : يرفضون إمكانية تكرار تجلّي الروح البشرية : إذ ان الظلام لا يصير نورا . وان مدار حصول الكمال ليس بالعودة للتجسُّد ، بل بِفَيض الخالق وحسب . اما ما ورد في القرآن عن يحيى بن زكريا (إيليا) انه استعاد الحياة فتلك عودة صفاتٍ لا جسدٍ

او نفس . انها رجوع كمالاتٍ لا مظهر ، وصفة ولا ذات . (كتاب الايقان لحضرة بهاءالله) .

بعد موت البهاء خلفه ابنه عبد البهاء المشار اليه قبلا . في دوره قام بتطويرٍ في العقيدة ، منكراً ان يكون الله قد حلَّ في جسد الإمام ، ولا ادَّعى الخوارق التي تخيَّلها أبوه .

انتشرت البهائية في العصر المتأخر ، وفي أميركا وأوربا طالها بعض الاتساع ، متخذة مركز الدعاية لمبادئها مدينة « شيكاغو » بالولايات المتحدة .

إن اعتقاد البهائية بأن البهاء هو وجهُ الله ، كما هو جماله البهيُّ الأبهى ، اضطر الفُقه الإسلامي على أن يتنكَّر لِمبادئهِ وينفيها أصلاً .

الفصل الثالث والعشرون

قصص الانبياء

حين أتى محمداً ربُّه بقصص الانبياء ، كان ذلك للتبشير برضوانه تعالى ، والتحذير من معصيته ، وكان لشرحِ مبادىء الدعوة الإسلامية واهدافها . وما كان محمد ليعرف القراءة ولا الكتابة ولا تتلمذ على أحد أحبار اليهود والنصارى ، ولم يكن ذلك الا وحياً منزلا لعبقريَّةٍ متفجّرة . نطقت الآية الحكيمة : ﴿ **تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل** ﴾ . (هود ٤٩) .

وقد أنزل الله على الاسلام ذلك القَصص ليبيِّن للاديان القول الفصل في القضايا التي اختلفت عليها الديانات قبل الأنبياء ، والدفاع عما أُلصِق ببعضهم من تهم وتُرَّهات .

وإني في هذا الفصل المقتضب قدر الطاقة ، أعود لِتاريخ معظم الأنبياء الذين وردت أخبارهم في القرآن ، معتمداً النص الشريف وغير مأخوذ بالتفصيل والعِبَر .

آدم :

يؤمن الاسلام بوجود الملائكة ، وهم أرواح نورية ليسوا ذكوراً ولا اناثاً يحيطون

باللاّهوت ، وقد اخبرهم الله انه سيجعل في الأرض خليفةً هو آدم وذريّته ، وسيجعلهم أصحاب السلطان فيها .

ورث البشرُ عن ابيهم هذا الاستعداد الفطري مدى العصور . وتقول الآية : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ﴾ . ثم نفخ فيه من روحه فإذا هو انسان من لحم ودم وعَصَبٍ يتحرك بأرادته ويفكِّر . ثم قالت الآية : ﴿ فسجد الملائكة كلهم اجمعون ، الا ابليس إستكبر وكان من الكافرين ﴾ .

حوّاء :

هناك خلاف في وقت خلقة حواء ، لكن المعروف ان الله اتخذ ضلعاً من صدر آدم وخلق حواء منه وقالت الآية : ﴿ الذي خلقكم من نفْسٍ واحدة وخلق منها زوجَها ﴾ .

وحدث إغراء إبليس لِكليهما ثم عفا اللهُ عنهما .

وما كان آدم اول البشر بل هو اول مسلم اعتنق التوحيد ، والبشر قبله بآلاف السنين . كيف خلق البشر ؟ « مِن صلصال من حَمَأٍ مسنون » . يقول البيضاوي : الحمأ المسنون هو الطين المزيج بالماء . وهذا ما يعتقده العلماء المعاصرون وهو ان بدء الحياة كان في مياه المحيطات واستمرت بفضل « البروتوپلازم » .

قابيل وهابيل :

قضيتهما مُتَداولةٌ ومعروفة لدى جميع الديانات السماوية . وكان الحسد المستشري الذي حدا بقابيل للفتك بأخيه .

إدريس :

ذكرت الآية : ﴿ وآذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً ﴾ . (مريم ٥٦) . يصِفهُ القرآن بالصدق والصبر ورفعة المنزلة ، وانه اول من نزل عليه جبريل بالوحي لِهداية نَسل قابيل . قال فريقٌ من العلماء انه هو هرمس الهرامسة وقال اليهود هو اخنوخ . وكان داعيا للتوحيد .

نوح والطوفان :

﴿ ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً ﴾ .

(العنكبوت ١٤). و ﴿ قال لقومه اني لكم نذيرٌ مبين ، أنِ آعبدوا الله واتّقوه ﴾. (نوح ٢). ولما اعيى نوحا استجابةُ قومه لارشاداته قال لربه : ﴿ ربِّ ان قومي كذَّابون فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجِّني ومَن معي من المؤمنين ﴾. (الشعراء :١١٨ ـ ١١٩) ثم كان الطوفان الغامر .

هُود وصالح :

بعث الله في قوم عادٍ ، العربي الأصل ، نبياً اسمهُ (هود) كما بعث في قوم ثَمودٍ وهم عرب كذلك نبياً اسمهُ (صالح). قالت الآية : ﴿ والى عادٍ ارسلنا اخاهم هوداً قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره ان انتم إلا مُفتَرون ﴾. (هود ٥٠) قالوا : ﴿ وإنَّا لنَظنُّك من الكاذبين ﴾. (الاعراف ٦٦) قال : ﴿ قد وقع عليكم من ربكم رِجس وغضب ﴾. (الاعراف ٧٠) ثم تلا ذلك : ﴿ واما عادٌ فأُهلِكوا بريحٍ صرصر عاتية ، سخَّرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانية ايام حُسوماً متتابعة ﴾. (الحاقة :٦ ـ ٨).

اما صالح فقالت فيه الآية : ﴿ والى ثمود ارسلنا اخاهم صالحا قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيرَهُ . . فاستغفروه ، ثم توبوا اليه ﴾. . (هود ٦١).

وكان ان : ﴿ كذَّبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتَّقون . اني لكم رسول امين ﴾. (الشعراء :١٤١).

وقال تعالى لصالح : ﴿ إنَّا مُرسلو الناقة فِتنةً لهم ، فآرتقبْهُم وآصطبِرْ ﴾. (القمر :٢٧). ثم إذا بهم : ﴿ فعَقَروا الناقةَ وعَتَوا عن امر ربهم ﴾. (الاعراف :٧٧).

وكان هلاك ثمود لعدم تقبلهم دعوة صالح بالصاعقة ، وقد اوضحتها الآية : ﴿ فأخذتهم الصاعقةُ وهم ينظرون . . واصبحوا في دارهم جاثمين ﴾.

ابراهيم :

لإبراهيم منزلة في الديانات السماوية الثلاث ، فهو الداعي الى الوحدانية ، وأبو الانبياء . ﴿ ملّة ابيكم ابراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل ﴾. (الحج ٧٨).

وقيل ان ابراهيم من بابل ، وجاءت الآية لتقول بلسانه : ﴿ أفرأيتم ما كنتم

تعبُدون . . فانهم عدو لي إلا ربُّ العالمين ، الذي خلقني ﴾ . . (الشعراء : ٧٥). ثم انبرى ابراهيم الى الاصنام فحطمها الا واحدا : ﴿ فجعلهم (للأصنام) جُذاذاً إلا كبيراً لهم ﴾. قال ربُّهُ : ﴿ وكذلك نُري ابراهيم ملكوت السموات والارض ليكون من الموقنين ﴾ . (الانعام : ٧٥).

واشار القرآن الى بناء الكعبة في الآية : ﴿ وإذ جعلنا البيت متابةً للناس وأَمْناً . . وعهدنا لابراهيم وإسماعيل ان طهِّرا بَيتي للطائفين والعاكفين والرُكَّعِ السجود ﴾ . . (البقرة : ١٢٥).

لوط :

انه نبي بشهادة الآية التالية : ﴿ كذَّبت قومُ لوط المرسلين ، إذ قال لهم أخوه لوط : ألَا تتقون ، اني لكم رسول أمين . . أتأْتون الذُكرانَ من العالمِين . . اني لعملكم مِنَ القالين ﴾ . (الشعراء : ١٦٠). وكان جوابه تعالى : ﴿ ولقد راودوهُ عن ضيفه فطمسنا اعينهم ﴾ . . (القمر : ٣٧) وتابع : ﴿ فلمّا جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها ، وامطرنا عليها « البلدة » حجارة من سِجِّيلٍ منضود ﴾ . (هود : ٨٠).

يوسف :

يروي سواد الناس قصة يوسف بالمضمون الذي تحمله سورة يوسف ، فلا موجب لِنقُصَّها ويوسف كان ذلك الابن البار . والنبي الصادق العفيف .

شُعَيب :

يُعيد بعض المؤرخين شعيباً الى اصل أتيوبيٍّ ، أما الفقه الاسلامي فيفخر بانه واحدٌ من أصدق الانبياء العرب .

قوم شُعيب هم اهالي « مَدْيَن » في الجنوب من (مَعان). عرَّفته الآية بقولها : والى مَدين ارسلنا اخاهم شُعيباً قال : ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، ولا تنقصوا المكيال (بلد تجاري) . . واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ . . (هود : ٨٤). وتابعت الرسالة : ﴿ قالوا يا شعيب أَصَلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤُنا او ﴾ . . قال : ﴿ لا يُجرِمنَّكم شِقاقي (مُعاداتي) مثل ما أصاب قوم نوح او قوم هود او . . واستغفروا ربكم ﴾ (هود : ٧٨ ـ ٩٠).

قـال قومـه : ﴿ لنُخرجنَّـك يا شعيب والـذين آمنوا معـك من قريتنـا او لتعودنَّ في ملَّتنا ﴾. . (الاعراف :٨٨). قـال لهم شعيب : ﴿ يا قـوم لقد ابلغتكم رسـالات ربي ، ونصحتُ لكم فكيف آسى على قوم كافرين ﴾. (الاعراف :٩٣).

وردَّ الله كيدهم بقوله : ﴿ ولما جاء امرنا نجَّينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منـا ، وأخذَتِ الذين ظَلموا « الصيحةُ » فأصبحوا في ديارهم جاثمـين ﴾. (هود : ٩٤ ـ ٩٥). ومعنى الصيحة شدة الحـر والصقيع والارتيـاع . وروت كتب فرنجيـة أن موسى استضـاف شعيباً وزوّده هذا ، بجليل ارشاداته فكانت الوصايا العشرة بعدها .

أيّوب :

اشتهر ايوب بتقـواه وتوحيـد ربه ، وصبـره على البـلايا المتتـالية . وقـد ذكرتـه الآية الكـريمة فقـالت : ﴿ إنَّـا أوحينـا اليـك « محمـد » كـما أوحينـا الى . . عيسى وأيـوب ﴾. (النساء :١٦٣). وكان يكثر من ترداد : ﴿ اللهمَّ انتَ اخذت وانت أعطيت ﴾.

وقالت الآية : ﴿ وأيوب إذ نادى ربـه اني مَسَّني الشيطان بنَصَبٍ وعـذاب . . هذا مغتسل بارد وشراب ﴾. انبع الله عَينـاً باردةً ، وأمـره ان يغتسل فيهـا فأذهَب الله عنـه ما كان يجده من الألم والمرض . ومن حديثٍ للرسـول : « وما أُعـطي احد عـطاء أوسـع من الصبر ».

موسى وهارون :

ينـوِّه القرآن بنبؤة مـوسى في الآية التـالية : ﴿ يـا موسى اني اسـطفيتك عـلى النـاس برسالاتي وبكلامي ، فخذ ما اتيتك وكُنْ من الشاكرين ﴾. وأضافت السورة : ﴿ ووهبْنـا له من رحمتنا أخاهُ هارونَ نبيـاً ﴾. وتحدَّث كتـاب القصص في ص (٧ ـ ١٢): ﴿ واوحينا الى ام موسى : ان أرضعيه فاذا خفتِ عليه فألقـه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ، إنَّـا رادُّوه اليك ﴾. .

وحـين دخل مـوسى بلدة (مَدْينَ) هـارباً والتقى فتـاتينَ فسقـاهما اجـراً منه فقـالت احداهما : « ان ابي يدعوك ليجزيك أجرَ ما سقيت لنـا ». . القصص ص ٢٥ . يتبينّ من هنـا ان هـذا الاب ليس شُعيبـاً الـذي تحـدث عن استضـافتـه لموسى المؤرخـون أمثـال : (Ed–Schuré) في (كبار العرفانيين)، ص ٢٢٤ وما يليها .

ولو كان ذلك شعيباً نفسهُ لكان نوّه به القرآن . وهو ذلك النبيّ الخطير .

وسبق لنا الحديث عن حياة موسى بشيء من الاسهاب في فصل اسرائيل ، وهو مشابه لما حدّثنا به القرآن الكريم . وأشارت الآية التالية ، الى حقيقة الدعوة التي عمل على نشرها موسى في آل فرعون فقالت بلسان القوم : ﴿ **أجئتنا لِتلفتنا « لِتصرفنا » عما وجَدْنا عليه آباءَنا** ﴾؟ . (يونس ٧٨).

ولدى سؤآلهم عن ذلك الاله الذي يدعو له قال : ﴿ **ربنا الذي اعطى كل شيءٍ خلقه ، ثم هدى** ﴾ . واردف : ﴿ **ربُ السماوات والارض وما بينهما إن كنتم موقنين** ﴾ .

العبد الصالح :

هذه قصة فتى رافق موسى في مسيرة طويلة على الشاطىء ، اظهر خلالها العبد ما اوحى به الرب اليه من المغيَّبات التي لم يتبصَّرها موسى . والمح القرآن الى ذلك قائلا ما معناه : ﴿ **ان لي عبداً بملتقى البحرين هو أعلم منك** ﴾ . والآية من عباراتها : **فَوَجدا عبداً من عبادنا** (رجلاً) **آتيناه رحمةً من عندنا وعلَّمناه مِن لدُنّا علماً** ﴾ . (المُغيَّبات) .

داود وسليمان :

يقول القرآن : ﴿ **ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، وآتينا داود** ﴾ . (زَبورا) . ويكرر المرجع نفسه : ﴿ **وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث** (الزرع) **نفشت** (رعت) **فيه غنم القوم ، وكنّا لِحكمهم شاهدين : وكُلاًّ آتينا حكماً وعلماً** ﴾ . (الانبياء : ٧٨ ـ ٧٩).

وذكر القرآن سليمان بتوضيح : ﴿ **فسخَّرنا له الريح تجري بأمره رُخاء** « لَيِّنة » **حيث اصاب والشياطين واخرين مُقرنين** « مقيدين » **بالأصفاد** ﴾ . (ص ٣٥ ـ ٤٠) . ثم اكثر توضيحاً بقوله : ﴿ **ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه . . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجِفانٍ** ﴾ . « قصعة » . (سبأ : ١٢ ـ ١٣) .

قصة بلقيس ملكة سبأ مشهورة نلمح اليها ببعض آيات سماوية : ﴿ **إذهب بكتابي هذا فألقهِ اليهم . . انه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم قالت ايها الملأ افتوني في امري . . قالوا . . والامر اليكِ فانظري ماذا تأمرين** ﴾ . (النمل : ٢٨ ـ ٣٣) قال

سليمان حين حاولتْ إغراءه بالهدايا الثمينة : ﴿ يا ايها الملأ أيكم يأتيني بعرشها . . قال الذي عنده علمٌ من الكتاب : انا آتيكَ بهِ قبلُ ان يرتدَّ اليك طرفُكَ . قال : هذا من فضل ربي ﴾ . . (النمل : ٣٨ - ٤٠).

وخُتمت القصة بـ: ﴿ قيل لها : ادخلي الصرح فلما رأتهُ قالت : ربي اني ظلمتُ نفسي وأسلمتُ مع سليمان لله ربِّ العالمين ﴾ . (النمل : ٤٤).

الياس :

تقول العقيدة المحمدية ان الياس كان من احد أسباط بني اسرائيل، يعبدون صنماً يسمى بَعلاً فجاء الياس يدعو لتوحيد ربه بشاهدٍ من الآي الحكيم : ﴿ وان الياس لمن المرسَلين ، إذ قال لِقومه ألاَ تتَّقون . . الله ربُّكم ورب آبائكم الاوَّلين . فكذَّبوه فانهم لمحضرون ﴾ . (؛ يُحضرون للعذاب)(الصافات : ١٢٣) واردفت الآية : ﴿ انه إلياسُ من عِبادِنا المؤمنين ﴾ . ولإلياس منزلة دينية مرموقة في المسيحية ، وفي الباطن الاسلاميّ إيليًا نفسه هو النفس الكلّية في مذاهبهم الباطنة .

يونس :

كان يونس من (نينوى) عاصمة أشور، فجاء قومَهُ مبشراً بالتوحيد . وقد اشاد به القرآن قائلا : ﴿ ان يونس لَمِن المرسلين ، إذ أَبقَ « هرب » الى الفُلك المشحون . . فالتقمه الحوت وهو مليم ﴾ . « ملام » . فاستغفر ربه وتاب فغفر له وأنقذه . وتلا ذلك قوله تعالى : ﴿ إلا قوم يونس لَمَّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتَّعناهم الى حين ﴾ . (يونس : ٩٨).

يسوع ومريم :

اثبتنا بعض آيات من سورة مريم تشير الى ولادة المسيح عيسى بن مريم ، ثم بهذه الآية الوجيزة اشارة الى ما للمسيح من مرتبة رفيعة عند ربِّه . تقول الآية بعد معجزة الوِلادة : ﴿ وآتيناهُ الحكم صبياً ، وسلام عليه يوم وُلد ويوم يموت ويوم يُبعثُ حيّاً ﴾ . (مريم : ١٢ - ١٥).

وأضاف في سورة (آل عمران : ٥٩) ما يلي : ﴿ ان مَثَل عيسى عند الله كمثل آدم خُلق من تراب ثم قال له : كُنْ فيكون ﴾ . ثم في نهاية المسيح عيسى قال القرآن :

﴿ وقولهم لليهود أن قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوهُ وما صلبوهُ ولكن شُبِّه لهم ﴾. (النساء :١٥٧) وعطف القرآن فقال : ﴿ ولتجدنَّ اقربهم مودةً للذين آمنوا ، الذين قالوا إننا نصارى ذلك بأن منهم قِسِّيسين ورهباناً ، وانهم لا يستكبرون ﴾. واضاف : ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتَّبعوه رأفةً ورحمة ﴾.

محمد :

انه خاتم الانبياء والمرسلين . من كلام الله فيه : ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ؟ ﴾. وقوله : ﴿ وما ارسلناك للناس كافةً إلّا بشيراً ونذيراً ﴾. . و : ﴿ اخفض جناحك لِمن اتبعك مِن المؤمنين ﴾. و : ﴿ قل : ما يكون لي ان أُبدِّلَهُ مِن تلقاء نفسي ، ان أتَّبع إلا ما يُوحى إليَّ ﴾. و : ﴿ سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ﴾. وقال بعضهم : أُسري بالجسد وآخرون قالوا : تمَّ الإسراءُ بالروح ، والمحنا من قبل الى ذلك .

وقالت الآية : ﴿ قُلْ (لمحمد) رَبِّ أدخلني مدخلَ صدقٍ وأخرجني مخرج صدق ، وآجعل لي من لدُنكَ سلطاناً نصيراً ﴾. وآية : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا انَّ الله لا يحب المعتدين ﴾. . (البقرة : ١٩٠). و : ﴿ شاورْهُم « لمحمد » بالأمر ﴾. و : ﴿ ان الله مع الذين اتَّقوا والذين هم مُحسنون ﴾. (النمل : ١٢٨) و : ﴿ ما كان لنفسٍ ان تموت الا بأذن الله ، كتاباً مؤجلاً ومن يُرِدْ ثواب الدنيا يؤتِهِ منها ومَن يُرد ثواب الآخرة نؤتِهِ منها وسنجزي الشاكرين ﴾. و : ﴿ لا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله امواتاً ، بل أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون ﴾.

ومضمون الآية الآتية يؤكِّد عَدَمَ (عِصمة) الرسول وهو خير النبيين . تقول الآية : ﴿ إنّا فتحنا لك « لمحمد » فتحاً مبيناً - ليغفر لك الله ما تقدم مِن ذنبك وما تأخر - ويتمَّ نِعمَتُه عليكَ ، ويَهديك صراطاً مستقيماً - وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾.

وكيف يُشاعُ انَّ دعوة الرسول جاءت بالسيف ، وهو القائل لجيرانه مِن أُمراء وملوك ؟ : ﴿ قلْ يا أهل الكتاب ، تعالوا الى كلمةٍ سواء « منصفة » بيننا وبينكم ، ألاَّ نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً . . فان تولُّوا ، فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾. وقوله : ﴿ إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾. ﴿ وخذِ العفو وأمر بالمعروف ﴾. وآخر ما سُمع عن

الرسول وهو على فراش الموت هذه وصية بلسان الحق : ﴿ **تلك الدار الآخرةُ نجعلها للذين لا يريدون عُلواً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتَّقين** ﴾ . وكُنَّا أتينا في مستهل الفصل بتفصيلٍ عن حياة الرسول ودعوته هذه للإسلام .

الفصل الرابع والعشرون

موجز للاسلام ومذاهبه

نادت الحنفية قبل الاسلام بالتوحيد ، في بيئة لم تعرفه ، وكانت عباداتها بين مجوسية ودهرية وعبدة للكواكب وصابئه وبوذية وبرهميَّة . وجاء محمد ففجّر ينابيع التوحيد وسحَّت مواطرهُ في مكة فالمدينة فسائر الجزيرة العربية ، وانتشر بعد محمد في اقاصي الدنيا .

ولد محمد يتيماً أُمياً فصحب القوافل خارج الجزيرة ودلت على عبقريته اعماله واقواله . لم يُسغْ لاهل مكة التوحيد والاسلام ، فاضطهدوا محمداً حتى جاء المدينة مع نفر قليل . هناك وجد صدى لندائه فتألبت حوله القبائل وكانت معارك ظافرة .

كانت الهجرة عام (٦٢٢) ميلادي وواحد هجري وفي عام (٦٣٠) ميلادي نفخ في الصور وكانت العودة الموفقة الى مكة ، حيث حطم محمد وجماعاته اصنام الكعبة ، ونادى بِلالُ : الله اكبر . وتقاطرت على محمد امراء القبائل وراسلهُ الملوك المجاورون .

خلال هذه الفترة من الزمن كان قد نزل القرآن على محمد ، وعُرف نبياً ورسولا . وكان قد اسرى لبيت المقدس ، وعرّج الى السماء ، بِعُرف معتنقي الاسلام . وفي عام (٦٣٢) اسلم روحه لخالقه . فكانت حروب الرِدّة التي اثارها أبو بكر على المرتدين ، ظافرا .

ان كلمة اسلام تعني حالة الانسان في اسلام أمره لله . وبما ان الاسلام هو الخضوع الكلي لله ، وبما ان القرآن هو كلامه ، فقد وجب تقبُّل هذا الكلام والانصياع لكل فكرة وردت في آياته الحكيمة بهذا يؤمن الموقنون .

التشريع :

العقيدة الاسلامية هي الايمان بأن الله واحد احد لا شريك له ، والايمان بالملائكة

والكتب المنزلة والانبياء ، وخاتمهم رسول الله : محمد .

كـان هناك تشـريعان : مـدني ومكي ، وقد جعـل التشـريـع السيـاسي السلطة بيـد الرئيس الديني . كما فعل من قبـل « قسطنـطين » في المسيحية . وانتشر الإسـلام بتوجيـه البعثات وبالفتوحات المـظفرة ، وبمـا للقرآن والحـديث النبوي من أصـالة وبـلاغة وحقيقـة حياتية وروحية معاً .

الاسلام :

جاهد النبي ثلاثاً وعشرين عاما في سبيل تحقيق ما انزله الله عليه من آيـات بينات . فالقرآن بنـظر كل مسلـم هـو كلام الله لفـظا ومعنى : ﴿ **إنّا انـزلناه قـرآنا عـربيا** ﴾. جمـع المصحف امور الدين والدنيا . وعبر عنها الـرسول بقـوله : « اعمـل لدنيـاك كأنـك تعيش ابداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ».

الاسلام في حقيقته الروحية يعني قبل كل شيء : « اشهـدُ ان لا إله الا الله واشهـد ان محمدا رسول الله » وللاسلام اركان خمسة هي : الصلاة في (مواقيتها) والزكاة والصوم خـاصة (رمضـان) والحج (لمن استـطاع اليه سبيـلا) ثم الجهاد (في سبيـل نشر الدعـوة وترسيخها) .

الانقسام :

دعت الظروف السياسية ان يحدث سوء تفاهم بين جماعة المسلمين ، آلَ الى معـارك طاحنة . تشيعت جماعة لعلي بن أبي طالب ، وسميت بـالشيعة الامـامية ، فـالسبعية ، ثم العلوية ، والقرامطة وسواها . وجماعة وقفت وسطاً بين الطرفين لِتحدَّ من هـذا التقاتـل . وكـانت السُنَّةُ قـد ايدت البيعـة لعثمان بن عفّـان ، وهو أضمن جـامـع للقـرآن ، ومُنسِّقٍ لِسُوَرِه . والشيعة اعتمدت الإمام علياً خليفةً .

شاع ان الاسلام قـام بالسيف ، والحقيقـة في كلام الله : ﴿ **لا إكـراهَ في الدين . . أدعُ الى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾. . الخ .

ومن اروع ما جاء به الاسلام تحرير الرق . وقد ألمحَ اليه الكتـاب بقولـه : « إطعام عشرة مساكين او تحرير رَقَبه ».

مذاهب السُنّة :

للسنة مذاهب اربعة ما تعدَّت واحدةٌ منها جوهر الاسلام في شيء وهي : المالكية والشافعية والحنفية والحنبلية .

الجدل :

حين تمت الترجمات لفلسفات الاغريق وغيرهم ، نشط رجال الفكر في التعبير عن آرائهم ازاء آيات الله ، وما جاءت به الفلاسفة . ادى هذا النقاش والجدل الى مدارس مختلفه . منها : المعتزله والاشعريّه والجبريه والقدريه والمُرجئه .

وكانت في الظاهرات الطبيعية تفسيرات في القرآن تشير الى حدوثها وتقُرُّبها ، والى تحديد وتوضيح ما غمض منها . فجارى الفقهاءُ العلماءَ والفلاسفة .

وكان لِفُقهاءٍ كبارٍ من السُنَّة امثال الدكتور الشيخ صبحي الصالح والدكتور الشيخ مصطفى الرافعي وفضيلة الشيخَين الأزهريَّين الشيخ عبد القادر الزعبي وقاضي الشرع الشيخ مفيد شلق ، كانت معلوماتٌ قيمةٌ ، موضِّحة ، حول الماورائيات في الديانة الاسلامه بمثل : البُراق وزَمْزم والحَجر الأسود والجن والملائكة ، ومصير النفس البشرية الخ . خلا الانبياء وسِيَرهم ، بدءاً من آدم فالطوفان ، فابراهيم فمحمد .

ركنتُ كُليّاً لهذه المعلومات ، رغم ما لقيت في بعضها من إشكال ، ألمحتُ اليه .

وألحقت بالبحث آراء بعضٍ من كبار الفلاسفة المسلمين في ما يعود لله والنفس والخَلق والمصير . ولن أخلي هذا الموجز من نظرات خاطفة على كل من المذاهب الاسلامية الهامه :

أ ـ **الخوارج** : هم الاباضية اعتبروا انفسهم من صلب الاسلام ، وانتشر مذهبهم في افريقيا . آمنوا بالرأي بدلا من الاجماع والقياس . وأكدوا عدم امكانية رؤية الله ، لا في الدنيا ، ولا في الآخرة ، اجازوا تعدد الامامة ، والامامة بالوصية باطلة .

ب ـ **السَبَئِيَّة** : نادى بها عبدالله بن سبأ القائل : عليٌّ هو الله والله هو عليّ . شأن جماعة الطبيعة الواحدة في المسيح . وهم متشيِّعون لعلي ، المقصود « علي بن أبي طالب » .

ج ـ ثم كانت الكيسانية (ابن الحَنَفية) الشيعية وكانت المغيريَّة التي اعتصمت

بالقرآن وتعاليمه . زعيمها : محمد بن علي (النفس الزكية) وهي من الشيعة .

د ـ وكانت الزيدية نسبة الى زيد بن علي زين العابدين (حفيد الامام علي). اجازت الإمامة في كل ابناء فاطمة ، شرط ان يكون الامام : وافر العلم والزهد والشجاعة والسخاء . ترفض هذه الفرقة القول بوجود جزء من النور الالهي في الامام ، وتنكر الرجعة المرتقبة من الشيعة ، وتنفي الصفات لله . شاعت هذه الفرقة في اليمن كله .

الشيعة الامامية : انها الدين الاسلامي السليم . آمنت بالله وبمحمد رسول الله ، وبكل معتقدات وطقوس السُنَّة . خلا فوارق في الكماليات .

اعتقدت هذه الفرقة بوجود اثني عشر إماماً ، بدءاً من علي حتى الامام المهدي المنتظر الذي اختفى من سرنديب . وآمنت بأن كل امام فيهم قيِّمٌ على القرآن وتأويله ، وأنه يبلّغ تلاميذه المعنى الباطني لآياته . فالأئمة هم عارفو معاني الوحي ، وعلمهم الروحي هو إرثي .

الامام والولاية :

في عُرف الشيعة اجمعين من باطنةٍ وظاهرة ، ان الامام مستودع الفضائل وذخرها . هو الصلة بين العالمين العلوي والارضي ، وهو القاضي العدل لدى البعث الاخير . والولاية هي السلطة الالهية لتنفيذ الشريعة ، ولتطبيق الاسلام على المجتمع . انها باطن النبوة ، تُعطَى للرسول وسلالته .

التصوُّف :

ظهر التصوف قبل الاسلام ، في اليهودية والمسيحية وفي معتقدات قديمة غيرهما . إحيا هذه المدرسة السُهروردي وعقبه نُبهاء لامعون ، من امثال ابن عربي ورابعه والجُنيد . تؤمن بان وراء المدركات الحقيقية الالهية حياة ثانيةً ، وعالمنا نحن : سَراب ، وترى الله مِرآةَ المرء المُتصوِّف .

الكهنوت :

لا كهنوتَ اطلاقاً في الاسلام ، هناك مشايخ مستقلون ، قد تُوكل اليهم مهام دينية خاصة وقد لا توكل ، لكنهم حريصون على انجاز الفرائض ، ومرضاة الله في تصرفاتهم

اليومية . وكل امرىء مسؤول عن عمله الروحي تجاه ربه وحسب .

التقيَّة :

بلغت التقية اوجها في الشيعة . قال الامام جعفر الصادق : قضيَّتُنا سرٌّ من سر . . سر لا يكشِف عنه إلّا سرٌّ آخر . . انها باطن الباطن . ما هذا السر ؟ لم يزل المحققون ضالين عن توضيحه والراسخون في هذا الفُقهِ يتفهَّمونه .

الامام الغائب :

هو المختفي في سرنديب ، وهو الثاني عشر لدى الشيعة الامامية . سيظهر ليملأ الارض عدلا . انه آخر حلقة الامامه ، وكلهم نورٌ واحد ، ولهم خط روحاني واحد ، ويتكفلون بتبليغ رسالة واحدة هي : الإسلام . إنَّها الامتداد للحقيقة المحمدية .

الشيعة السبعية :

هي الاسماعيلية بفرعَيها . قالت : ان الله انزل القرآن على محمد بأحرفه ، اما باطنه فعلى الامام علي . وأورث علي الامامة الى سلالته : حتى السابع : اسماعيل . اعتقدت هذه الفرقة بان دعوتهم قديمة قدم الانسان ، بدأت في السماء ، ثم على الارض في آدم الاول .

التكاليف :

اول من عمل على تطبيقها باطنيا : محمد بن اسماعيل ، المناضل الديني الخطير ، وقد رفع ظاهرها مناديا بالتأويل . اما التخفّي فكان عن رهبة وعن قداسة في زعمهم .

آمنوا بحدود خمسة عُلوية ، يقابلها خمسة سفلية ارضية ، وكلهم مُتماثِلون . على رأسهم : العقل والنفس . وهناك انفس ضدّية مجرمة ، تحاول لدى الموت ان تصعد ، فيحول كدرها دون ذلك ، فتهبط وتتخبط هنا وهنالك ، عاجزة ذليلة . وقيل انها تنتقلُ الى بعض الكواكب اللاهبة . والنفوس الرضية يساعدها صفاؤها على التعرُّش على العمود النوراني ، لتسعد في نعيم دائم ، حيث الهيكل النوراني الذي يعني : الامامه . ان جسد الامام في رأي الاسماعيلية هو جسد كافوري ، بل مغناطيس كَوني .

البَهَرة : اضطهد العباسيون الاسماعيلية ، فاعتصموا في جبال ايران حول قلعة

الموتْ . كان صاحب دعوتهم : حسن الصباح . هؤلاء قدّموا سلمان الفارسي على محمد ، معتبرين معناهُ الروحي معنى الإمام بنفسه . هذه الفرقة هي شقيقة السبعية الفاطمية المصرية ، وسميت بالنِزارية نسبةً الى الامام (نزار). ثم حملت اسم : الآغاخانية ، ومقرها الكثيف : أفغانستان ثم الهند وباكستان وسوريا الشمالية وايران .

إخوان الصفاء :

كانت أَخوية إخوان الصفا وخلان الوفا قائمة على اسس الفقه الاسلامي المُؤوّل الايات والفرائض ، وعلى بوارق معرفة مقتبسة من شموس المعارف العالمية التي توصلت هذه الجماعات الى سبر بحارها : من فيثاغورية لِهرمسيَّة لِغنوصية عرفانية لِسواها . نادوا بالإشراق ، وما برح غامضا اسم مؤسسها ومؤلف رسائلها الروحية والعلمية . قالوا إن لله وحيَين : الفلسفة والشريعة . والامام من ذرِّية اسماعيل ، هو وارث علم النبوءات الخفيّة .

ايمانهم :

آمنوا بالسحر والتنجيم ، وبالملائكة ، وهم الكواكب التي يسري فعلها باجسام الخليفة ، كما آمنوا بالانغام على منوال الفيثاغورية . واعتبروا العقل الكلي والنفس الكلية هما من ملائكة الله المقربين ، وزعموا ان النفس حين تصفو لا تعوزها العودة الى الحياة .

والجنة عندهم تحوي ارواحاً بغير اجسام وملذاتُها رُوحانية بمعظمها .

تسيطر على الاخوان النزعتان الاسماعيلية والصابئة . عدد رسائلهم اثنان وخمسون . كان لهذا الفكر اثر بالغ في العالم الاسلامي . اغتذى ببعضه المتصوفون ، وتفتحت الاذهان الى آفاق بعيدة ، قوامها العلم . وهي مذهب باطنيّ ، ما التمع نجمه حتى خبا في ظلمات الصراعات المذهبية المتعددة ، والصوفيّة المختلفة النزعات .

العلويُّون :

يقولون : ان الدِين عند الله الاسلام . وكتمان العقيدة لا يعني حسب الظاهر الا التعلق الفائق بالإمام وسلالته . ربما اعتبروه نِداً للرسول ، او اكثر او أَقلّ .

الإمامة : اعتبروها نصاً إلهيا ، تبلِّغهُ الرسول من ربه . وسُمي به الائمةُ الاثنا عشر ، بالتوارث لا بالمبايعة . ميزة الائمة روحية بدليل ما قاله الرسول : « علماءُ امتي

كأنبياء بني اسرائيل : ليذهب عنكم الرجس ». الامام عندهم مصدر الارادة الالهية ، دون وحي ولا واسطة . والأصالة في تفسير القرآن محصورة بالائمة وحدهم ، لانهم معصومون .

علي : هو الامام الاسبق لتوحيد خالقه ، والحافظ لعلوم من سبق وسيلحق . وهو المورِّث الامامة بعده بنص الهي ، لنسله الطاهر ، كما يزعمون .

للعقيدة اركان من غير النسل هم : سلمان والمقداد وابو ذرٍّ وعمَّار وبلال الحبشي .

الفرائض : لها عند العلويين ظاهر وباطن يشيرون اليها بالرموز .

الباب : هو الحقيقة القصوى بعينها ، وهو اقدم واسمى من السماوات . كان قبل الزمن . لعله ، أو الأصح أن يكون الإمام عليّاً . على مثال (العقل الأعظم) في الفلسفات الأخرى الباطنية .

المعتزلة : هي فرقة من المتكلمين شَهَرها (واصل بن عطاء). تعتمد العقل والجدل . مبادئها هي : التوحيد ـ الانسان حر وخالق لاعماله ـ الوعيد ، إذ لا يغفر الله لمرتكب الكبائر الا بالتوبة ـ المنزلة الوسطى بين الايمان والكفر ـ أخيراً الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . قالت المعتزلة برؤية الله في الآخرة ، انه امر غير ممكن . هي من صلب الاسلام ، ونشأت في البصرة (بغداد) في النصف الاول من القرن الثاني الهجري .

الأشعريّة : هي مدرسة دافع عنها : أبو علي حسن بن اسماعيل الاشعري المتوفَّى عام (٨٧٣) ميلادي . حرص جهده على التوفيق بين المذاهب الاربعة في الاسلام السنّي . هاجم المعتزلة أخيراً ، معتبراً ان دعم الدين لا يأتي من العقل بل من الايمان والقلب .

السَلَفيّون : هم الجماعة المتعنّتون بمجاراة السلف ، معتمدين القرآن والحديث بحرفيتها . يؤمنون بدوام نعيم اهل الجنة ، ودوام شقاء اهل النار .

الوهَّابيُّونَ : انشأ هذا المذهب (محمد بن عبد الوهاب) في الجزيرة العربية عام (١٧٢٣) ميلادية انه امتداد للسلفيّين . اوجب ازالة قبور الاولياء مؤكداً ان التوسل لغير الله شِرك . أُخذ عليهم عدم مجاراتهم لِمُقتضيات العَصر . واليوم يرعى تطبيق نصّ هذا

المذهب ملك وأمراء آل سعود في الجزيرة العربية أولاً .

الهرمسيَّة : تعود هذه الفرقة الى باعثها (هرمس الهرامسه) اله الحكمة لدى اليونانيين القدامى . وباني هرم (سقارية) بمصر الفرعونية ، بعهد الملك (زوسر) . اعتبرته المانوية احد الحدود الخمسة ، والدرزية كذلك . وقد تأثرت الشيعة عامةً بالتعاليم الهرمسية . انها شبيهة بالفيتاغورية الى حد بعيد . تعتقد بتأثير النجوم على الانسان جسدا ، وتؤمن بالعددية ، (الأرقام) .

الفرق الاخرى : قامت فُرق كثيرة في الاسلام ، على مدّ الزمن منها : اليزيديّة والشبكية والماخوسية والمرجئة والرافضة والمعطِّلة والحلولية . وانتشرت فرق غيرها أهمها :

القرامطة : اتى القرامطة بدور خطير رغم اسلامهم . لعلَّ السياسة اجَّجت سعير هذه الفرقة في الديانة الأم : الاسلام . ظهرت هذه الفرقة بعد ثورة الزنج ، بالعراق سنة (٨٧٧) ميلادية . اسسها (حمدان قرمط) ، كما اسس هناك داراً أسماها : دار الهجرة .

حاولت هذه الفرقة بجدية تطبيق النظام الاشتراكي على شكل أولي ، فلقيت تجاوباً من اتباعها ومُستوطَنِها العريض . من كبار دعاتها : ذِكرويه وأبو سعيد الجنابي ، ونسيبه أبو طاهر سليمان المتوفي سنة (٩٤٣) ميلادية .

لقد جسّد قرمط في نمط مذهبه احلام فلاسفة اليونان وفارس ، وغالى مَن خلفه الى حدٍّ تسلُّمه الكعبةَ عنوة ، واستلابه الحجر الاسود لوقت ما .

نقض المذهب فرائض الإسلام ، وأوَّلها بما يعود لإمام الزمان وكتْم دعوته . كان النور الإلهي العلوي هو مصدر كل نور روحاني في العقيدة . ويصدر العقل الكلي من النور الشعشعاني (الفائق اللُّمعان) والنور القاهر . ومثله النفس الكلية . مَن سعد بومضةٍ من هذا الشُعاع نجا ، وتحرَّر من المشاكل القائمة في عُرفهم .

المزدكية : اول نشوء هذه العقيدة في القرن الثالث هجري والتاسع ميلادي لدى انتفاضة حدثت في اذربيجان ضدَّ الخلافة العباسية . تأثرت هذه العقيدة إلى حدٍّ بعيد بالمانوية ، والزرادشتية وتميزت عن المانوية باعتبارها : (النور) يعمل بالقصد والاختيار ، (الظلمة) تفعل بالخبط والاتفاق .

نـادت المزدكيـة ، على لسـان الطَبَـري ، بمشاعيـة الارض ، واتهمهـا غيـرهم زوراً بالاباحيه ، لان شعبها مقاتل باسل وزاهد معاً .

الخـرمية : انها فـرقة متـطورة عن المزدكيـة ، تؤمن بصراع الخير والشر ، وتـدعـو لتوزيع الاراضي على الفلاحين ، وتحرير المرأة .

البابكية : اتُهمت هذه الفرقة لِمناداتهـا بالاشتـراكية ، ومشـاعية الامـلاك : بالكُفـر والاباحية ، فهاجمتها الزرادشتية والمانوية ثم الاسلام معا . بعث العقيدة فتى مناضل هو : (بابك). شهد الطَبَري بحسن معاملة الأسرى في الحرب عند بابك ، رجالاً ونساء وذلك بشعورٍ انساني صرف. حامت الشبهات حول معتقدهَمْ . منهم من قال أنهم يؤمنون بحلول الله في آدم ، ونـوح وابـراهيم . الى ان ينتهي في أبي مسلمْ ثم في المقنـع (الكـامـل ج ٥ ص ٥٢). يعتقدون بنضال إلَهِ الخير عـلى الارض وبحتمية انتصـاره . واكد مؤلفـون أمناء وجود روح انسانية عريقـة في هذه العقيـدة ، وان بابـك من الابطال والمفكـرين المناضلين بشراسة ، في سبيل الارض والفكر الروحي ، وان ما زعمـه اعداؤهم وجـاراهم به بعض المؤرخين المغرضين ، هو باطل اصلاً .

الـدروز : لقبهم هذا معـاده الى احد دُعـاة المذهب الـذي كفر بـالعقيـدة وأشـاع الالحـاد والمـروق والابـاحيـة . انـه لقب خـاطىء لكنـه تـأصـل عـلى الالسن وفي اقـلام المؤرخين . شُهر المذهب بظلّ الفاطميين الإسماعيليِّين بمصر ، بعهد الحاكم بأمرِ الله ـ آمن بتجلي المبدع ، لا بالمشاهدة الجسدية شأن المسيحية في يسوع . انه صورة دونما مادَّة ، تُمَثِّل الصـدقَ والكمال . يـراها المـوحدون مشخصـة ، كأنمـا هم يرون انفسهم بـالمرآة ، حـين يتناهى التوحيد في النفوس الولية .

آمنت العقيـدة بتقمص ارواح البشر ، بنقلتهـا من جسـد آدمي لآخـر آدمي ، مـع امكانية التـذكر لإعمـالِ آخر جيـل سبق . وقد آمنـوا بالخَلقِ انبعـاثا تـدريجيا ، كـما آمنوا بالقرآن كتابا سماويا ، وبتأويله تأويلاً منطقياً على حد تعبيرهم .

افسد بعض الدعاة المارقين على المذهب صدق تعاليمه . في ما حرفـوا وابتدعـوا من اباطيل ، خدعت معظم المؤرخين ، وابعدتهم عن جادة الخط التوحيدي السليم فيه .

آمنوا كذلك بإمام الزمان سيداً وباعثاً للعقيدة ، وهو في تقمصات دائمة ، على الاحقاب البعيدة ، ناقلاً جوهر التوحيد ، ومجارياً كل عصر بالمألوف .

دُعاته الأولون ، ابتداءً من مصر الفرعونية ، والهند الراماياانية ، واليونان الفيتاغورية ، كلهم حملوا شعلة التوحيد ، وآزروا الديانات السماوية في ترسيخها بنفوس المارقين . كان منهم شعيب وأمليخا ، وكان المسيح ويوحنا المعمدان ثم كان بعصر الرسول مقاتلاً ومجاهداً في سبيل توطيد الاسلام جماعة حول محمد ، على رأسهم سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وغيرهم .

تؤمن الدرزية بالكتب السماوية منزلةً غير مُحرَّفَة ، معتبرين الحقيقة جوهراً غيرَ قابلٍ للتحريف .

أولَّوا الفرائض وجعلوا الصدق على رأسها ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، هي ركيزة هذا التوحيد الدرزي وروحه النابض .

البهائيَّة : دين حديث . مؤسسه : (علي بن محمد الشيرازي) وهو في عرفهم : الباب . صعَّد الدعوةَ له : بهاء الله (ميرزا حسين علي نوري) (١٨١٧ ـ ١٨٩٢). توفي في عكا (فلسطين) .خَلَفه ابنه (عباس افندي). تقول هذه البدعة ان كل انسان تحلَّى بالكمالات الانسانية : هو بهائيٌّ . يرى البهائيُّ وجهَ المحبوب (الله) في كل الوجوه . لذلك عليه ان يحب كل مخلوق ، لانه جزءٌ من الله . لقد آمن هذا المتشرع الاجتماعيُّ (بهاءِ الله) بالتطور المستمرِّ وبِتقدم العالم . والموت في عرفه ، هو هروب من سجن البدن الى حياة اعلى واكمل . وقد اطمأن الى الاتصال المباشر بالارواح بين الارض والسماء ، اعني : الترقِّي الحسي او التلبئة في لغة علماء الروح المعاصرين . يقول ان المحبة هي القضيب الالهي ، الذي يضمُّ الاديان كافةً ، تحت لوائِه . انكر التقمص ، وآمن بشكلٍ خاصٍ : بالجنة والنار والرؤيا والنجوم . وفي مجيء الخلف : عبد البهاء ، قام بتطور في العقيدة، فأنكر ان يكون الله قد حل في جسد الامام ، ورفض الخوارق التي تخيلها ابوه .

انتشرت البهائية مؤخرا في اميركا وبعض من اوروبا ، جاعلةً مقرها الرئيسي مدينة (شيكاغو) بالولايات المتحدة الاميركية . انها جاهدة في التبشير لرسالتها . وقوامها المحبة والسلام العالمي .

الفصل الخامس والعشرون

اراء في التقمص والتجلي

التقمُّص :

فكرة عريقة في القِدم . آمن بها قدامى المصريين والهنود، واليونان في : الأورفيه والفيتاغورية والافلاطونية .. ذكر (فينيلون، Fénélon) أن برمانيدس كان مع التيار العرفاني الروحي منذ عُرف العِرفان حتى عصر الذره . وقال (تيلر) العالم الاجتماعي والمؤرخ : (كان الأفارقة السود ينتحرون في اميركا لِيتقمَّصوا في بلادهم .

وقال البروفسور (ستيفانسون إ Y. Stevenson) في كتابه : (التقمُّص) : ان التقمص منتشر في معظم بلدان العالم . منها في (البيرو) ولدى قبائل آل (تينك Thing) جنوب شرقي (ألاسكا) . يعتقد هؤلاء بأن الروح تظل محصورة في الاهل لا تخرج عنهم . وقال في هؤلاء عالم الأثار الفرنسيّ (بينار Pinart) سنة (١٨٧٢) م : « زيادة على ايمانهم بالتقمص البشري فأنهم يؤمنون بانتقال ارواح الحيوان لحيوان ». ومن الهنود من اعتقد بان روح البوذا حلت في طائر .

يقول البوذا غوتاما : (يسعدُ المرء او يشقى حسبما تهيأ له من السلوك السابق). (البوذية ـ الزعبي ــ ص/١٥٧). بعض من الفرق الاسلامية يؤمن بالتناسخ على انواعه : رسخ وفسخ ونسخ ومسخ ومنها من يؤمن بالتقمُّص .

وذكر الدكتور رؤوف عُبيد في كتابه (الإنسان روح لا جسد الجزء الثاني الطبعة الثانية ص ٢٤٠) ان نظريَّة العودة الى التجسد الأرضي سائدة جدا في الفقه الروحي يؤمن بها اغلب الباحثين في الروح (ويقول المؤلف نفسه في ص ٢٤٧) « ان عودة التجسد ليست أكثر من تطور بطيء للروح المحدودة داخل الروح غير المحدودة . . . وهذه

بعينها سُنَّةُ النشوء والارتقاء ». دافع عن هذا المبدأ الباحث الروحي (ل . دانيس Leon Denis) و (ج . جلاي G. Geley) مدير المعهد الدولي لما وراء الروح بباريس .

وقال الفيلسوف والأديب (موريس ماترلنك ، M. Maeterlinck) « لم يوجد قط مِن قبلُ اعتقاد أكثر جمالاً وعدالة ونقاءً وخُلقاً وغِنىً في نتاجه ، وتعزيةً ، وقرباً إلى التطوُّر ، من هذا الاعتقاد » .

ان البسالة التي يبديها المقاتلون اليابانيون واحتقارهم للموت، مصدره ايمانهم بالتقمص الذي جاءهم بواسطة العقيدة البوذية التي دان معظمهم بها . (البوذية: هنري أرفون ص ١١٥). تقول الهندوسية : لكي نعطي المستند الصحيح (لِلكَرْمَن) ، يتوجب علينا خلق عقيدة التقمص المستمر لكل الذوات ، آمن بهذا المعتقد كل الهندوس فاعتبروا حياتهم هذه ، واحدةً من الحيوات المتعددة السابقة والآتية . الهندوسية (ل . أرنو Louis Arnou) ص (٧) .

التجلِّي :

آمن بالتجلي قدماء الهندوس ، فقد رأوا (سِيفا وفشنو) ثم رأى غيرهم إيليَّا والمسيح وبوذا مِراراً .

وقال الصوفي الكبير العارف إبنُ عطاء الله الاسكندري : « المعرفة رؤية لا علم ، ومشاهدة لا وصف ، وكشف لا حجاب ». . وصرح الناسك أوريجين : « ان تجسد المسيح بالناسوت حادث طبيعي ، انه تجلي الله في خلقه ». وقد ذكر أبو منصور البغدادي في كتابه الفَرق بين الفُرق ، (ص ٣٢٤) « اجمع اهل السُنة ان الله يكون مرئيّاً في الآخرة للمؤمنين . وقالوا بجواز رؤيته على الارض ». وقال يسوع للحواريين حوله : « ان العالم لا يستطيع ان يعرف روح الحق ، لأنه لا يراه ، ولا يعرفه ، اما انتم فتعرفونه لانه ماكثٌ معكم ». وورد في القرآن الكريم : ﴿ وتمثل لهم بشراً سوياً ﴾ . أي جبريل .

ثم تقول **الاشعريّة** : في الجنّة إن الله يُرى . . . (فلسفة التجلّي الجزء الرابع رسالة السَفر ص ١٥٠ ـ ١٦٤). في بلاد منغوليا فإن (البوذا الحَيَّ ، أولان باتور ، Oulan Bator) هو نفسه البوذا الخامس : (ماتْرايا ، Maitraya) المتجسدُ ، وانه الرئيس الروحي لِمنغوليا جمعاء .

وفي (التيبت) ، على رأس الهيكل (اللاّمي) شخصيتان في تجسد مستمر، هما : (الدلاي لاما) اي لاما المنبسط كالاوقيانوس ، والمتجسد من : (أفالوكيتْسفارا ، Avalokiteçvara) و (تاشي ـ لاما ، Tashi— Lama) لاما الجوهرة المتجسد من البوذا (أميتابها، Amitabha) ولهذا الاله المعبود السلطة الروحية على البلاد كافةً وهو ملتزم صومعته في (تا ـ شي ـ ليم ـ بو Ta - Shi - Lim - Po) تكثُر في هذا المعتقد التجسدات بين آلهة وقديسين . ولم تنحصر الدعوة في التيبت بل تعدتها الى منغوليا وباكين ، وفي كل من هذه الاصقاع تَجسَّدَ البوديزتفا عدة مرات . يقول الدكتور الزعبي في كتابه البوذية ص ١٥٠ : « ان الماخوسيَّة والأغاخانية كلهم يعتقد بالتجلّيات » . إن (إسڤارا، Icvara) هو برهمان ذو الصفة ، وذلك المطلق غير المجسد يبدو للعيان (بغاڤاتا Bagavata) فانه يُعلِّم ان البرهان الأول : النور الموجود الصافي الذي لا يتغيَّر ، ولا يوصف مجسداً ، ولا تأسره رغبة ، انه أنت يا : (فِيشنو ، Vishnou) بشخصك . (الهندوسية : ل . رينو ، Louis Renou ص ٤٩). وقد اعتقد هؤلاء بان (أُفَتارا ، Avatara) العاشر المدعو (كالكِنْ ، Kalkin) المنقذ ، سيتجلّى لكنْ برأس حِصان ، حيث يُقرُّ السلام والنظام في العالم (المرجع نفسه ص ٤٠) . ووَرَد يرى المرءَ الوُجودَ الالهي بالجسد والنفس معاً : (الكبَّالية ص ١٧ هنري سارُويا) . . .

في العصر الحاضر بمصر عالج الدكتور الروحيّ عبد الرؤوف عبيد الروح ونقلاتها في مؤلّفيه : الانسان روح لا جسد ، و « في العَودة للتجسّد » (١٩٧٦ مصر ط ١ ـ ٢) معتمداً مصادر علميّةً حديثة نوجزها في الفصل الآتي . وإلى هذا لمح المؤرخ المصري المعاصر (مصطفى محمود) في كتابه : « الله »: ان عدم الايمان الجماعي بالذات (الله) اضطره للتجلي بالناسوت . وقال امام الزمان (العقل الكلي) في المذهب الدرزي . لقد ظهر بالناسوت طمأنينة لقلوبنا ، ولا هوته لا تدركه الابصار ولا البصائر » .

كما ذكر الشهرستاني في مؤلفه (الملل والنحل) : ان النساطرة واليعاقبة كانوا شديدي الايمان بصحة التجلي للرب « يسوع » تجلياً لا تجسداً .

ان جميع الديانات السماوية تلمع في رسالاتها الى التجلي بشكل او بآخر . فالمسيحية تقيم عيدا خاصا بالتجلي في السادس من آب . وورد في القرآن (سورة الاعراف) الآية (١٤٢): ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ﴾. وفي سورة البقرة جاء :

﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض . . . منهم من كلم ربه** ﴾ . وقال (سيد حسين نصر) في كتابه (ثلاثة علماء مسلمين ص (١٥٠ ـ ١٥١) : « حين يصفو المرء بوفرة مجاهداته (اعماله الخيرة) يدرك ان الله اصبح مرآة لنفسه ، وفي هذه المرآة يرى الانسان ذاته الحقيقية ، . . . وظِلُّ الله في الانسان الروحاني يجعله مضيئاً بحضور الحق فيه » **وينتهي إلى القول بأن الروح جسم نوراني علوي خفيف متحرك ، ينفذ في جوهر الأعضاء** ويقيم في الجسم ما دام صالحاً له ، ويغادره إلى عالم الأرواح حين يعتلّ . المرجع نفسه (ص ٨٥) . وعاد ليقول حول الروح ومآلها : يرى معاصرون أمثال :

١ ـ **طاغور** : ان روحنا تجد غذاءها في الخير الذي هو الممرُّ الموصل الى اللانهائي .
ويقول مؤسس المعهد الروحي بلندن السيد (Shaw Desmond) ان الاتصال بسكان العالم الكوكبي يحتاج لذكاء ودراسة وايمان . مع المثابرةِ تنهار الحواجز بيننا . ويقول المؤلف ان وَسيطاً بَرازيليا (ميرابلِّي Carlo Mirabelli) تكلم بستٍ وعشرين لغةً لا يعرفها . منها (العربية والكلدانية والهيروغليفية) .

٢ ـ **وليم جيمس** : من المحال ان يكون الشعور العقلي هو مصدر الوعي بهذا الكون ، ان ذلك الوعي هو ما وراء الشعور .

٣ ـ **هنري برغسن** : يقيني ان علم الروح سيؤدي الى نتائج تفوق كل ما نرجوه من آمال . (كتابه : الطاقة الروحية) .

٤ ـ **وليم كروكس** : (W. Crooks) رئيس المجمع العلمي البريطاني توفي (١٩١٩) قال : ان الاتصال بعالم الارواح امرٌ حاصل بالفعل . وهومكتشِفُ الألكترون في الذرَّة ، في عصرنا .

٥ ـ **شارل ريشا** : ان الموت ولوج في حياة اخرى . ولا يؤمن بان هناك قوةً تقودنا حيث تشاء ، لكنه يؤمن بالتلبثة (الحاسّة السادسة) .

ولكثير مثل هؤلاء المفكّرين البارزين آراء مماثلة في الروح والتقمّص والتجلّي وهم معاصرون لنا بينهم :

الدكتور عبد الرؤوف عُبيد القائل :

الجسد الأثيري : هو الروح السابحة الذاكرة والمتفقّدة لأهلها : الاحبَّاء ، اذ الموت لا يذهب بالمحبة لانها تخترق كل الحجب .

الافلاك : المجرَّة فيها مئة الف مليون نجم . يقول شيشرون : ان السماوات مليئة بالبشر . هؤلاء هم آلهة نشأوا على الأرض ثم صعدوا .

العقل : قال ارسطو : ان العقل الفعَّال هو الاله الذي يحل بنا ، وهو غير قابل للفساد وانه يخلق العقل المادي (ص ٦٣). لا يمكن للنفس ممارسة وظائفها بغير الجسد ، ولا هي كالنغم في الكمان ، تستقل عنه . ولا وجود للسيَّالات الروحية عنده . وقال سقراط : لا تدرِكُ النفسُ حقيقةَ الاشياء ، الا اذا قطعت صِلتها بالجسد لانه العائق لها . المرجع السابق ص (٥٩) .

الروح : قال طاليس : العالم مشحون بالارواح يَرَوْنَنا ولا نراهم . وقال كونفوشيوس : ان للروح غلافاً جسدياً يخالف اجسادنا العادية ، لا يقبل الفناء ، والارواح تحيط بنا . وقال بولس الرسول : هناك اجسامٌ سماويةٌ واخرى أرضية : جسم حيواني وآخر روحاني . وقال العالم البريطانيّ (ش . دسْموند ، Shaw Desmond) ان الروحية اساس لكل ديانة تقريباً .

الاسلام : ايمان مطلق بالروح وخلودها وحشرها كما في الإنجيل . من فلاسفته :

أ ـ الفارابي : توجد الروح مع البدن ولا تفنى معه وهي تسبح في عالم الملكوت .

ب ـ الغزالي : هي نفح من الروح الالهي في الجنين المُتقبِّل لها . . هي اللطيفة الربَّانية .

ج ـ ابن رشد : إنها وسيلة إلى إدراك ما يحتوي عليه عالم الحِس والخلود . والجسم آلةٌ لها .

د ـ ابن الجوزية : (كتاب الروح) هي قسمان : معذَّبَة محبوسة في شغل عن تزاوُر الأحباب ، وقريرة تعود إلى ربها في دار البقاء ، حيث النعيم الدائم .

كانت تلك اراء بعضٍ من فلاسفة العالم في التقمُّص والتجلي . وللإيمان الراسخ صولةٌ على العقل والعلم في كل ميدان ، أكان حقاً أم بُطلاً .

مراجع الديانة الإسلامية بمذاهبها

١ ـ **القرآن الكريم** .

٢ ـ **اعجاز القرآن** : أبو بكر محمد بن الطيب (الباقلاني) تحقيق أحمد صقر سنة (٤٠٣) هـ ط ٣ ص (٨ ـ ١٤٠) (١٨٤ ـ ٢١٠) طبعة اولى .

٣ ـ **قصة الايمان** : الشيخ نديم الجسر طرابلس سنة (١٩٦١) ص (٢٥ ـ ٥٢) و (١٢١ ـ ١٨٠) .

٤ ـ **النور الساري في فيض صحيح الامام البخاري** : شرح القرآن وغوامضها . تسعة اجزاء منذ بدء الوحي طبعة اولى .

٥ ـ **العرب قبل الاسلام** : جرجي زيدان مكتبة الحياة سُنة (١٩٦٦) تفصيل لمعتقدات الجاهلية (مجمل الكتاب) .

٦ ـ **العرب قبل الاسلام** : مروج الذهب : المسعودي ـ ج ١ ص (٤٧ ـ ٥٤) و (٣٨٠ ـ ٣٨٢) ط سنة (١٩٦٦) القاهرة .

٧ ـ **الملل والنحل** : الشهرستاني ج ٢ ص (٥ ـ ٦) طبعة اولى .

٨ ـ **تاريخ الحضارة الاسلامية** : أبو زيد شلبي طبعة ثالثة سنة ١٩٦٤ (عابدين) ص (٢٣ ـ ٢٤) حالة العرب الدينية .

٩ ـ **دائـرة المعارف الاسـلامية** : احـرف : أ ـ ش ـ خ ـ ع ـ ز ـ د ـ (مـذاهب الاسلام) المنوه عنها في الكتاب .

١٠ ـ **شـجـرة الحضـارة** : رالـف لـنتـون ـ تـعـريـب احمـد فـخـري ـ ج ٢ ص (٣٤٠ ـ ٣٥٢).

١١ ـ **تـاريـخ الحضـارة الاسـلاميـة** : شلبي ص (٣٧ ـ ٥٢) القـرآن والفـرائض ص (٣٢١ ـ ٣٣٦) بعض الفرق طبعة اولى .

١٢ ـ **اشتراكية الاسلام** : الدكتور مصطفى السباعي ـ ص (١٧٣ ـ ١٧٦) ـ طبعة اولى .

١٣ ـ **الحضارة الانسانية** : سامي اليافي (القاهرة) ص (١٠٩ ـ ١٥٢) يشمل بعض الفرق .

١٤ ـ **فجر الاسلام** : احمد امين ـ دار الكتـاب العربي ـ بيـروت ص (١٩٥ ـ ٢٢٥) و (٢٥٢ ـ ٢٦٦) (٢٧٩ ـ ٣٠٧) ـ الجزء الاول .

١٥ ـ **الحضارة الاسلامية** : آدم متز (A. Mez) تعريب محمد عبـد الهادي أبـو ريده سنة ١٩٤١ ج ٢ ص (١١ ـ ١٢٧) مع بعض فرق وتصوف .

١٦ ـ **مختصر تـاريـخ العـرب** : سيـد أمير عـلي عـرَّبَـهُ عفيف البعلبكي بيـروت ص (٥ ـ ١٠) (١١ ـ ١٧).

١٧ ـ **تـاريـخ الـعـرب** : فيـليب حـتي ـ ط ٣ سنـة ١٩٦١ ص (١١٧ ـ ١٥٣) و (١٥٣ ـ ١٨٩) جاهلية واسلام .

١٨ ـ **تـاريـخ اليعقـوبي** : ج ٢ بيـروت سنـة ١٩٦٠ ص (٧ ـ ٤٣) الانبيـاء : ص (٥ ـ ٦٨) الجاهلية ص (٢٥٤ ـ ٢٥٨).

١٩ ـ **الكنز المدفون** : الاسيوطي : الفصول : (٦ ـ ٢٤ ـ ٨٨ ـ ٩٩).

٢٠ ـ **الانـوار المحمديـة** : محمد بن حسن الكـواكبي جـزآن ـ مصر (١٣٢٢) هـ . ص (١٩ ـ ٥٨) و (١٧٥ ـ ١٨٥) و (١٥٠ ـ ٢٠١)

٢١ ـ **الامام علي** : جورج جرداق ـ دار الروائع ـ بيروت ـ خمسة اجـزاء حول سيـرة علي وتعاليمه الروحية .

٢٢ ـ **حضارة العرب** : (غستاف لابون ، Gustave Le Bon) ـ ص (٩٧ ـ ٩٩).

٢٣ ـ **الشهرستاني** : الملل والنحل ص (١٧٢ ـ ١٧٦) طبعة اولى ج اول .

٢٤ ـ **تاريخ الفلسفة الاسلامية** : هنري كوربان ط ١ سنة ١٩٦٤ باريس (الشيعة الاثنا عشرية) . (الامامية) ص (٥٣ ـ ١٠١) الاسماعيلية : ص (١١٨ ـ ١٤٩) المعتزلة ص (١٥٢ ـ ١٥٧) الاشعرية ص (١٦٢ ـ ١٧٦) الصوفية ص (٢٦٢ ـ ٢٧٨) ـ الاشراق ص (٢٨٤ ـ ٣٠١) باللغة الفرنسية .

٢٥ ـ **اسلام بلا مذاهب** : الدكتور مصطفى الشكعة ـ ار النهضة العربية ببيروت : طبعة اولى ص (٣٧ ـ ١٤٠) الاسلام ـ (١٤٧ ـ ١٦٨) الخوارج ـ ص (١٦٩ ـ ١٨٦) بعض الفرق ـ (١٩١ ـ ٢١٢) الشيعة الامامية ص (٢١٣ ـ ٢٢٤) الزيدية ـ ص (٢٢٥ ـ ٢٥٥) الاسماعلية ـ ص (٢٥٧ ـ ٣١٥) الدروز ص (٣١٧ ـ ٤١٠) العلويون ص (٤٢١ ـ ٤٣٥) المعتزلة ص (٤٥٩ ـ ٥٥١) مذاهب السنة الأربعة ص (٥٦٤ ـ ٥٧١). ط ٤ (١٩٧٢) .

٢٦ ـ **ثلاثة حكماء مسلمين** : سيد حسين نصر ـ دار النهار بيروت سنة ١٩٧١ ص (٢٣ ـ ٦٢) و (٧١ ـ ١٠٦) و (١١٣ ـ ١٥٤) يتناول الكتاب : السُنة والتصوف والإشراق .

٢٧ ـ **خمس رسائل اسماعلية** : تحقيق عارف تامر سوريا سنة ١٩٥٦ ص (٩ ـ ٨٧) و (٩٠ ـ ١٧٩) .

٢٨ ـ **عبقرية الفاطميين** : محمد حسن الاعظمى (١) سنة ١٩٦٠ دار الحياة بيروت ص (٥ ـ ٣٨) و (٤٧ ـ ٨١) و (٨٤ ـ ١٢٩) .

٢٩ ـ **تاريخ الدولة الفاطمية** : الدكتور حسن ابراهيم حسن ، تضمَّن شيعة ـ اسماعلية واخوان الصفا ط ٣ عام ١٩٦٤ ص (١٦٥ ـ ١٧٦) و (٣٢٦ ـ ٤١٧) طبعة اولى .

٣٠ ـ **المُنتَجب العاني** : الدكتور اسعد احمد علي ج ١ دار النعمان لبنان سنة ١٩٦٨ ـ (تعينت المراجع في النص حول العلويين) .

٣١ ـ **الفرس القديمة بالفرنسية** : (Ch. et Y. Palou) باريس عام ١٩٧٦ ص (٨٧ ـ ٩٢) مزدك .

٣٢ ـ **التاريخ العام للديانات ج ٤ (١٩٦٠) ص ٣١ ـ ٣٥) تأليف** : (Paul Mas-son Oursel) (المزدكية) مفهوم الايمان بين الانجيل والقرآن (١٩٨١) سلوم سركيس .

٣٣ ـ **المـزدكيـة** : ارثـر كـريستنسن تـرجمـة يحيى خشـاب سنـة ١٩٧٧ ص (٣٢٩ ـ ٣٣٣) .

٣٤ ـ **الحقائق الخفية في الشيعـة الفاطميـة والاثني عشرية** : محمد حسن الاعـظمي ص (١٠ ـ ٣٣) (٤٣ ـ ١٨٠) ثم الجـزء الثـاني ص (١٤ ـ ٤٦) و (٤٨ ـ ١١٤) طبعـة اولى .

٣٥ ـ **الاسلام للأب مبارك** : ص (٥ ـ ١٣٥) مع بعض الفرق ـ طبعة اولى .

٣٦ ـ **القـرامـطة** : ميكـاليـان دي خـويـه (de Goeje) تحقيق حسـني زينـة ص (١٣١ ـ ١٣٨) (١٤٢ ـ ١٥٧) الاسماعليون عبر التاريخ (١٩٦٩) سليم هشي .

٣٧ ـ **اخبار القرامطة** : ثابت بن سنان تحقيق سهيل زكار ـ بيروت ١٩٧١ .

٣٨ ـ **ايقاظ الحنفاء** : المقريزي ص (٢٥١ ـ ٢٦٥) علوية وقرامطة .

٣٩ ـ **الملل والنحـل** : الشهرستاني ج ١ ـ ص (٣٢٥ ـ ٣٢٧) تكفير القـرامـطة . البابكية : (١٩٦٦) حسين قاسم العزيز .

٤٠ ـ **قصـة الديـانات** : سليمـان مظهـر ص (٤٨٠ ـ ٥٨٣) تناول الاسـلام بمعظم مذاهبه .

٤١ ـ **كتاب الله** : للعقاد (١٩٦٤) ص (١٥٨ ـ ١٦٣) و (١٧٨ ـ ١٨٨) المـذاهب ـ وص (٢٠٤ ـ ٢١٠) التصوف .

٤٢ ـ **الحاكم بامر الله واسرار الدعوة الفاطمية** : محمـد عبدالله عنـان ط ٢ القاهـرة ص (٢٥٢ ـ ٣١٤) ـ (٣١٥ ـ ٣٢٦) .

٤٣ ـ **مـذهـب المـوحـدين الـدروز** : عبـدالله الـنجـار ص (١٣ ـ ١٢٧) و (١٣٢ ـ ١٩٩) .

٤٤ ـ **ثلاثة علماء من مشايخ بني معـروف** (١٩٥٧) : عارف ابـو شقرا واضـواء على مذهب التوحيد الدرزي سامي مكارم ، والرسائل التوحيدية المخطوطة وعمدة العارفين ، وشروح الامير السيد التنوخي ، ومؤلفات الشيخ عبد الغفار تقي الدين (مخطوطات) .

٤٥ ـ **في العودة للتجسد** : الدكتور رؤوف عبيد ، دار الفكر العـربي (١٩٧٦) مصر ص (١ ـ ٨٤) ـ (١٠٦ ـ ١٩٥) ـ (٢١١ ـ ٣٥٥) .

٤٦ ـ **ارثـر هيـل** : بحث في مضـابط « جمعيـة البحث الـروحي » بلنـدن ـ المجلد

(٣٨) . الله في عصر العلم (١٩٥٨) جون كلوفر مونس تعريب عبد المجيد سرحان .

المراجع الاجنبية :

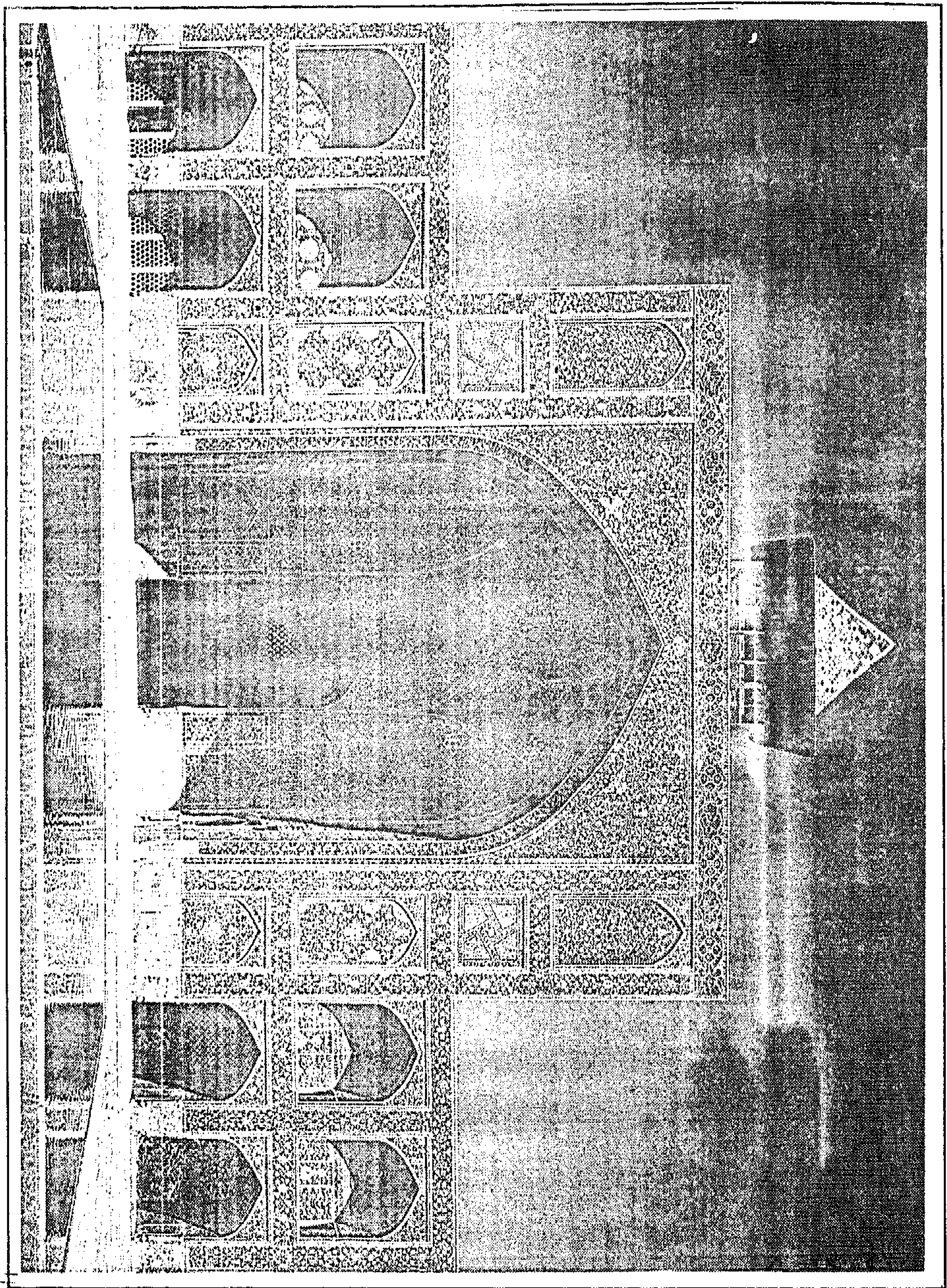
1 - Les grandes Rel. du Monde, J.A. Williams (1966) Tome IV p: (15 - 39) (63 - 75) (107 - 111).

2 - Hist. de la civilisation, Tome X, Will Durant; p (265 - 292) (298 - 313). (1962).

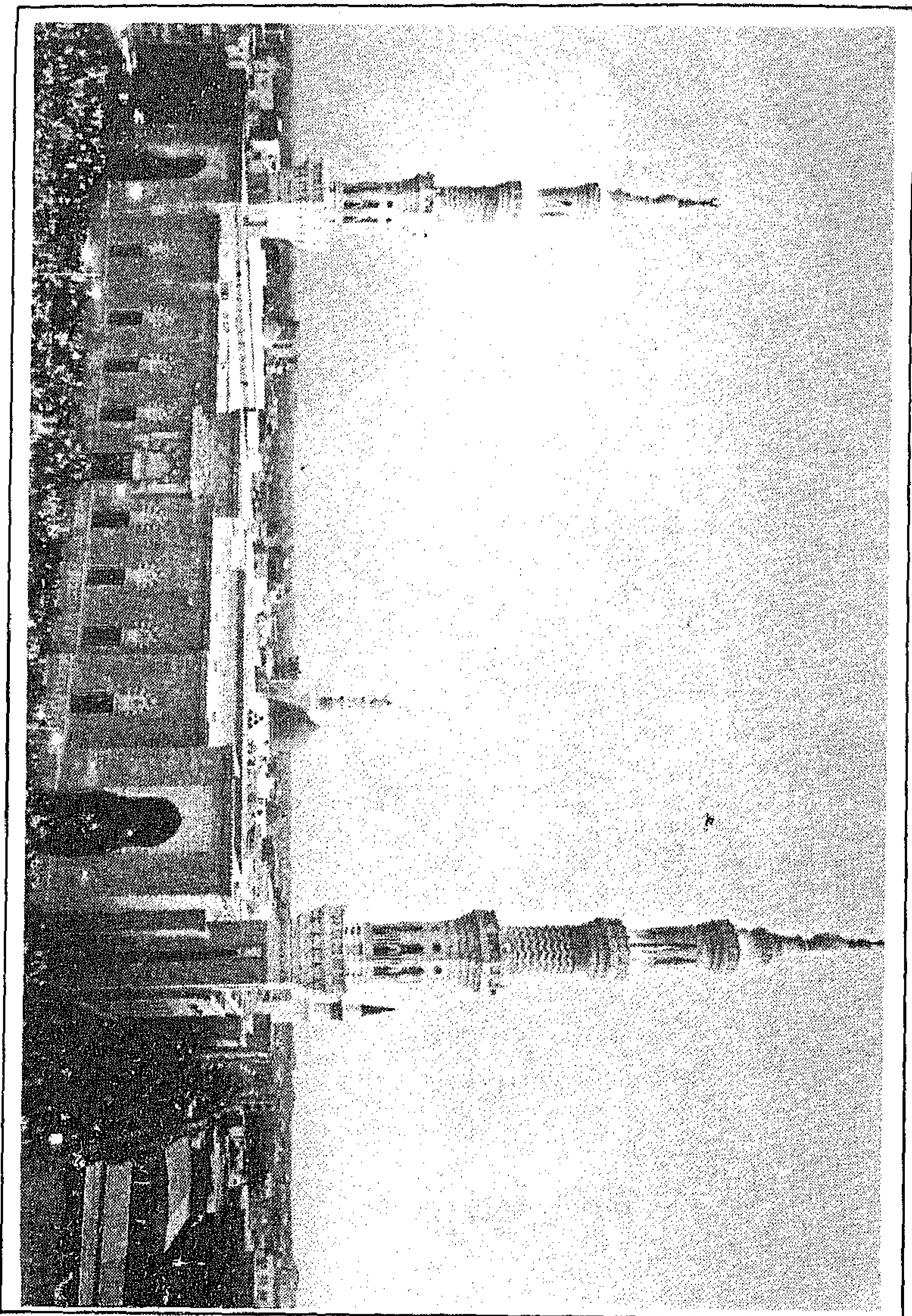
3 - Encycl. Générale (La rousse) (1968) p (543 - 558).

4 - La Métaphysique druze du Tawhid, S.A Bouchacra (1974). Thèse du Doctora

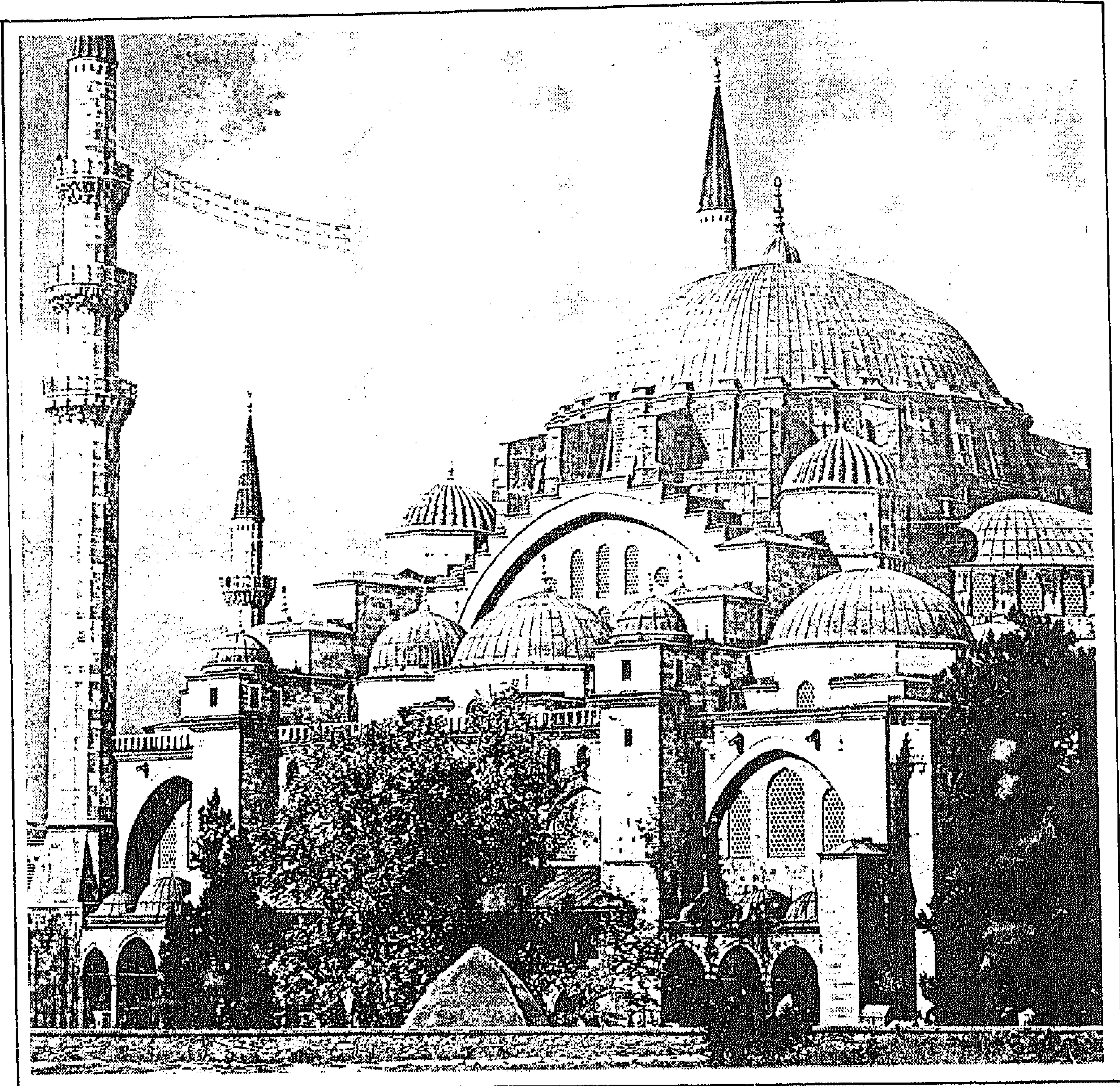
5 - Hist de la philosophie islamique: Henri Corbin (1964).



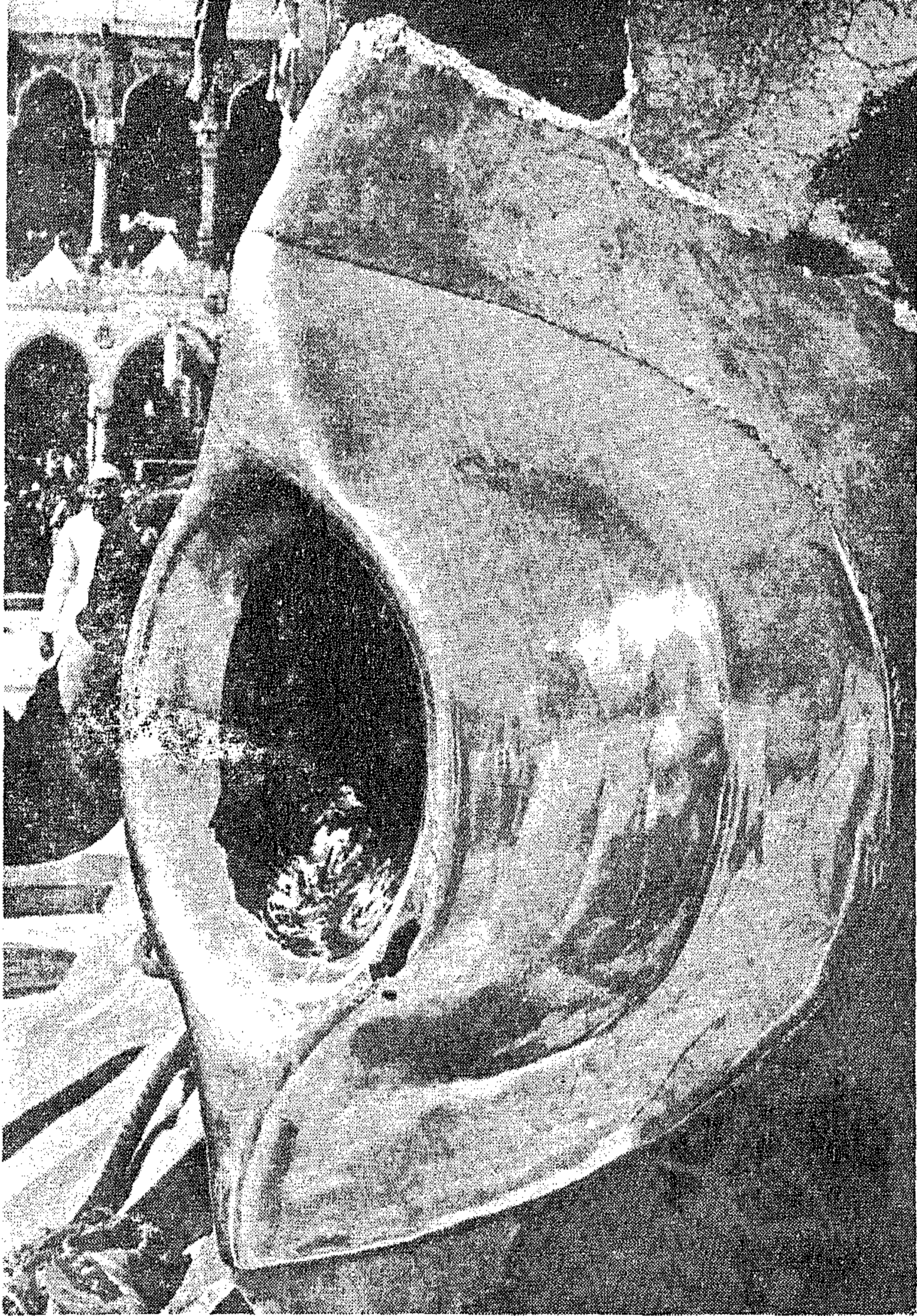
مسجد الشاة



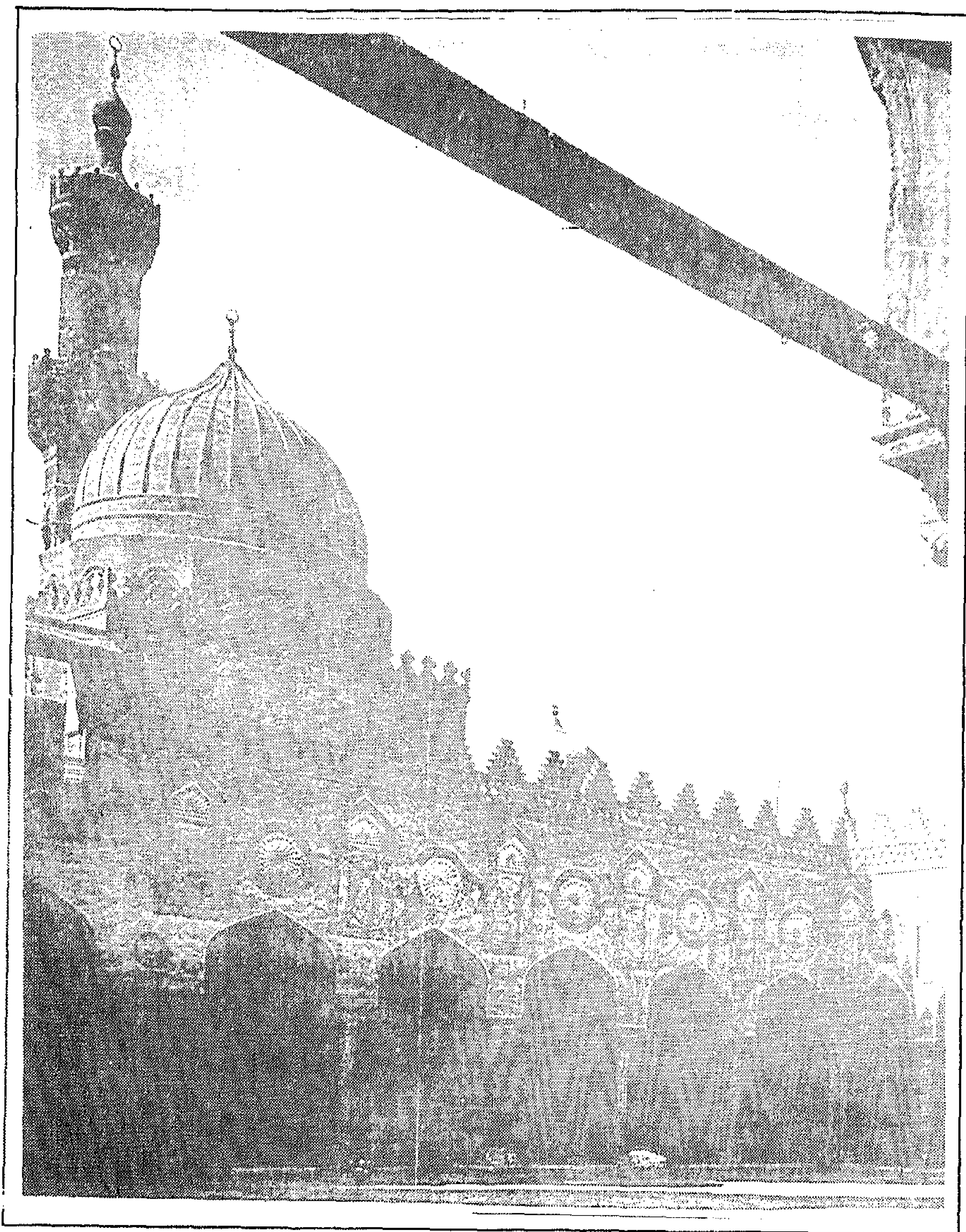
المسجد النبوي - المدينة



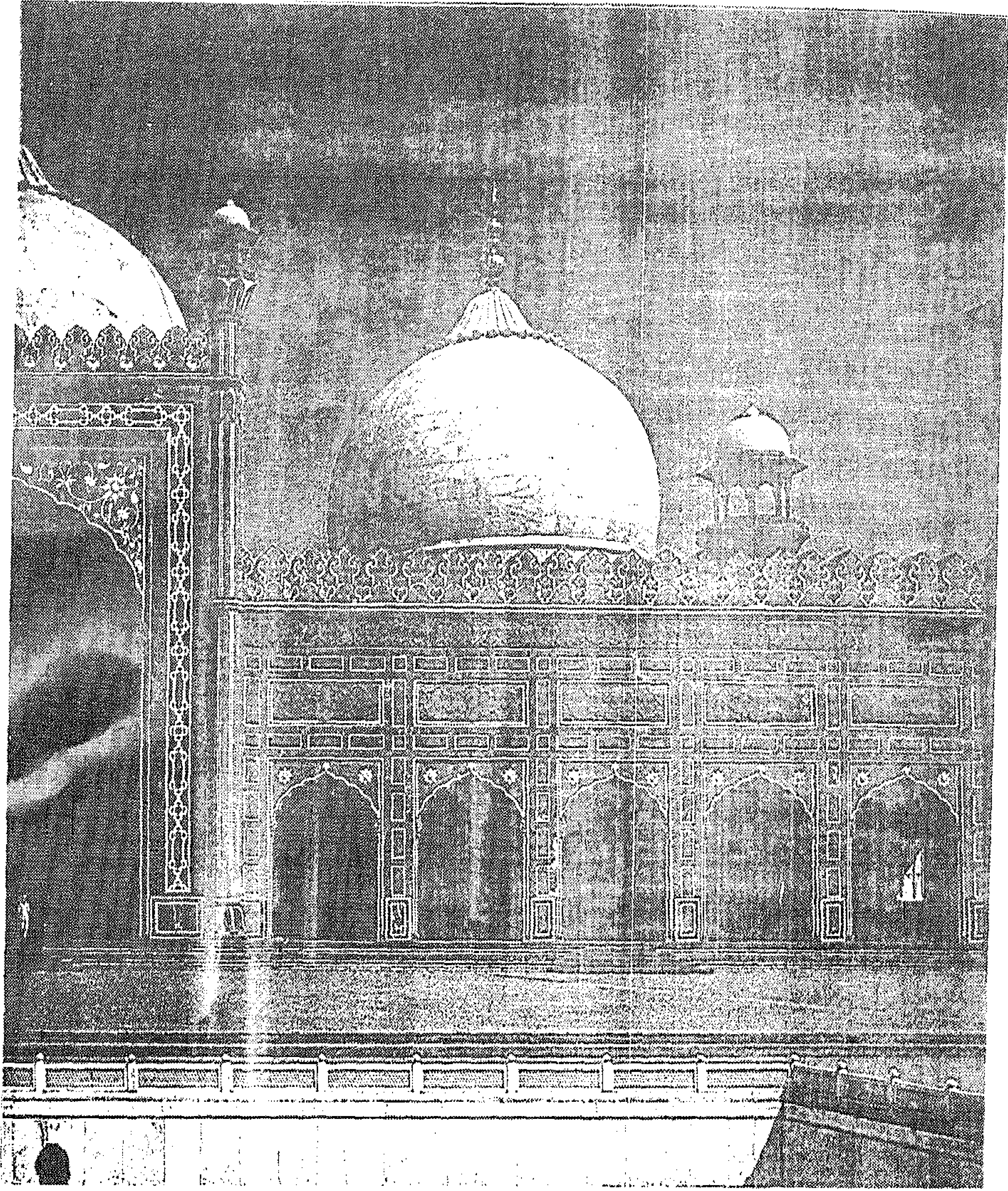
السليمانية ـ اسطانبول



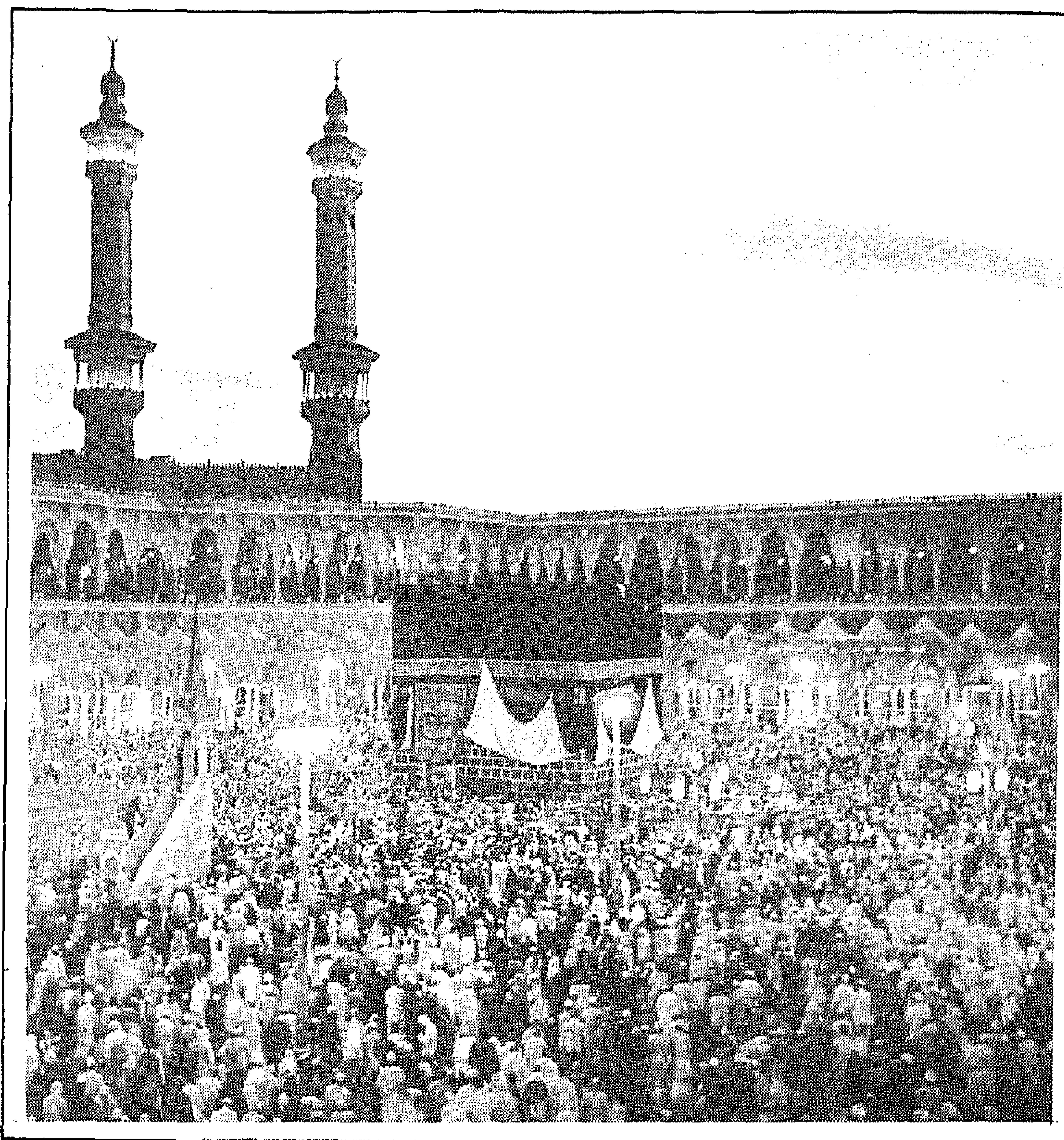
الحجر الأسود ـ الكعبة ـ مكة



الجامع الأزهر



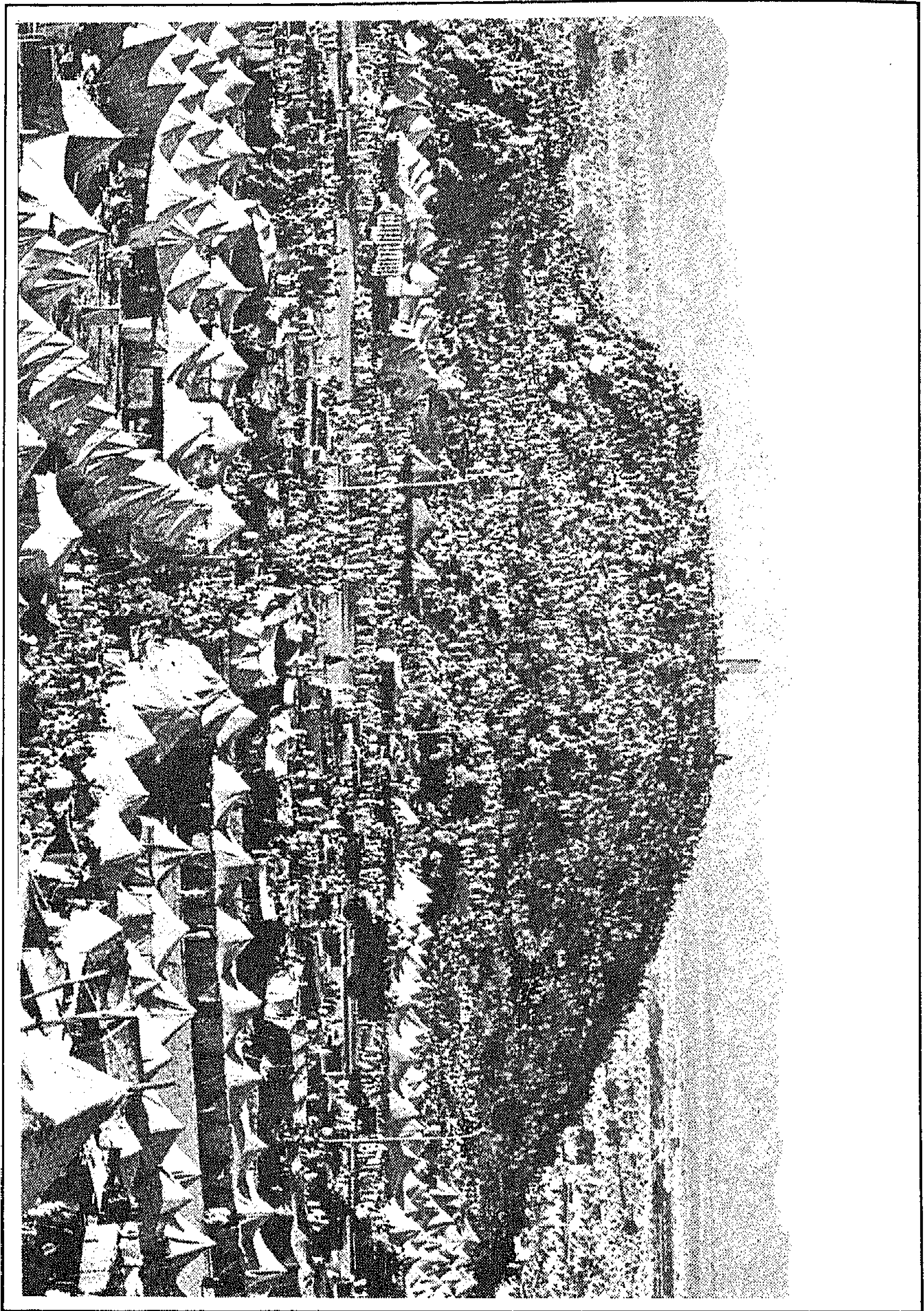
جامع لاهور



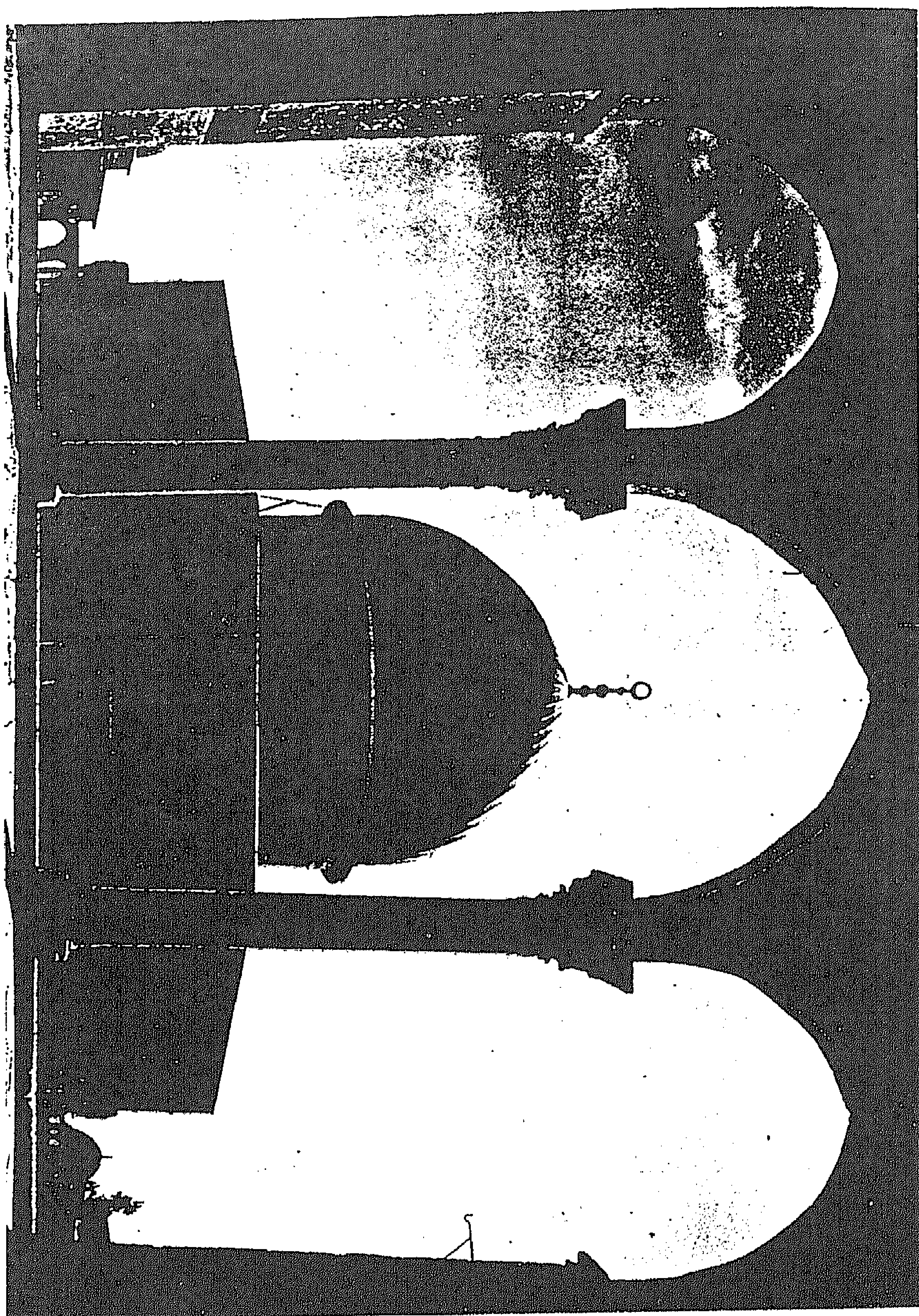
الكعبة في مكة



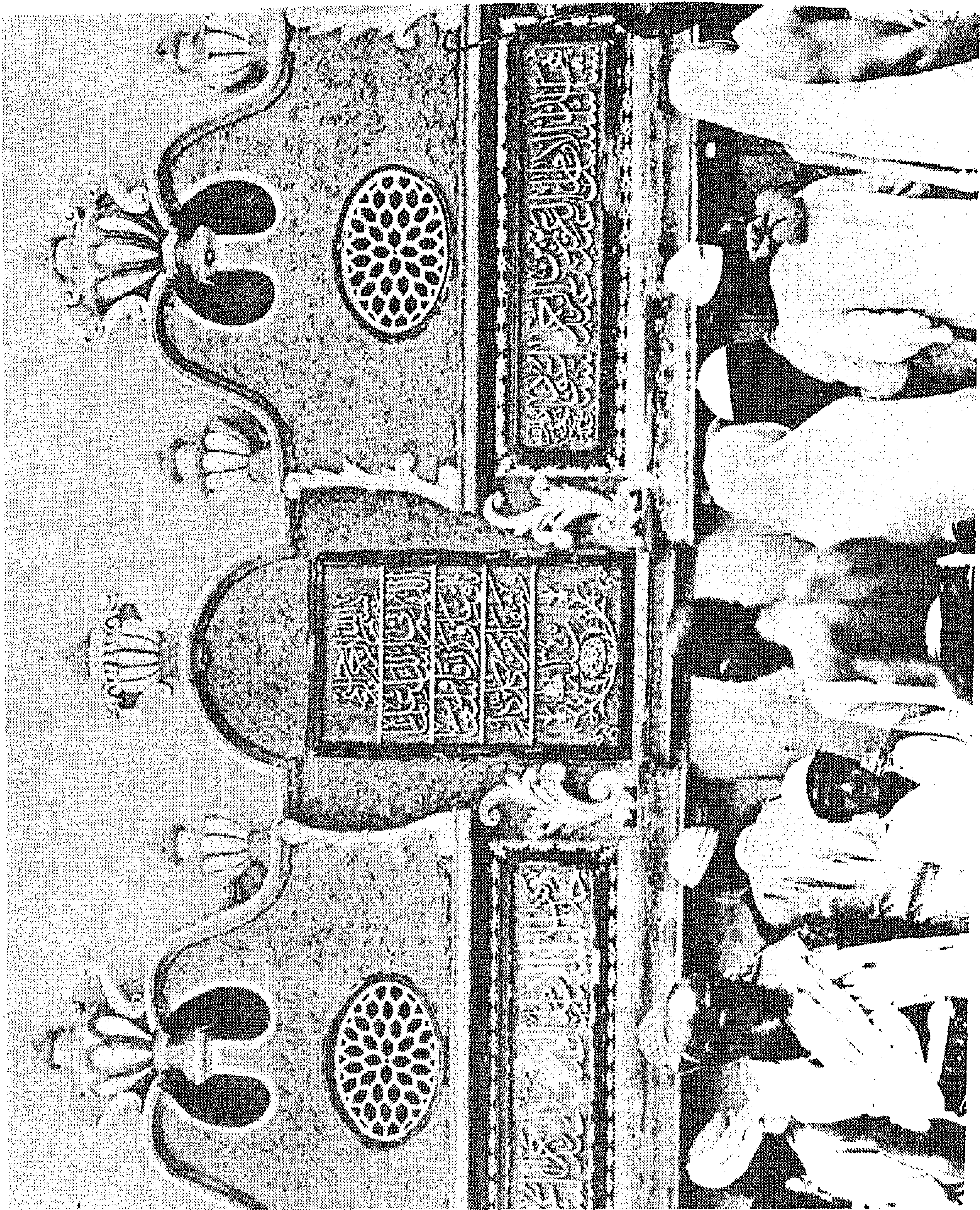
داخل المسجد النبوي



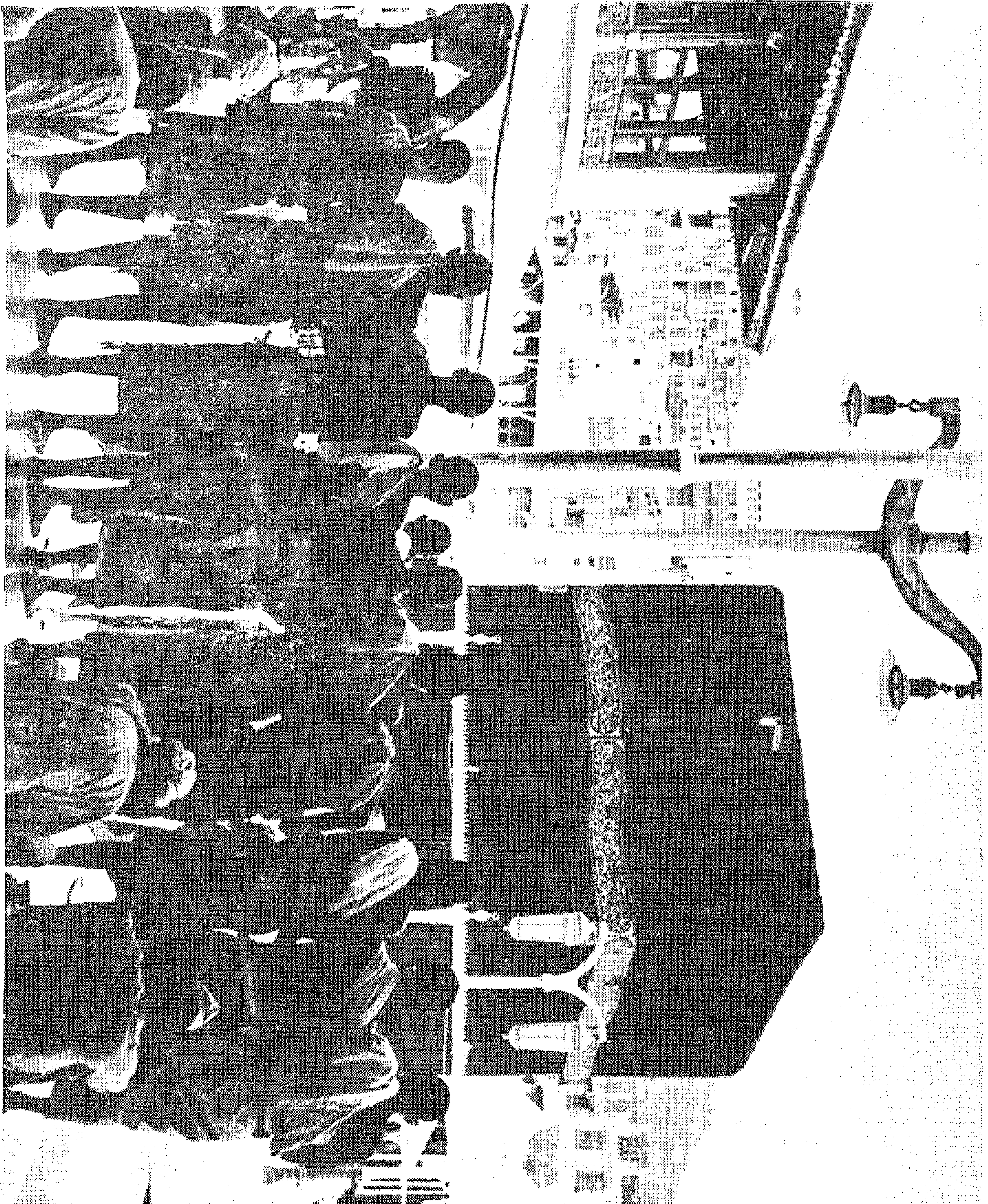
الحجاج في عرفات



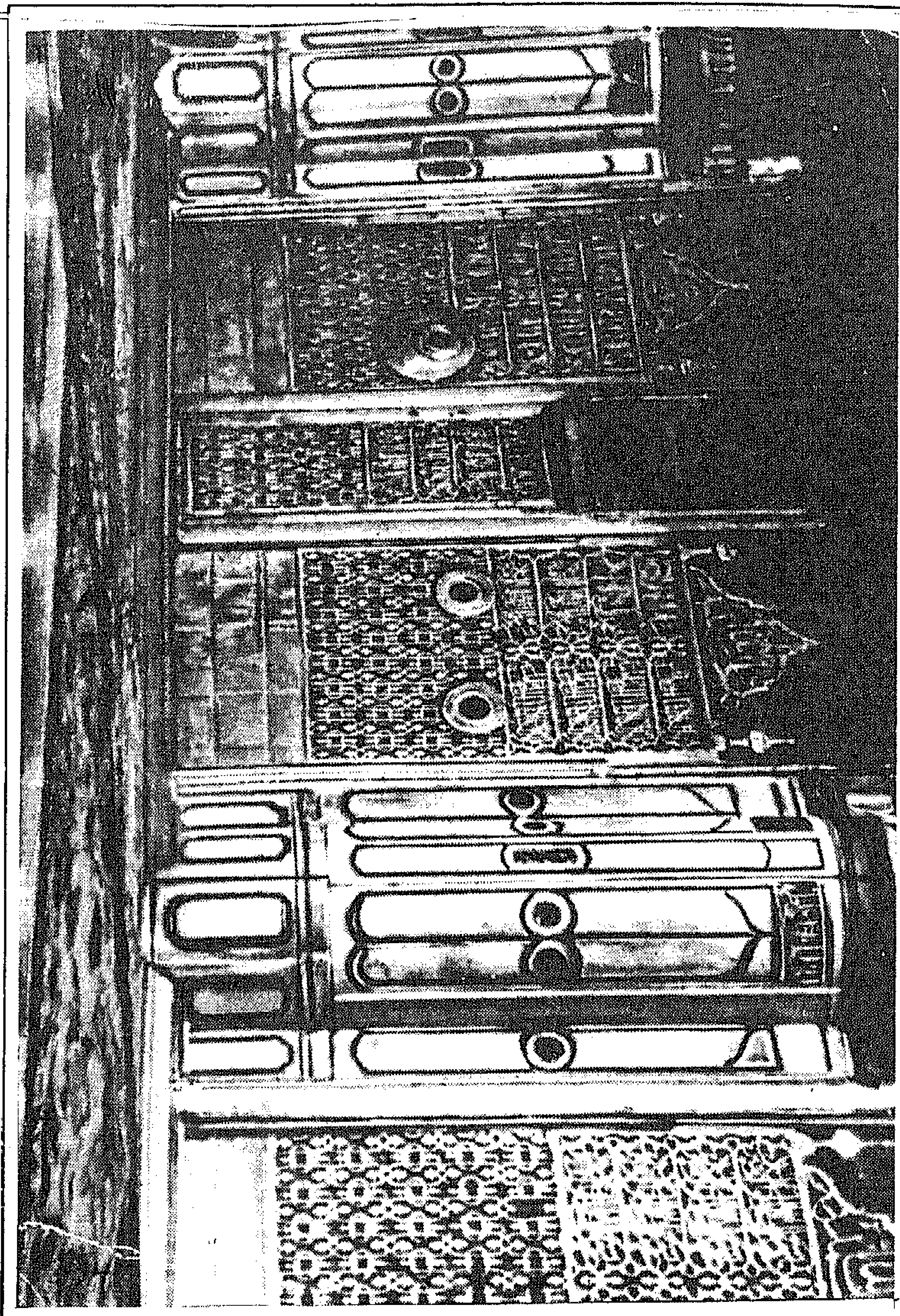
المسجد الأقصى



بئر زمزم



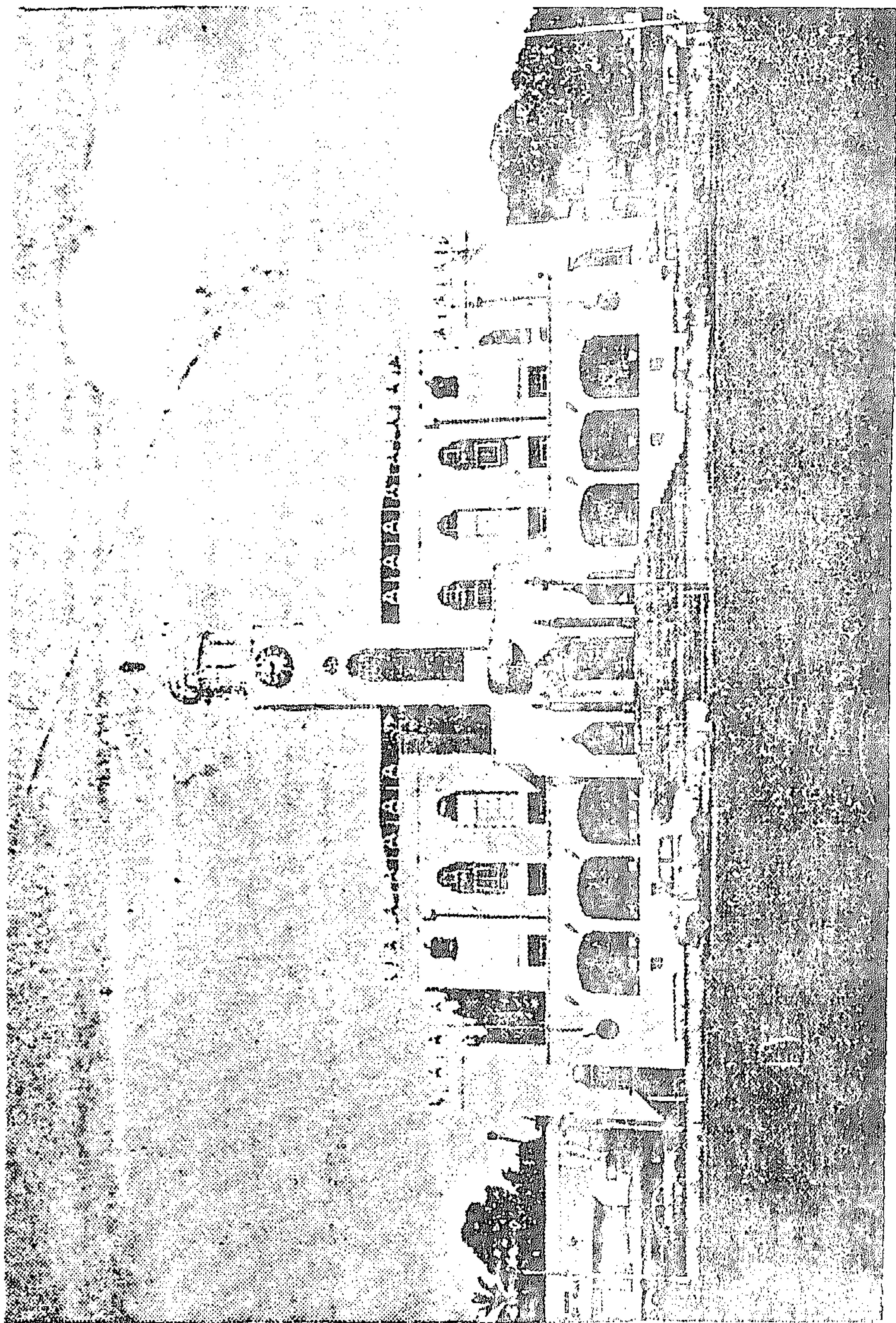
الكعبة

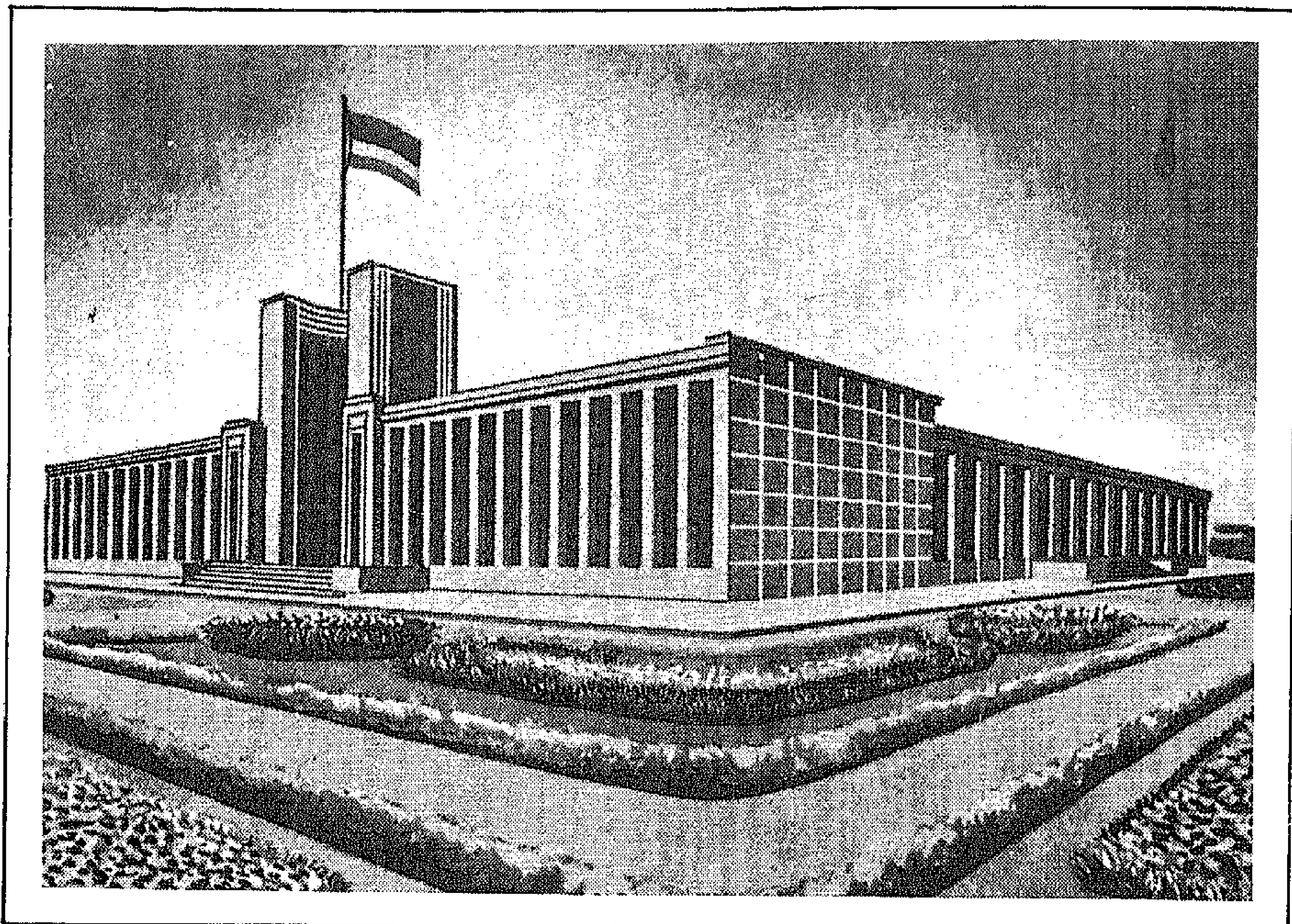


الواجهة قبر الرسول - بالمدينة -

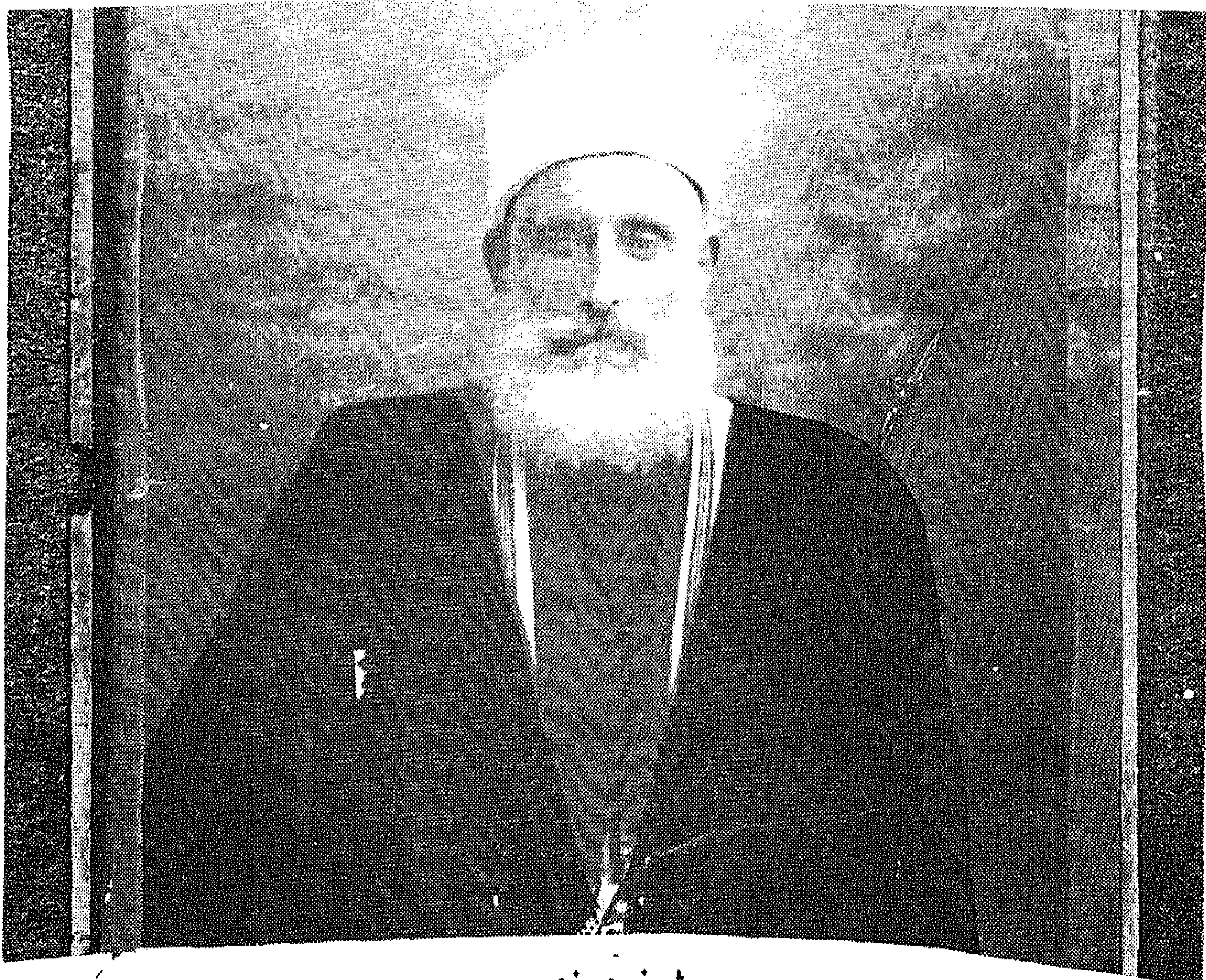


مقام إبراهيم





مركز مشيخة عقل الطائفة الدرزية في لبنان



شيخ درزي

الباب الثالث والعشرون

الفصل الأول

عبادة الشيطان

يقول مؤلفو (موسوعة كتاب العالم . World book Encyclopidia) في جزئه الخامس ص (١٤١) مايلي :

« إن عبادة الشيطان هي جزء من العبادات المختلفة التي كانت تؤمن بها شعوب اسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية . لعبت دوراً كبيراً في (التيبت) قبل ظهور اللاما وبعده . لها رقصات خاصة يمارسها اتباع العقيدة في اوقات معينة .

أصحاب هذا المعتقد يؤمنون بأن للشر قوى توازي قوى الخير . والشيطان هو هذه القوة الشريرة في العالم . بوسعه أن يؤذي أيَّ إنسان ، متى شاء » .

لذا فقد اتخذ منه اعوانه إلهاً يعبرونه كل القداسة للوقاية من أذيته .

وقيل أن بعض القبائل في سوريا الشمالية تحنّ إلى هذا المعتقد وتمارس طقوسه حتى اليوم . وهم قلائل جداً .

النوازع الروحية في افريقيا السوداء

التطلعات الأولى :

ما كان احد في الزمن الغابر ، ليحسب أن القبائل المختلفة الطباع والعادات ،

والمتنوعة المناخات في كـافة اطـراف افريقيـا السوداء ، يؤمنـون بأفكـار روحية ، تلجم من شراستهم ، دون الاقبـال عـلى الفتـك والسـطو والتخـريب . ولبثت نـظرة الشعـوب البيضـاء إلى سكان هذه القارة المنعزلة ، هي نفسها ، حتى تغلغل الرحـالة المسلمـون من شرقي القارة وشمالها ، ثم عقبهم الغزاة المستعمرون الغربيون وتوَّغلوا في غاباتها وصحرائها ، واكتشفـوا ما كان مجهولاً من مناطق منعزلة ، متعرفين إلى شعوبها ، دارسين نفسياتهم وطقوسهم .

يومذاك ادرك اولئك الرحالة المبشرون بالإسلام ، والغزاة الفرنجـة ومبشروهـم ، أن ألـق نجم الروحانيـة منتشر بل متغلغـل في نفوس افـراد تلك القبائـل ، في كل نـاحية من البلاد السوداء : شطاً وغاباً وجبلاً .

وحـين تطور العلم ، وتعمق البـاحثـون في شؤون الـروح ، وتم اكتشـاف المنـاطق المختلفــة من هــذه القــارة الآهلة ، حق للبحـاثـة : (م . دي لافــاس Maurice de Lafasse) الفرنسي الجنسية ، أن يعلن بيقـين : « لا توجـد أية مؤسسـة في افريقيـا السوداء ، اجتماعية كانت أم سياسية أم اقتصادية الا وجذورهـا متمكنة في تـربة العقيـدة الروحيـة . هذا الشعب الذي نفى العالم عنه صفة أي ايمان بـالروحـانيات ، تبـين في الحقيقة انـه من اكثر شعوب الأرض اغراقاً في النوازع الروحية » . عن : (**حضارات الافارقة السود**) .

ما كانت هـذه القبائل على اختلافهـا وتعدد معتقـداتها وتنـوعها ، لتعـرف التوحيـد الذي شهره للعالم القديم ، في القارة نفسها : (آتوم) المصري رغم تصوراتهم بوجود إلـه أكبر .

كان لهم هنالك ، عقائد ، منبعها على الغالب ، البيئة الجغرافيـة ، باختـلاف افكار القادة الموجهـين ، إذ لم تكن الطرق البحـرية والـبرية لتصـل إلى اعماق البـلاد ، وتمعن في الايغال بمجاهلها ، قبل الفتح الإسلامي الذي اشرف على حدود الاستواء ، ومـا تعداه ، وظفر في تأثيل شريعتـه سلماً ، بمعظم المناطق التي وصلت إليها اقدام البشرية ، الفاتحين ، في الشرق والجنوب الغربي ، من القارة نفسها .

معتقدات شتى القبائل :

وها أنا اتناول مُلمعاً إلى ابرز الطقوس والمعتقـدات التي مارستهـا وما تـزال ، تلـك الشعوب باستثناء من اعتنق منهم الإسلام أو المسيحية .

اعتمـدت في بحثي هذا ، بعض المـراجع الكـبرى ، التي عنيتُ وتعمَّقتْ حديثـاً في هذا الموضوع ، بحيث أمنَّتْ لي ازالة أي ريب .

كثير من قبائل هذه البلاد يؤمن فقط بالحيوية التي تحـرك الإنسان ، وتـدفعه لانجـاز اعماله اليومية : من هؤلاء قبيلة الـ (الفانغ Fang) في بلد الغابون . يسمـون هذه القـدرة الحية بـ (أفُور Evur) وهي أمـا صالحـة أو سيئة . وبـامكانها مغـادرة جسدهـا ، والاتحاد بسواها أو بأحدى الشجر .

لكن قبائل (بانتوس Bantous) فـأنهم يعتقدون بـأن الممارسـات الدينيـة تنشط هذه الحيوية ، وليست السعادة في الحياة إلا مظهراً لها، والتعاسة ركوداً فيهـا ، ومسبباً للمـرض والتعاسة والعناء الجسدي ، ثم الموت . هذه الحيوية تسميها قبائـل الـ (دوغون Dogon) بالـ (نياما Nyama) ، ومستقرها في الدم ، وهي الحياة بعينها . وزعـم بعضهـم انها تستقـر على عدوات السواقي ، وانها جرثومة خطرة ، وغير ظاهرة ، يحسن تجنُّبها .

القوى الروحية :

هنالك عدا القوى الحيوية في الإنسان ، قوى روحية صرفاً .

تقول السيدة الباحثة : (دِياتِرْلَنْ Diéterlin) : في المناطق الناشفة امثال : السنغال ومالي وغينيا ونيجيريا الشمالية ، كلها تعتبر للإنسان قوتين روحيتين : (نْسي ونْيا) .

فان (نسي) هي النفس التي تنطلق من الجسد أثناء الرقاد . والـ (نيـا) هي التوأم لأي جسد ، ذكراً أم أنثى .

بعد الوفاة فأن الجسد يفنى ، أما الـ (نيا) فيه ، فـأنها تستوطن المياه عند (الله) .
وإن الـ (ني) تنبعث من رب الأسرة ، بحيث يعود كلاهما مُتـجسِّـداً في مولود جديد .

أ ـ في قبائل الـ (دوغون Dogon) فان الجسد يحمل ذاتاً لا ماديـة ، يمكنها مغـادرته أثناء الغفاء ، هي عاقلة واعية وهي غير الـ (نيـاما Nyama) أعني الحيـوية في الإنسـان . بعد الوفاة تجاور هذه الذات اللاماديـة الله ، بعد سفـر طويـل ، يستغرق خمسـين عامـاً . تزور فيه الاماكن التي تعرفت عليها حية . والياما تغادر الجسد عن طريق شعره .

ب ـ فـي المناطق الافريقية الغربية الرطبة ، أي بين (غينيـا والكمرون) هنـاك لدى

قبائل الـ (فون Fon) يقول الباحث (موبويل Haupoil) كل كائن حي ، انساناً كانت أم حيواناً أم نباتاً ، تحتوي على أربع أنفس : الظل الواضح ، والظل الكثيف ، والنفس الخفية التي تعود لربها بعد الموت ، والروح الواقية التي تتجدد بعد مغادرتها الجسد ، بجسد آخر . لكن الظل الواضح لدى المرأة ، فانه لا يستيقظ الا بعد الزواج ، وفي مستطاع الساحر أن يحبس هذا الظل ، ليقتل صاحبه .

ج ـ ويتابع المرجع نفسه : في قبائل (أشنتة Achante) بالمناطق ذاتها ، اربعة عناصر روحية :

١ ـ الدم الوارد من الأم الذي يتجسد بعد الموت في امرأة .

٢ ـ وعنصر من الأب ، بعد الموت يعود لعنصره المذكر .

٣ ـ النفس الواردة من الله ، والعائدة بعد الوفاة إليه ، هي على سبعة انواع حسب أيام الأسبوع .

٤ ـ الطبع والشخصية ، في عرف هذه المجموعات البشرية ، لا يستقران إلا بعد المراهقة ، وقبلها لا يعتبر الولد من العالم لأنه عاجز عن اتيان الخير أو الشر ، وعن تمييزه لهما .

د ـ في الشعوب الأخرى من القارة في : (تشاد) مثلاً يزعم الناس أن العنصر اللامادي في الإنسان . ينطلق منه شطر الغرب . وفي الوقت نفسه يعود إلى قبره ، فيستقر في جرارٍ خاصة يُعدُّونها له .

هـ ـ شعوب (أُوبنغي Oubangui) في المناطق نفسها ، تؤمن بأن للنفس قوتين : احداهما حيوية قاسية وحساسة معاً ، والثانية معتدلة ، بلجم الأولى ، يحدث التوازن العام . وفي عُرف هؤلاء أن النفس امكانية مغادرة جسدها أثناء الرقاد ، لترقص مع نفوس غيرها ، وتتجمع مع نفوس من الجنس الآخر لها . ويغرقون في التمادي بمثل هذه الاحاسيس والضلالات .

في غينيا فأن قبائل الـ (كيكويو) يعتقدون بوجود نفسين للإنسان . لدى الوفاة ، احدى النفسين تنطلق لتجاور اسلافها الموتى ، والثانية هي جزء من الروح العائلية (النفس المشتركة) ، فأنها تتجسد في مولود جديد بالعائلة .

[illegible] بلاد الزمبير ([illegible]) يهيب [illegible] [illegible]
الأولى [illegible] شخص أُتدي عليه بأساءه ، والثانية [illegible] روح سلف [illegible]
هي الروح المستوحاة من ساحر ، اطلقها من ثقب في القبر [illegible]
[illegible] في يد هذا الساحر .

[illegible] افريقيا الجنوبية . يزعمون أن الإنسان مؤلف من [illegible]
[illegible] بعد الوفاة . خاصة رؤساء القبائل [illegible]
[illegible]

والموتى يصدر اهله لعادات قاسية [illegible] الانطفاء ثلاث [illegible]
[illegible]

ويحسن بنا ، فيما نحن نعني بمعتقدات [illegible] الروح في
عرف هذه الجماعات .

ح ـ في قبائل الـ (دوغون) يستمر بقاء الروح في المنزل الذي [illegible]
يقام الاحتفال الثاني للوفاة ، بعده تساق خارج البلدة برحلة طويلة ، تفقد فيها ذويها
اجمعين يعقب هذا السفر ، عودة الروح للجسد في أحد المواليد الحديثين بالعائلة
نفسها ، لاستمرارية بقائها ، أخيراً تنطلق شمالاً حيث الجنة : (منغا Manga) ،
وحيث البقاء السرمدي والنعيم الوارف .

في بلاد (تشاد) يحدث تجسد السلف في أحد احفاده . وفي (انغولا) يتخيل الشعب روح احد اسلافه تطوف البلدة صارخة ، ولاجئة إلى المنازل ، حيث تحدث فيها المرض ولا سبيل للشفاء إلا بعد تقديم الذبائح غير البشرية .

ط ـ لكن الميت في (روديسيا) لهُ حق اختيار تقمصه في أيٍ من الجنسين . وفي معظم البلاد تكرس ايام معينة لاقامة حفلات للموتى ، ضخمة ومتعدِّدة ، تسهيلاً للمرور إلى العالم الآخر ، الذي لم يُحدَّد ، بالدقة العلمية المرجوة . أما القربان والتضحيات فهي العامل الفاعل لوقاية الأسرة وتسكين سخطها ، واستمرار حيويتها . والقربان للسلف المتوفَّى من شأنه : شفاء المرضى ، والتوفيق في رحلات القنص ، وتخفيف نزوات الاحتيال والعراك

وفي شـواطىء غينيـا ، يضـع الاحيـاء حـول المتـوفَّى بعض التنـابك والحبـوب والمجوهرات . وقبل أن يفتح باب القبر تُقدم الذبائح لإلهة الأرض . وتقـوم حفـلات المآتم على الرقص المتنوع والصخب ثم على اقامة مآدب فاخرة للحضور .

ي - غـربي (الكامرون) يدفن الميت . وبعد أن تتناهشه ديدان الأرض ، تنزع عن هيكله الجمجمـة حيث لجأت إليهـا النفس ثم تطمـر هي نفسها في مـوضـع خـاص لـدى الأسرة .

وفي بعض النواحي من القارة ، تعتبر كل عـائلة لها حـارساً هـو المرشـد الديني مـع أرواح السلف . كما أنه في بعض البلدان تقـدم الضحايـا من الجنس البشري ، لدى وفـاة مليكهم ، زاعمـين أن هؤلاء الضحايـا سيصبحون في العـالم الآخـر خـدمـاً لـذلـك الملك المتوفَّى .

كذلك هو شأن الملوك الأسلاف ، وقادة الشعب المتوفين ، فتغـدو لهم صورة الإلهـة المنقـذة . وما أكـثر القبائـل المتناثـرة في القارة والمؤمنـة بأن الأسـلاف القدامى هـم خـالقو البشر ، ليس لآلهة السماء المقام الرفيع الذي يشغله ذلك السلف .

الحيوان السماوي :

شـطح الخيال بـأولئـك البشر ، حتى زعمـوا في للحيـوان قـدرات روحيـة تجعـل منـه حامياً للناس ، ويدعى بالحيوان السماوي : كالتمساح والسلحفاة والأفعى والنمر الخ . . . وكـان لكل أسرة حيـوان يعتبرونـه نسيباً لهم . محـظور عليهم أكل لحمـه ، وله عنصران : (ني ونيا) ، كالإنسان .

وفي قبـائل (شيلوك) تعـار (البقرة) تقـديراً متميـزاً ، حتى انها تعتـبر أُم الإنسـان والحيوان معاً . وفي قبائل (روديسيا) فأن رئيس القبيلة بعـد وفاتـه يعود ليتجسـد أسداً . وفي مناطق اخرى تقدس الأدوات الجامدة والنبات ، وخاصة البنـادورى ، زاعمين أن لهـا خاصة إلهيةً ، ولها عنصر حي وتجسدات من الدم ، تجعل المرأة لـدى امتصاصـه تحمل من الرجل لتأتي بالبنين . وأيقن شعب شواطىء غينيا بأن للشجر اجمع نفوساً كالبشر ، بعضها رمز الخصب والاقبال . وحين تقطع واحدة منها ، يتوجب تقديم الذبائح عنها .

العبادات المختلفة :

في قبائل افريقيا الشرقية الـ (پانتو) يحرصون على أول دودة ظهرت من جثة الملك المتوفَّى ، ويغذونها بالحليب زاعمين انها تتحول إلى افعوان أو إلى أسد ، وبهذا يحدث تقمص ملوكهم . وفي قبائل الـ (كونغو) يعتبر الشعب معادن النحاس والذهب ، خاصة بالإله ، وأن الذهب هو الأخ البكر للنحاس . وفي (غينيا) فأن بعض القبائل ينظرون إلى الذهب بعين الرهبة الفائقة إذ يتخيلونه ذا روح . ثم هنالك قبائل متعددة ، ترى فى الجماد حياة . وإن شعبَ الـ (كوتوكو) يرى في الحجارة المستديرة اداة عبادة ، ويوجبون على مليكهم لدى تنصيبه أن يجلس فترة من الزمن على بعضها .

وفي منطقة الـ (لوبي) فأن البشر يعبد الشجر والمياه والحجارة ، وخاصة (الغِياض) وثقوب الشجر الضخم وما تحويه من حشرات .

ومن يتقَّرأ افريقيا السوداء ، قبيلة قبيلة ، يجدْ مئات الادوات من جمادٍ وغير جماد ذات اعتبار روحي : إذا نضبت مياه نهر ما ، يحسب الشعب أن عليه واجب تقديم ضحية للنهر كي تعود تتدفق مياهه . والريح هو : إله يتكلم وكذلك هو : قوس قزح والضباب والغيوم ، كما هي الأفعى والضفدع وقبيلةُ . الـ (سارا) تعتبر الشمس والقمر والنجوم ذات خاصة إلهية ، فتقدم لها فائق التقديس ، وبعضهم يزعم بأن الشمس ومليكهم ، كلاهما من عنصر قدسي واحد . وأن القمر في كماله ونقصه ، دليل على أحداث ستطرأ على البلاد فيتهيبونه ويبتهلون إليه .

الفصل الثاني

مستقر الإله وعبادته في القارة السوداء

القوة العليا :

يلحظ الباحثون أن وراء كل معتقد بمادة أرضية أو فلكية ، قوة عليا هي الخالقة لهذا الكون . وهذا الإله الأعلى غالباً ما ينظر إليه بعيداً عنهم ، لا يتعاطى بشؤونهم . فالعبادة إذاً متوجبة للالهة الثانوية ، لانها هي بنفسها ، تتداخل في كل أمور الناس ، وهي المبعوثة إليهم ، للقيام بالمهام الآتية :

[illegible]) [illegible] الإله [illegible] (أما) ، وقد [illegible] في [illegible]

[illegible] مستقرة في كتلة [illegible] الشكل تتصدر كل منزل .

[illegible] الطريق [illegible] ، يرعى ويحرس [illegible] . [illegible]

[illegible] الأشرار

ب ـ هنالك قبائل الـ (تمبارا) فإن الهها (فارو) كان قد خلق نفسه بنفسه من [illegible] ، أنه إله المياه ، وقد دارت معركة بينه وبين اله الأرض (بامبا Bamba) [illegible] عليه ، ونظم [illegible] إنه كائن مائي ، نصفه [illegible] والنصف الآخر من نحاس . [illegible] إليه بشكل [illegible] امرأة بيضاء ، ذو اذنين [illegible] ، ويداه وذنبه من [illegible] الخيول . [illegible] المطر والغلال والبذور [illegible] العباد [illegible] تنسيق [illegible] وتنظيمه [illegible] الإله [illegible] بالعواصف [illegible] [illegible] في البلاد فيزمجر على غضب وسخطه . [illegible] يتخذ له [illegible] : غزال [illegible] أو امرأة جميلة . ومقره [illegible] في أعماق نهر (النيجر) . [illegible] لمطالب شعبه بواسطة السحرة .

ج ـ على امتداد الشاطىء [illegible] من غينيا لدى القبائل المجاورة ، للإله الأسمى [illegible] متنوعة منها : (نياما أو [illegible]) و ([illegible]) و (الورو) . هذا الإله في معتقدهم ازلي [illegible] خالق للكون ، وغير مهتم [illegible] خلقه ، مُسْتقرُّهُ عادة في شجرة ضخمة تدعى : (شجرة الاله) ، يرتع في السماء غير المنظورة ، موحياً للالهة الصغرى برعاية البشر . وقد اعتبرت قبائل الـ (توغو) أن ابتعاد الإله عن شعبه ، ناجم عن خطيئة كبرى ارتكبها هذا الشعب ، فغضب وأعتزل .

د ـ وفي بعض شعوب الكاميرون وجوارها ، فأن هذا الاله يسكن تحت الأرض بين [illegible] . وإن قبيلة الـ (بانن Banen) هنالك تُسميه : الموت . وهو ينذر البشر . [illegible] يتخيلونه [illegible] هبط الأرض [illegible] عنكبوت [illegible] الوصول إليه ، فهو ليس بحاجة [illegible] .

هـ ـ في [illegible] (Oulmeou [illegible]) يعتبرون الإله كامل القدرة ومتناهياً [illegible]

لذلك فلا مجال للتخوف منه والحذر من بطشه ، وقد تقدم له بعض فتات من الخبز ، وفضلات المائدة . لكنهم كانوا يرددون هذه العبارة في مناسبات عدة : (ان السماء ترانا) . وفي منطقة البحيرات الكبرى فاسم الإله عندهم : (مولونغو) وله القدرات الهائلة . كما أن له اربعة مستقرات ، واحد منها في اعالي جبال (غانيا). والشعب يكثر ترديده للعبارة التالية : « ليحرسْنا الله ليلاً » .

و ـ أما قبائل الـ (ميلوت) فهم يعبدون إلهاً مقره السماء ، وهو باعث الامطار . انه روح كلية لا شكل له ولا يمكن رؤيته . يتصل الشعب به بواسطة صغار الالهة ، ومعاونيه ، وإذا تمنع هؤلاء عن السماع لشكاوى الناس ، فيرجعون للاله مباشرة .

ز ـ وفي اقصى الجنوب من افريقيا نلحظ أن قبائل الـ (دامارا) تقر بوجود اله خلاق ، هو صياد كبير ماهر ، يسكن ما وراء النجوم ، حيث هم الموتى .

صغار الالهة :

مجمل القول : لكل قبيلة تقريباً آلهةٌ صغارٌ من : جماد أو حيوان أو اجرام ونبات تهيمن على معظمها قوة خارقة خالدة ، ذات اسماء متنوعة ، وصلاحيات مختلفة بعض الشيء .

على أن صغار الالهة كانت تحمل أو هي تحمل تبعات جساماً ازاء شعوبها . منها : الواقية من الأمراض والحارسة من السرقات ، والصائنة من التعديات والافتراءات . ومنها الباعثة التوقد في الذكاء والانجاب والخصب واليسر ، ومنها المبطلة لأعمال السحر الضارة ، والحارسة للسحر الحلال ، ولرعاية الأسرة ، واخماد الشرور والمنازعات العامة والخاصة . كما أن هنالك الإلهة الأرض أو الإلهة الأم . تخيل بعضهم انها زوجة اله السماء . لها عيد سنوي ، ومراسيم عبادة خاصة . كما أن بعضهم يؤمن باله حاذق وشرير معاً ، إسمهُ (أشُو لغبا Eshu Legba) هو في معتقدهم ينبوع الحياة ومصدر التعاسة . لعل هذا الإله هو الشيطان ، معبود جماعات كثر في العالم . معبده في صدر القرية ، يزدان بعضو التذكير مصنوعاً من الخشب .

وفي افريقيا الجنوبية يعنون بتقديس التناصة ، والبطل الظافر ، ويقدمون لهما الذبائح من الطرائد وبخاصة (الجمجمة) منها .

وفي مناطق مختلفة من القارة ، يؤمن بعضهم بما يسمى (جانس Genies أو عبقر) ولعله هو نفسه : الجن . قبائل (الدوغون) يتخيلونه ذاتاً سابحة ، ذات رأس فخم ، هي في تقدير الإنسان الأول ، تقطن الكهوف ، وتحاول الاتصال الجنسي بالنساء ، لتلقيحها .

بعض هذا الجن يظهر في الاحلام ، يكشف الأسرار للافراد ، وقد يتراءى للعيان بشكل سنديانة او حلقة مذهبة أو سوى ذلك .

وما أعمق تأثير هذا الجن على أرواح هؤلاء ، انه اله مصغر فعال ، قد يظهر بشكل جنية أو بشكل آخر . في منطقة (غسانا) وجوارها وفي قبائل : (السارا) فالجِّني يسمى (سو su) عايش الاله الخالق قبل الخلق ، وقد تعاونا على أحياء النبات وولادة البنين ، وانزال المطر ليعيشا معاً على الأرض أو في بعض الطبول . في تصور لاولئك الجماعات أن بعض هذا الجن هو أرواح شريرة تتجمع ليلاً لتلتهم النفوس ، وتسمع لها أصوات كمُواء الهِررة البرية . يمكنها أن تستقر في بطون البشر بحيث يتوجب التعزيم لها .

الممارسات الدينية والذبائح :

لقبائل القارة السوداء معابد متنوعة الاشكال الظاهرة والداخلية ، وهي تتجانس مع نوعية آلهتهم المتعددة ، فقبائل (الدوغون) مثلاً ، معابدُهُم بيوت مربعة ملونة بدهان مختلف ، فيها مظاهر للرمزية . وفي غيرها ، هي ابراج كبيرة ، غالباً ما تبنى على صخور ذات ثقوب يضعون فيها رموزاً . كل رب عائلة هو كاهن في منزله ، ويسمى (هوغون) . وكل ليلة تنساب الافعى فتلمس جسداً لسلف ليستعيد حيويته . لُعاب (الهوغون) باعث للرطوبة ومحظور أن يتصبب العرق من جسده .

ان الغاية من تقديم الذبائح هي : لتوزيع القوى الحية في الإنسان لأن معنى (ضحية أو ذبيحة) يفسرونه باعادة الحياة . وكل مرض أو كسر عضو في الجسم يعتبر فقداناً للحيوية ، ولاستعادتها يتوجب اراقة الدم من احدى الضحايا ، أو القليل من الذرة البيضاء المغلي ، يهرق على ذي العلاقة فيستفيد هو والسلف الميت معاً .

يقدم الشعب العادي ذبيحته ، أما خروفاً أو دجاجة ، أيْ شيئاً مادياً ذا قيمة

وحياة، والقناصون يضحون بالحيوانات المفترسة . وكثيراً ما يلتهم الحضور تلك الذبائح . وقد كانت تقدم الذبائح البشرية سابقاً ولكن نادراً ، لدى المفاجأة بنزول حدث هائل في المملكة . وتكثر تضحية المشوهين في مثل هذه الحالات الخطيرة وبعد موافقة ملك المقاطعة . بعدئذ يتلف الأنف والعين والأذن من الضحية ويحفر في صحن الدار لتوضع الجمجمة تحت ترابه .

لم يتخذ شعوب هذه القارة تقديم الاضاحي لدرء المخاطر والمرض والقحط فحسب ، أو ارضاءً للالهة . انما هنالك أسباب غيرها تحفزهم على استمرارية تقديم القربان والذبائح ، منها : امكانية استقبال النفوس الواردة إليهم بالتقمص .

الكهنوت :

لا يتخذ السودانيون وجوارهم ، شأن معظم سكان القارة ، كهنوتاً منظماً خاصاً بتقاليد العبادات . وشعوب الـ (ماندي Mandé) تقدم ذبائحها للسلف اواني للبذار والحصاد ، أثناء المرض . مركز الذبيحة عادة : القبر ، أو أي مقر مقدس .

لكن أهالي (غينيا) والشاطىء المجاور فلهم كهنتهم وطقوسهم الخاصة تجاه الآلهة الثانوية . ولكل اله منها كهنته ومعبده . والمعابد قد تكون في غاب ما أو في حقل ، وبخيمة متواضعة ، تحوي ما يحتاج إليه ذلك الإله ، حسب المهمة الموكولة اليه ، ولا يحرم الكهنوت من الهدايا ارضاء لهم ، املاً بتحقيق ما يصبون إليه ويرجونه من آلهتهم .

هنالك ، لكل إله يوم خاص بالعبادة والتقادير ، تقدم فيه القرابين والضحايا من مآكل ، وحيوان اليف ، أو مفترس ، والضحايا يهرق دمها باسم ذلك الإله ، ولحمها يبيت مشاعاً يتقاسمه الحاضرون .

وحين يتوجب على الإله أن يتكلم ، فأن الكاهن المختص يتحدث بلسانه ، ويوزع على اتباعه رمز ذلك الاله ، بصورة ايقونة . يحملها الافراد ليتباركوا ويُصانوا . .

وعلى الكاهن أن يتحلى بالعفة ، وعدم تعاطي الكحول ولا شربها ، ولا الشجار اطلاقاً . ويلحظ الباحثون أن شعوب افريقيا الوسطى ، والشرقية والجنوبية كلها تمارس طقوسها متشابهة في سذاجتها وضحلها ازاء كهنتها وآلهتها ، منها : اتخاذ المعابد في خيام ،

تتركز عليها بيضة نعامة . غير أن قبائل الـ (نيلوت) هذه تؤمن بأنبياء متعـددين وتعتبرهم ملهَمـين من الروح الالهي . هؤلاء قـاموا بـدور حـازم ورادع ، أزاء المبشرين من اسـلام وغربيين . مقرُّهم وسط القارة .

بينما نجد قبائل الـ (كيكوُيو Kikouyou)في شرقي البلاد وجنوبهـا ، تقدم الـذبائـح للاله الواحد وتسأله حجب الاوباء والقحط ، وتحمده على سِنيِّ الخصب والاقبال .

وقبـائل (الـدامـارا) يبتهلون للنـار والشمس لـدى العـزم عـلى القنص . وللميت عندهم قدرة معدية ناقلة ، فيقدمون له التنباك قرباناً ، ويحذرون من الدوس على مقبرته ، كيلا يتعرضوا للداء المميت .

الفصل الثالث

بدء الخلق واساطيره في القارة نفسها

كما كانت حال كل شعوب الأرض منذ شرع الإنسان يعي واقعه ويتـطلع إلى الكون وهوله واسراره . فأن الشعوب السوداء ، لهم التفكير نفسه ، والاغراق في الاساطير حـول بدء الخلق وبدء الإنسان . اعار هـذه المواضيـع الوقت الكـامل ، والـدراسة المستفيضـة ، الباحث (غِريول Griaule) وتلامذته . تناول قبائل (الدوغون والبمبارا) بنـوع خاص ، وانتهى من دراستها منذ زهاء عشرين عاماً ليقول :

أ ـ إن الإله (أمَّا) قد خلق النجوم ، بجمعه أُكراً من التراب الموحـل ، ورشقها في فسيح فضائه . وخلق الشمس والقمر على شكل احقاق بيضاء ، الأولى محاطة بخط لولبي من النحاس الأصفر والقمر محاط بخط لولبي كذلك ، لكن من النحاس الابيض .

يعتبر هؤلاء الشعوب أنهم من مواليد الشمس ، والعرق الأبيض من مواليد القمر . ومن طـين أوجـد (أمـا) الأرض ، واعتـبرهـا انثى مستـطيلة ، من أقصى الشـمال لاقصى الجنوب حاملة عُضوي الجنس ، فتكوَّن في البدء ابن آوى وعقبه جنّيات تدعى عنـدهم : (نومو) ؛ ذات اعين حمراء ، وجسد أخضر وأعضاء رِخْصـة ، رأى احد الجن أمه عاريـة فحاول ستر عريها بـاداة دقيقة ، فـوثب ابن آوى خلال المجمـوعات المـتراكمة مخضبـاً بدم حيض تلك الجنيـة ، هذه الآداة السـاترة . منـذ ذاك ، حملَتِ الأرض الدنس . ومـا تزال هذه الاسطورة تذكرنا بتفاحة حواء ، في الديانات الظاهرة الكبرى . امـا الاله الخـالق فقد

ابدع على الفور الإنسان من طين الأرض بعد تدنسها ، ثم خلق ثمانية شخصيات هي اسلاف قبائل (الدوغون) واصل فروعها الثمانية .

وبعد دارسة عميقة لقبائل الـ (بمبارا Bambara) قالت الباحثة : (دِياترلن Dieterln) :

ب ـ أول معتقد لهؤلاء القبائل بالـ (غُلان Glan) وهو : الفراغ الأقدم ، والحركة الكونية . أثناء الوثب الدائري المتعاكس تولدت قوة هي الـ (زو Zo) منها ولدت الروح : (إيو Yo) وفي دوران الروح حول الجهات الأربع تولدت عوالم اربعة ، وهكذا وجد الخَلق بالرعشات المتتابعة المسماة لدى تلك القبائل بالـ (ياراَيْكلي Yereyercli) .

وعادت الباحثة لتوضح : (بعد ذلك الخلق تناسقت العناصر الاثنان والعشرون ، وهي طباع الناس العامة وافكارهم ، بعد هبوط الـ (پاَمْبا Pumba) لتكون الأرض . عندها ارتفع قسم من الروح وهو الـ (فارو Faro) وشكَّل السماء ، ثم سقط ارضاً على صورة الماء ، ليبعث الحياة فيها . بعدئذ ظهرت الاعشاب والاسماك والحيوانات المائية كافة . وكان الإنسان في البدء مائياً فتولد منه الـ (بازو Bazo) وهم صائدو السمك الذين غدوا بشراً .

أما عنصر الـ (فارو Fero) هذا، فقد تغلّب على المادِّية في الحياة . وعلى الفوضى التي رافقتها في مطالع الخلق . نظم العالم ، وخلق الليل والنهار ، والفصول الأربعة ، والسماوات السبع والأراضي السبع ثم قسم البشر إلى اجناس وعين ما هو محظور عليهم ، ووهبهم ثماني حبّات مختلفة فيتغذون بأنواعها .

وأعتقدت قبائل الـ (لوبي Lobi) بأن السماء قبعة تحملها الأرض ، وانها مع العالم التحتيٍّ مسكونة بشعوب من الجنسين : الأسود والاحمر ولتلك الشعوب اساطير متعددة ومتنوعة حول بدء الخلق ، يضيق المجال لتعدادها مكتفين بهذه الخاتمة .

الباطنية :

لاحظ الاخصائيون أن بين هذه المعتقدات البدائية الساذجة ، يلتمع خيط ضياء لِنجم عرفاني باطني ، اعتمده بعض الناس المتفرقون بين الادغال والشواطىء . تنحصر عقيدتهم في هذه العبارات الموجزة :

اسم العقيـدة الـ (بُويتي Bouiti) واسم العـرفاني الأكـبر فيها : بيـرِنْـدا Birinda) وأبرز مكان انتشرت فيه الغابون .

آمن هؤلاء بـأن الخـالق اوجـد المرأة البيضـاء (دينْتْسُـونـا Dintsouna) . كـانت الشمس بيدها اليمنى والقمر في اليسرى ، ومن أحد نهديها تدفق فيض من الدم ومن النهد الآخر فيض من الحليب غذت بها معاً كواكب السماء . وللكون شكل زهـرة ذات العديـد من التـويجـات حيث تستقـر العـوالم . وبـتزاوج الشمس والقمـر يـولـد : ملك الالهـة ثم صغـارها ، ثم من حليب المـرأة البيضاء ودمهـا ، يولـد الإنسان ، بمشيئـة الاله الأعـلى . ويحدث الاخصاب بين البشر والعلاقات المختلفة بينهم وبين صغار الالهة . ومجمل الكـلام فأن اتباع (بيرندا) يؤمنون بالالغـاز والتأويـل ، ويعتبرون الالـه والإنسان يؤلفـان وحدة لا تتجزأ ، كما اكدوا أن الموت هو ينبوع الحياة .

الخِتان :

من مهمات رب العائلة او الكاهن المختص أن يُعدَّ الاطفال ،من بناتٍ وصِبْيـةٍ ، في عـزلة تستغـرق بضعة اسـابيع لِتَقبُّـلِ المعتقد الخـاص بهم ، ولكي يتسلم اليافعـون اسرار معتقدهم ، ويمارسون طقوسه عليهم . اولاً : بالختـان ذكوراً كـانوا أم انـاثاً وبعـده يُعتَبر اليافع ذاتاً متدينة .

وللختـان هذا في الجنسـين عمليـة خـاصـة ودقيقـة يعقبهـا اعـمال رقص وصيـام ، وذبائح . ومن لا يجـري له هـذا الختان يعتـبر انسانـاً ناقصـاً ، لا قيمة لـه اجتماعيـاً ، ولا يتسلم فرائض معتقد ذويه .

المجتمعات الدينية :

للديانة في نواحي القارة عامة ، المرتبة الأولى ، فلا تقوم حياة سياسيـة أو اقتصاديـة الا والعقيدة في صميمها . الشعب الأسود مأخوذ ، كما سبق ، بأفكاره الـروحية ، عـلى ما فيها من بدائيات وتنوعـات . وما الآلهـة الصغار الا رمـوزاً اتخذهـا الشعب ، حسب بيئته الجغرافية لتسنده وترفِّهَ عنه ، دونما تعمق في الروحانية الحق . ثم كان هنالك الإله الواحد الأكبر ، مُسِّيراً لهذه الالهة ، وأحياناً معيراً شيئاً من العناية لبعض القبائل ، كما يزعمـون .

ولم يـوغـل الجنس الأسـود في مـا وراء الـطبيعـة ، ومـا بعـد المـوت ، ولا عـرفـوا الميـزان (الأزوريسي) وكأنما هم تعرفوا إلى إله واحد كسيد أعلى ، قادر وبصير ، لا كَمُبـدعٍ يثيب ويعاقب .

عرفت هذا المجتمعات المطلق والتوحيد ، من خلال أساطير عابـرة ، دونما تعمق في هذا التوحيد . عذرهم انهم في بؤرة من الجهل والانعزال ، أعمتْ بصائرهم . أمـا يُقيَض لهم الانفتاح الفكري ، ليمنَعـوا في الايغال الـروحي ، قانعـين بما حـاكت مخيلات السلف القديم ، فلهم اساطير طائشة تبنّوها ، ومارسـوها وعـاشوهـا ، قبل أن يغـزوهـم التبشير ، وبعده ؟؟ أو لعلّنا لم نتفهَّمْ بعدُ عمق حقيقة معتقداتهم .

من هذه المجتمعات ما يحدث على شاطىء (غينيا) لقبائل الـ (يورُوبـا Yorouba) فأن مجتمعهم المسمى (أوْرو Oro) يمثل أرواح الموتى التي تبدي بالايحاءِ مُقـرراتها . يخـرج جماعتها ليلاً إلى الغابات وينفذون بسرية حكم الموت على من يختارون من الناس .

وفي ضـواحي بلاد (الكـاميرون) جمعيـات سرية ، يحـذرون من التحـدث عنهـا ، وحضـور اجتماعـاتهـا الالمن يخـوَّل لهم ذلـك ، والمخـالف جـزاؤه المـوت السريـع . لهـذه الجمعيات لغتها الخاصة ورقصاتها وعـاداتها . في عقيـدتهم أن العارف البـاطني ؛ « يشربُ الاتحاد » أعني يسرف في ايمانه بالتـوحيد ولا يجيـزون له التخـلي عنه إطـلاقاً إلى هنـا وصل الباحثون في عمق هذا التوحيد ونوعه .

تقدِّسُ هذه الجماعاتُ الصدقَ ، وتعنى بدفع ما يتـوجب عليها من ديـون ، وتعاقب السارقين والمزورين ، والسَحَرة . كما انها تحمي اصحاب الاملاك والمقتنيات ، وتُحـرِّم على النِسوة والأولاد معرفة اسرار عقيدتهم هذه . إلى متى إهمال هذا الباطن وعدم سبر غَوره ؟

العرَّافة والسحر :

في هذه المعتقدات المتنوعة التي لا يحـزمها كهنـوت خاص ، ولا معبـد واحد ، ولا طقوس مشتركة ، لا بد أن يشيع السحر في الشعوب وأن تنتشر العرافات بمـا لديهـا من فن واغراء وتعميه .

مـا كان الاقبـال على هـذه الخرافـات الا وقايـة من خطب يلم او وبـاء يداهم ، أو صدوفٌ من إله معين عن تلبية طلـبٍ خاص . والسحـر عندهم نـوعان : السحـر الحلال

وهو ما ينطلق به أولو الصلاح والحكمة ، وهو قائم على الخير ، وآخر هو : السحر الأسود ينبعث من الأرواح الشريرة للأذية والأفساد والقحط والشجار . وسبق التلميح إلى كليهما . إن هاتين الاداتين تمارسان بأشكال مختلفة بين منطقة ، واخرى ، لكن الغاية هي واحدة ، والاسئلة التي يطرحها سواد الشعب تختلف بإختلاف مقاصدهم . لكنها تدور كلها حول الأمور المادية التي تهم الإنسان وتؤمِّن له حياة أنعم وأضمن .

كل من العرافات والسحرة ، يلجأون في توسلاتهم ، لقضاء مطالب الفرد إلى الاله ، وغالباً ما يرجعون إلى الاله الأسمى . يتظاهرون احياناً بالاغماء والانخطاف ، ثم يتمتمون ، كأنما الإله يوحي إليهم . وقد تأتي هذه الأعمال بطرق خفية ، وبكلام باطني لا يبوح به الساحر أو العراف الا في عزلة تامة .

من هنا يتبين تأثير الباطنية في الشعوب السوداء ، رغم أنها لا تستند على حقائق واضحة تبناها قبلهم شعوب كُثر . انه لباطن ساذج ، لم يتيسر له الانفتاح على مغالق الكون واسراره ليلحق بقافلة الباطنية العالمية ، البعيدة الأغوار في روحانيتها . وقد مارست العرافات الكشف بالرمل في بلاد (فون Fon) معتبرة إله المستقبل (فا Fa) هو كاشف اسرار العباد ، وهو مرسل من الاله الأسمى لتنفيذ هذه الغاية في خلقه . ويشترط في كَهَنة هذا الالهة أن يكونوا في اخلاقهم وتصرفاتهم جدَّ مثاليين صادقين .

في افريقيا الشرقية نجد بعض الشعوب امثال الـ : (نيلوتْس Nilots)يزعمون أن صوت الإله الأعلى ينبعث من حفنة من الحب موضوعة في اناء مقفل . فصوت الحب المتحرك هو صوت ذلك الإله .

وقد تناول هذا الموضوع الباحث : (ر . ب . تريلِّس R. P. Trilles) فصرَّح بأن شعوب الـ (بيغمآس Pigméss) لهم طريقة مريعة جداً في السِحر : يُشَد الشخص المعني برباط مع احدى الجثث ، وجهاً لوجه ، ويُدفن في حفرة مدة ثلاثة أيام . بعدها من سَلِم له عقله ، ولم يُجنّ ، يعتبر سيد نفسه ، ويمكنه أن يسعد بزيارة احدى الأرواح .

والساحر في قبائل (البوشيمان) له سلطة ملحوظة ، إذ يمكنه أن يصيد الطريدة بسحره لا في بندقيته ، كما بمقدوره أن يتحول إلى حيوان ، وأن يصعد إلى السماء بحبل غير منظور ، بغية اسقاط المطر .

خلاصة ما يمكن التأكيد عليه حول ما يدور بشأن المعتقدات وطقوسها ، والرُّقى والسحر ، هو أن اولئك الشعوب تتخيل نفسها واحدة مع ما يحيط بها من حيوان ونبات . . تبدو لهم الطبيعة كلها بأحيائها وجمادها شبه متجانسة معهم ، لأنهم يزعمون أنهم سيتحَّولون بعد الموت إلى عناصر غير انسانية . كما هي الحال في عقيدة البرهمانيين القدامى . لذلك ، ليس على الإنسان أن يخاصم الطبيعة ، ولا أن يفرق بين جسد وروح ، وبين ما هو طبيعي حقاً وما هو خارق للطبيعة .

الديانة في عرفهم هي الرباط الوثيق بين الشعوب ، وبينها وبين الآلهة ، وهي تعني في مفهومهم : (بازيري Basiri) أي رابطة أو ديانة .

البيئة والمعتقدات :

حين تناول الاخصائيون دراسة معتقدات هذه القارة ، لفت انتباههم التأثير العميق لوضع كل بلاد ، ولمناخها وتصرفاتها . فالقبائل التي تعيش على القنص وجني الثمار ، يزداد تآخيها مع الطبيعة ، وتقدر الحيوان ، وتعبد الشمس والنجوم .

والرعاة في مناطقهم وغياضهم ، وفي الوسط والجنوب ، يعنون بأساطير الفصول والسماء والظواهر الفلكية . للبطل بينهم ، مقام شبه الهي . والموتى ليست غير جثث حية تتحد بآلهة الأرض وما تحتها . والمناطق السودانية وجوارها ، معتصمة جداً بدياناتها . يؤمنون بالأرض والسلف ، ولهم العناصر الدينية الأخرى نفسها . وأضاف إلى كل ذلك شعوب شواطىء غينيا والداهومي وشاطىء العاج ونيجيريا عبادة البطولة في الإنسان ، وعبادة الملوك المتوفَّين والالهة الثانوية بواسطة كهنتها .

هذه البذور المتنوعة في ديانات الافارقة السود اضاعت العلماء عن ايجاد كلمة صادقة تعبر عما يعتقدون بحق . قال (تيلر Taylor) انها ديانة : بعث الحياة : أي اعتبار الروح والنفس متغلغلة في الطبيعة بسائر اجزائها . وقال (ماكس مُولَّلر Max Müller) انها عبادة الطبيعة بعينها ، وأضاف (پارِّنْدر Parrinder) بل هي عبادة أصنام . وعبثاً حاول الباحثون أن يجدوا اثراً (للطوطم) أو (للمانا) في ديانات افريقيا السوداء . غير أن كثيراً من عناصر تلك الديانات موزع في معتقدات السود بشكل أو بآخر ، وبسطحية فائقة . انها ومضات روحية لا مصدر لها غير الطبيعة المادية . ويعزو بعضهم هذه الومضات

لبوارقَ في ديانات اليونان ومصر القديمتين ، وإلى سواها من الديانات .

الفصل الرابع

ملخص معتقدات افريقيا السوداء

وجد الرحالة والمبشرون والفاتحون في قلب القارة الافريقية وعلى امتداد ساحلها وأدغالها ، معتقدات عدة للآلهة وأشباهِ الآلهة ، من حيوان أو نبات وزحافات . وفي هذا الخضم الزاخر تراءى لهم ألقُ الروحانية متسرباً هنا وهناك . آمنوا بالحيوية التي تحرك الإنسان ، وتدفعه للعمل اليومي بنشاط ومثابرة . زعم بعضهم أن هذه الحيوية تستقر بالدم او بسواهُ . ومع هذا فهناك قوى روحية في الإنسان . اعتقدت بعض القبائل بأن الجسد يحمِل ذاتاً لا مادية وهي عاقلة واعية . بعد الوفاة تجاور هذه الذات اللامادية الله .

كان اعتقاد سكان افريقيا بأن كل مخلوق يحوي أربع انفس هي : الظل الواضح والظل الكثيف ، والنفس الخفية التي تعود لربها بعد الوفاة ، ثم الروح الواقية التي تتّحد بعد مغادرتها الجسد بجسد آخر . كما أن هنالك اربعة عناصر روحية . وفي بلاد الزمبيز ، ثلاثة اشكال من الأرواح : روح شخص اعتدي عليه باساءة ، وروح سلف أُهمل اعتباره ، وروحٌ مستوحاة من ساحر .

واعتبرت بعض القبائل أن الإنسان مؤلف من مادية لحمية ومن نفس ، ومن الواجب العناية بهما معاً .

ولهؤلاء عوائد شتى في مصير الموتى ودفنها . وهناك حيوان سماوي له قدرات هائلة . كما أن بعضهم يقدس الملكَ لِروحٍ سماوية فيه ، وقد يتقمص اسداً أو افعى . وبعضهم يرى في الجماد حياة ، على منوال البرهمانية . لكل اداة لديهم اعتبار روحي ، فالريح مثلاً هي إلهٌ يتكلم. واعتبر بعضهم القمرَين والنجوم تحمل خواصاً إلهية . ويزعم البعض أن الإله كان قد خلق نفسه وعلى الشعب أن يقدم له الذبائح .

على امتداد شواطيء غينيا اعتبروا الاله ازلياً ابدياً ، خالقاً للكون .

ومجمل القول فان لكل قبيلة الهاً اسمى خلّاقاً ، وآلهة صغرى قد تكون حيواناً أو جماداً أو نباتاً . هذه الالهة تتحمل تبعات شعوبها وتحمل على ترفيههم ووقايتهم .

لهذه القبائل ممارسات دينية ومعابد مختلفة الفخامة ، والذبائح عندهم من

الحيوانات الداجنة والضارية ، أما الذبـائح البشريـة فنادراً مـا تحدث . والكـاهن المختص بشؤون النـاس يكلم الله ويستـوحي منـه . وبعض القبـائـل يـزعم أن الخلق قـد حـدث برعشات متتابعة تسمى : (ياريْركلي Yereyercli) . وانتشرت في بلاد (الغابون) عقيدة عرفانية اسمها (بويتي Bouiti) فاعتبروا بدء الخلق امـرأة بيضاء بيمينهـا الشمس ، والقمر بيسارها . غذت من صدرها الكواكب . ومنهم من اعتبر الإله والإنسان وَحدةً لا تتجزأ . وقد عرف بعضهم التوحيد بشكل بدائي ولم يتعمقوا في مضامينه أو غمضت عن الباحثين المعاصرين معرفة عمق معتقداتهم .

حيث كـان قد فـات تلك الشعوب الكهنـوت الصحيح فقـد آمنوا بـالعرافـات وبالسحـر لحد أقصى . تبدو لهم الطبيعة بكاملها وحدة متجانسة : سماءً وأرضاً . عدا شـواذ بعضهم في ما يعود للالهة وللطقوس ولمصير الأنفس .

المجموع العام لديانات افريقيا السوداء ـ احصاء عام ١٩٧٠ والأرقام بالآلاف

	المسيحية	الإسلام	المذاهب المختلفة
افريقيا الغربية السودانية :	٠,٤٢٥	١١,٠٠٠	٠٥,٠٠٠
افريقيا الغربية وغينيا :	٣,٠٠٠	٢٦,٠٠٠	٣٥,٠٠٠
افريقيا الاستوائية :	٩,٦٠٠	٠٣,٠٠٠	٢٣,٠٠٠
السودان الشرقي الأسود :	٠,٧٠٠	٠,٥٠٠	٠٣,٦٠٠
افريقيا الشرقية :	٤,٥٠٠	٠٢,٣٠٠	١٨,٠٠٠
زمبيزيا :	٢,٦٠٠	٠١,٨٠٠	١٣,٠٠٠
افريقيا الجنوبية :	١٠,٠٠٠		٠٦,٠٠٠
المجموع :	٣٠,٨٢٠	٤٣,٥٠٠	١٠٣,٦٠٠

الملاحظة : تستثنى بلدان شاطىء المتوسط والأحمر ، والصومال بكامله .

المـرجـع : « ديـانـات افـريقيـا السـوداء ، بـاريس سنـة (١٩٧٠) م . « Hubert Deschamps هوْبْر ديشمْپ » .

مراجع ديانات افريقيا السوداء ومعتقداتها .

أ ـ المراجع العربية :

ب ـ المراجع الفرنسية :

1 - Les Religions de L'Afrique Noire: Hubert Des - champs: Paris (1970) P: (5 - 22) - (23 - 51) (53 – 79) - (81 - 104).

2 - Les Religions Païennes de L'Afrique de L'Ouest: S. C. Trélich - Paris (965) P: (15 - 38) (45 - 78).

3 - La Civilisation de Tchad: Payot, Y. P. Lebeuf,·P: (65 - 98).

4 – La vie mystique de L'Afrique Noire: Payot, Henri Nicod, P: (8 – 42) – (47 – 89) (95 – 117).

5 - La Civilisation chez Les Noirs de L'Afrique Occid. Franc. C. Monteil, P: (48 - 69).

6 - Les Mémoires de L'Afrique dès Origines à nos jours: Robert Laffont, P (24 - 67) (72 - 95) - direction de (Cornevin).

الباب السابع والعشرون

الفصل الأول

العقيدة الداهشية

الداهشية : تيار روحيّ حديث ، أنشأَهُ الدكتور داهش المولود في القدس عام (١٩٠٩) ـ صدر له مجموعة ضخمة قيمة من المؤلفات الروحية والزمنية منها : اسرار الآلهة ، قيثارة الآلهة ، جحيم الدكتور داهش ومذكرات يسوع الناصري .

غاية الفلسفة الداهشية : العودة إلى الإيمان الصحيح بالله ، وإلى تعاليم اديانه السماوية السليمة ، بغير تفرقة أو تمييز .

أسس الدكتور (داهش) مذهبه سنة (١٩٤٢) في بيروت ، مُعتمداً الجلسات الروحية ، وما خُص به من سيّالات روحية عالية ، تخوله أن يأتي بواسطتها الخوارق المذهلة ، على مرأى من رجال علم وأدب وفكر .

يقوم إيمان الداهشية على أن الذات الالهية هي التي تصطفي من تشاء لإحلال روحها فيه ، استناداً إلى الآية القرآنية : **﴿ رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاقي ﴾ من (هود : ١٧) فألقيتْ هذه الروح حسب إيمان الجماعة على الدكتور داهش حديثا .**

إن الجلسات الروحية (لداهش) لا تمت بأية صلة لا إلى السحر ، ولا إلى التنويم المغناطيسي ، ولا إلى الإيحاء . انها قوة روحية لا شيء يؤثر عليها أو يثنيها ، لأنها إلهية .

تقـول العقيدة : بـوسـع العلم أن يكتشف قـوانـين الـطبيعـة ، ولكن يتعـذر عليـه اختراقها . الله فقط هو الذي يخرقها لأنه واضعها . إنها روحه الفاعلة والكاسرة لكل قيـود المادة إطلاقاً .

ترى الداهشية أن تعاليمهـا حقيقةٌ صرفـاً ، أوحت بها الأرواح العلويـة في جلسات روحية خاصة ، مؤيدةً صحّتها بالمعجزات المتنوعة المتكرّرة . قوام هذه العقيدة :

١ ـ الإيمان بوحدة الأديان السماوية . ٢ ـ الإيمـان بالتقمص ، بشهـادة يسوع : (إذا اردتم أن تُقبلوا ، فهــا هــو ايليــا المَزمــع أن يــأتي) . (متى ١١ : ١٤) . ٣ ـ الإيمــان بــالسببيــة الروحية وبالجزاء العادل ، لأن السببية هي قانون كوني شامـل ، والإنسان يـدرك من تلك السببيـة ما يستوعبه عقله ووعيـه وحسب ، ٤ ـ الإيمان بـأن السَيّالات هي نسيـج الكون وقوام كائنـاته . تلك السيـالات غير منـظورة ، انها الجوهـر الروحي الخـالد الـذي يوجـد المـوجودات ، مهـما اختلفت مظاهـرها . امـا الفناء الـذي يطرأ عـلى الأشياء ، فهـو تبدّل محصور في مظهرها الحسيّ النِسبيّ ، ولا يمسّ جوهرها الحيّ . لذا فان الإنسان يفنى جسده وتبقى روحـه متنقلةً من وفاة إلى وفـاة ، في اقمصة متتـابعة حتى القيـامة ، لانها جـوهر لا يطاله الفناء .

يقـول الدكتـور داهش : « إن الانجيل والقـرآن كلاهمـا عـلى حق في رأيهـما بصلب المسيح ، لأن له اجساداً عدة كما هُوَ لي » . ويفصّل ذلك ببيان صريح .

والروح في عرف الـداهشية لا تخضـع لنواميس الأرض ، تخـترق كثيف الحواجـز ، ويدنو امامها كل قصيٍّ شاسع . تسيطر على الجاذبية ، فتطير في الهـواء وتَرهف فتمشي عـلى الماء . إنها روحٌ إلهيةٌ فائقة القدرات .

وبـالتأكيـد ، وبالمشـاهدات العيـانيّة لـدى الجلسات الـروحيـة فقـد جـاء الـدكتـور (داهش) من الخوارق ومن الظاهرات العجيبة ما لم يجيىءْ بمثله نبيٌّ من قبل .

تلك هي العقيـدة الداهشيـة ، برزت والعـالم في خضمّ من المنازعـات ، والعلم في صراع مع الروح والـروحانيـات . جاءت نفحـةَ امل بغـدٍ افضل ، تتـوحد فيـه الاديان ، وتضمحلّ الضغائن ، تمهيـداً لاتحادٍ سيـاسيّ عام ، يسـود في انظمتـه الحق ، ويأتلقُ وجـهُ الجمال ، لِمكافحة الطبيعة ، ومُصالحة الإنسان . . كل انسان .

اوجزنا هذا النص عن مؤلفات الدكتور (غازي براكس) .

الباب الرابع والعشرون

الفصل الأول

الفولكلور والطوفان

أ ـ الديانات وطقوسها الفولكلورية :

في مهاد الديانات البدائية ، لدى الإنسان ، كان لكل عمل فولكلورَهُ ، حتى الديانة نفسها كانت عملاً فولكلورياً أما عَبدَ الأوائلُ الجماجمَ ، وبعضهم العظام الكبرى ، في جسد الإنسان ، أما كانت تنقُّلاتهم في الغابات ورقصاتهم ، وتحركاتهم المسيَّرة روحياً أو مادياً : مستوحاةً أو بالفطرة ، كلها ، فولكلوراً ؟؟

حين اتّخذ الدين طابعاً مميزاً ، كان للشهيد حفلٌ دينيٌّ ، خاصةً في الديانات السماوية ، وكانت الأعياد المتتابعة والمتنوعة بين حضارة وأخرى ، كلها متّسمة بطابع فولكلوري واضح : من مصر الفرعونية إلى الهند إلى فارس ، فاليونان فالعبرية والمسيحية والإسلام . ألم يُعتبر الاغتسالُ بالمياه المقدّسة أو الطاهرة ، حسب نزعة كل دين ، عملاً دينياً فولكوريا ، قامت به طوائف مختلفة ؟؟ لقد اعتبر العالِم الاجتماعي (دُوركهيم Durkheim) ممارسة (المانا ، le mana) في العصور القديمة ، عملاً فولكلورياً ايضاً ، والمانا هذه كانت في زعم الأوائل ، قوة خفية فاعلة ، تحرك مشاعر الناس ، فيقيمون الحفلات والألعاب والأعياد الموسمية ، وغير الموسمية إرواءً لِظمأ احاسيسهم الشعورية واللاشعورية ، واستجابةً لتصوراتهم الماورائية .

وابتداءً من القرن السادس ، تقرّر في الديانة المسيحية ، اللباس الموحَّد للكهنوت . كما تثبّت الايمان بالخبز المقدس ، والماء والنار (القديس يوحنا) ، ثم اشارة الصليب ، وقرع الأجراس . أما اتخذت العمادة بالماء لتغذية النفوس ، وخبز سرّ القربان المقدس ، كغذاءٍ روحي ، وانجذابٍ لِوَحدة الجماعات ؟؟

هذا الموجز الصغير أوضح ما للدين من فاعلية في الفولكلور قديماً وحديثاً ، وانّنا نعيش هذه الطقوس ، وتُمارسها الديانات السماوية بشكل أو بآخر ، في العالم كله . والدليل نعرضه بلمحات خاطفة في العبرية حاملاً طابعاً دينياً معيناً . إن كل الطقوس المختلفة التي نشاهدها في كل قطر من العالم ، حول دفن الموتى ، وطرق الصلوات بينهم ، وانواع مدافنهم وتوابيتهم ، ومراسم الصلاة والحج والابتهالات والصلوات التي يقدمها للقوة الخلّاقة الذين آمنوا بها ، هي لتحقيق مآربهم أو لدفع شرٍ عنهم . وقد استعملوا لهذا الغرض ادوات مادية وصولاً إلى بلوغ ما يهدفون إليه . منها : حمل عود الصليب ، واسم الله والنبي ، والقونة ، ومختلف الصور والتماثيل . وهناك شجرة الميلاد ، وبابا نويل ، ورأس السنة الميلادية ، وما يتخللها من مظاهر وألاعيب وهدايا وشموع .

كان الرقص حتى في الكنائس المسيحية شائعاً لمناسبات مختلفة ، واستمر حتى القرن الخامس حيث حرَّم ذلك رؤساءُ الدين ، باعتبارهِ عادة وثنيةً تتنافى مع جوهر المعتقد . من هذا الرقص ، ما مارسته أخوية (جونياج Juniège) في الرقص حول النار اللاهبة ، تذكرةً بقطع رأس الشهيد (يوحنا المعمدان) ، وقدّاس نصف الليل .

ورافق البشر منذ وعيهم أول العادات ، وما لبث بعضها قائماً على قليل أو كثير من النشاط والإيمان . منها : عادة قرع الأجراس وضرب الصنوج يوم كسوف الشمس أو القمر . وعادة تَصوُّر يوم نحس وآخر سعد من الأسبوع ، واقامة الحفلات الصاخبة والصلوات وتزيين الطرق والمنازل والمعابد وانارتها في اعياد كل طائفة ، بكل مكان من غير استثناء .

تـوارث العباد هذه الطقوس خَلَفاً عن سلف ، وحضارة عن حضارة ، منذ فجر التاريخ ، وتفتّحت مداركُ الإنسان وتطلعاته البعيدة عن منزله ونفسه . كانت كل حضارة زاخرة بالاعياد والاحتفالات المدنية والدينية . فمصر اقامت الرموز والمسلات للإلهة

الشمس ، وفارس للنار المقدسة ، والأولمب اليوناني كان غاصاً بالمهرجانات المختلفة ، وكان عيد مولد الشمس المهزومة عند اتباع (ميتراً) الفارسي ، ثم كانت اعياد الديانات السماوية المُنزلة وهي مشبعة بالفولكلور ، منها ما يتمثل بشجرة أو بغصن ناضر ، فيعرض مدلاً على الأمل بالإخصاب والإقبال ، وهو شهر الزواج الروحي المقدس ، كما هو للنبات هو للبشر ، كذلك هو شهر « المريمية » لدى المسيحيين .

وعيد العنصرة ، تسميه الفرنجة : فصح الورود ، فتزين الكنائس وتشعل النار ، وتطلق الحمائم رمزاً للروح القدس ،وبهذا الشهر ، الأحد يوم الثالوث الأقدس . كان يظن انه يوم الأعاجيب ، منذراً بطوفان جديد ، لمدة اربعين يوماً ، للخاطئين المُصرِّين على تكرار الخطايا ، أما من طابت سريرتهُ وصفت نفسه ، فانه إذا نهض باكراً لدى الشروق ، تتراءى له ثلاث شموس في آن واحد .

لِفرط ما كان يدور من اعمال فلكلورية في بهو الكنيسة المسيحية حول (نار) القديس يوحنَّا المعمدان وبتكرار هذه المظاهر بأشكال متعددة ، ذكراً للقديس الشهيد ، وتبريكاً به . ألقى القديس (غسطين) حرما جازما على كل من يمارس تلك الأعمال ، لأن الكنيسة المسيحية ترفضها . وفي آيار بالذات كانت بعض البلدان في القرون الوسطى تنهض آنساتها باكراً وتجمع الاعشاب وما حملته من ندى الربيع ، لتلقي به في مجامر مجهزة لهذا العمل ، بهدف مباركة النار للاعشاب لتقبل ويفيضُ إنتاجها .

ونلحظ أن معظم الأعياد لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالمياه والنيران ، وأن يكن العمل متوارثاً من مصر الفرعونية مثلاً ، وتعشُّقها للنيل ، ومن الهند وتقديس الهندوس للغانج ، ومن فارس وتقديس طوائفها للنار . فتلك الصلة واحياؤُها بالفلولكلور ، يشير إلى قيمة هذين العنصرين المادية ثم الروحية ، فالدِفء والطهي وصهر المعادن مرتكزٌ على النار ، ورَيِّ التُربة والشرب . والنقل المائي قوامه الماء . ولم تكن سابقاً الطاقات المحركة غير الطواحين .

في أول آب كانت تقام حفلات اللعب بالسلاح الأبيض ، منها السيوف وهي عادة قديمة ، قال بعضهم انها تعود إلى يوم كان الأقدمون يرقصون فيه على موتاهم . حمل اسم هذا الشهر الامبراطور (اوغسطس قيصر) لقداسته . وفي هذا الشهر تقام الحفلات

معتبرين أن قطع آخر سنبلة قمح ، يتجدد بإخصاب إذا اقيم له احتفال ديني . وفي منتصف هذا الشهر عيد انتقال العذراء ، هو كذلك قديم ، مَردُّه للقرن السادس للميلاد .

وفي آب كان الأقدمون المؤمنون بوجود أرواح السلف حائمةً حول منازلهم ، يقيمون الاحتفالات والولائم بشهيّ الطعام ، آملين منها إكفاء روح السلف وارضاءها ، عن واجب بنوي مقدّس أو عن خوف من أذيَّتها . بهذا الشهر كذلك كان شعب (السلت) . وبعده (الغوليون) يقيمون عيداً يسمى : (عيد الخيول) ويعنون به عيد الحيوانات الأليفة ، تكريماً لها . كما تكرِّمها وتحافظ عليها جمعيات : الرفق بالحيوان . بهذا العيد كان السلف يقدم ضحية مقدسة ، للقدرة الخارقة ، هي الحصان ، اغراءً للإله ليُحسن رعاية وحفظ جنسه اجمع . وقد استُبدلتْ الضحية بتقديم عظامٍ منها حَرْقاً . وهل ذلك عن شفقة أو بعامل اقتصادي ؟؟ وفي الرابع من كانون الأول يقام عيد طرب ، وفرح اجتماعياً ، هو عيد البربارة ، نسبة للقديسة حاملة الاسم . في هذا العيد يرتدي الفتيان والفتيات أَلبسة وأَقنعةً بشكل حيوان وغير حيوان ويطوفون على المنازل هازجين متسوِّلين طيلة الليل .

في العبرية يوم السبت يحمل اسمى أنواع القداسة ، فلا يسمح للإسرائيليين بمعطاة أي عمل ، ولا بأكل وممارسة ما يشاء طيلة اليوم . كما أصبح **يوما** الأحد والجمعة لدى الديانات المسيحية والمحمدية متميزين مدنياً ودينياً عن سواهما في أيام الأسبوع .

وأما الأعياد في المعتقد المسيحي وهي متعددة ، وموزعة على كل أشهر العام ، فإنها حسب دراسات المحققين **يعود** معظمها إلى تقاليد الديانات السابقة لها ، كالديونيسية **والإيزايسيَّة والرومانية والثالوث والطوفان . كثير من هذه الأعياد تقام في الوقت الذي كانت** تقام فيه سابقاً ، وفي ذلك حكمة من المبشرين ، لمراعاة مشاعر العامة في كل حضارة .

نذكر بالمناسبة : ليلة الفصح في روما ، واشعال النار فيها ليلة عيد الصليب ، ثم تناول البيض واللعب به ، وهو عادة البيضة (أومنسي) حيث كانت الحفلات والصراعات وأحياناً الضحايا لمن تكسر قشرة بيضته بمحضر من الجُموع الغفيرة . يناسب هذا العيد يوم الفصح المجيد بالذات . من هنا ما برح ابناؤنا يتهافتون للعب في مقارعة البيوض .

أن يـوم أول نيسان وكـذبته المحللة اجتـماعياً، هـو عيـد قـديم لأنـه كـان أول السنـة لـدى الغول والرومان وهو شهـر الحراثـة والأعمال النـاشطة في الحقـول . وهناك عـادة حارسهـا الغوليون والرومان في (٢٥) نيسان ، أسمها الأجنبي روغاثيون يطوف الكهنة في الغابات متوسلين للإله أن يسوق البركة والإقبال .

ويوم أول أيار ، الذي نعتبره اليوم عيد العمال العالمي ، لمناسبة اجتماعية خـاصة ، هو عيد مقدس سابقاً ، وغالباً في شمال أوربا ، إنه عيـد زواج روح النبات ، وهـو المبشر بحلول الصيف ودفئه ، وغلاله . تقدم فيـه الحلوى وتقام الحفـلات ، حامـلاً طابعـاً دينياً معيناً .

وفي الإسـلام بمختلف مذاهبه اعياد وطقـوس هي أقل بكثـير منها عنـد المسيحين ، لاسباب دينية واجتماعية معاً ، حدَّدها الدين لهم .

في الإسلام الفرائض الخمس: صوم وصلاة وحج وزكاة وشهادة ؛ كـل منها يتضمن ممارسات فولْكلورية مقدسة نقلها الإسلام مع قوافل الفاتحـين ، إلى الشرق والغرب ، ومـا زالـت تمارس بدقة وطهارة . ومن أعياد الإسلام ومذاهبه : عيد « الأضحى » ويعني تقديم الضحايا الحيوانية اثناء الحج ، تلك عـادة شائعـة منذ القـديم القديم . ثم عيـد الفطر في نهايـة رمضان شهـر الصوم . يبتـدىء الامسـاك عن الـطعـام والشراب قُبيـل الفجـر حتى الغروب التام .

وعيد المولد النبوي حيث يرتلون الآيات القرآنية من على المآذن ، وعيـد رأس السنة الهجرية وهو يشير إلى اليوم الذي اضطر فيه الرسول العربي ألى مغادرةِ مكَّة لِلمدينـة وإتمام دعوته الروحيَّة . وعيد الإسراء والمِعراج وله رمزٌ ديني خاص .

وفي الشيعةِ عيدُ العاشوراء المشير إلى مقتل الحُسين بن عليٍّ شهيداً .

لنـا إلى هذه المـواقف عودة نـزيدهـا ايضاحـاً في البحوث المعَّينـة اللاحقـة . مَعنيين خـاصةً بـطقوس المـآتم والأعراس ومـظاهر التصـوُّف . وللديـانـات الشرقيـة بـين بـوذيـة وهندوكية ، فولكلورها الخاص من اعياد واحتفالات وقرابـين ، وطقوس المـآتم والصلوات والأعراس . وفي عصرنا الحديث ، وبكل الدول المتحضرِّة غدا لكلٍ منها فولكلوره المتطور والمتنوِّع .

الفصل الثاني

الطوفان في العالم

ب ـ الطوفان الذي نتصوره نحن في البلاد العربية هو ذلك الذي كان بطل اسطورته نوح وهو بزعمنا غمر العالم اجمع . غير أن العلماء المختصّين وجدوا في تحرِّياتهم أن هنالك ايماناً بأكثر من اربعماية طوفان حدث في العالم ، ولكل منها زمانه ومكانه وليس هناك طوف شامل قط .

كل صورة لطوفان ملونةٌ بريشةٍ اسطورية شعرية تجعل من الخيال واقعاً محسوساً .

لِنُصدِّر البحثَ عن طوفان نوح وتفاصيله ومغزاه :

١ ـ تمادى البشر في ارتكاب المعاصي مما اثار سخط الإله يَهْوه ، إله العبرانيين فأصرَّ على تدمير العالم اجمع بطوف شامل كاسح . نُقل الخبرُ إلى نوح ، ولعله عن طريق الوحي فسارع إلى بناء فُلك ضخم ، ضم نوحاً وزوجته مع سبع مجموعات من الطير والحيوان على اختلاف انواعها .

حددت الأسطورة العصرَ والشهر واليوم فقالت في العام (٦٠٠) لمولد نوح في الشهر الثاني واليوم السابع عشر تفجَّرت مياه الينابيع وتفتّحت كوى السماء لأمطار هائلة متواصلة مدة اربعين يوماً . دام ارتفاع المياه مئة وخمسين يوماً ، وفي الشهر السابع رست السفينة على قمة جبل (أرارات) كان نوح في تلك الفترة يطلق غراباً مستكشفاً ، لعل الوحي السماوي كان قد انقطع عنه فلم يوجّه الفلك إلى شاطىء أمينٍ بل اكتفى بخبرة ذلك الطائر . وحين فشل الغراب ، عاد نوح واطلق لثلاث مرات متتابعة حمامةً ، بمدة سبعة أيام ، في المرة الثانية ، حملت ورقة خضراء من الزيتون ثم ارتدَّت ولما تَعُدْ . وفي العام (٦٠١) من الشهر الثاني وبالتحديد في السابع والعشرين منه ، كانت قد انكشفت اليابسة فأمر الرب نوحاً أن يغادر السفينة . وأن يطلق سراح الطيور والحيوان . لقاء ذلك ، قام نوح بتقديم القربان لربه من الحيوانات المطهَّرة . ارتاح يهوه لِشمِّ ذلك

الطعام ، ولرائحته المنعشة وقال : « لن ألعن الأرض بعد اليوم ، لأنها تحمل الإنسان ، ولن أوقع أذية بأي كائن حي . ومن الآن وصاعداً ، طالما هناك أرض ، سيعود كل شيء إلى وضعه السابق وأرقام التاريخ محصيةٌ على الحساب الشرقي .

هذه المعلومات نقلها المؤلف الفرنسي (ف . بارج François Berge) من الانسيكلوبيديا الفرنسية المُعتمِدة على بعض ادلة محفوظة في المتحف الوطني الفرنسي للفنون .

يُعتبر هذا الطوفان ، الحدثَ الكونيَّ الثاني للخليقة ، له مكانتهُ المرموقةُ في التوراة كما لها الجنة الأرضية (وبرج بابل) .

من هذا الينبوع استقى البطل (جلغامش) طوفانه المزعوم ، بغية تصفية البشرية من العناصر البشرية الفاسدة فيها .

تقول التوراة أن شجرة الحياة وحدها موجودة ، وتنمو على الجنة الأرضية . وإن نوحاً هو أب لكلّ البشر ، وهو من سلالة ابطال هم ارقى من المستوى البشري ، حيث يحيون مئات السنين . احد هؤلاء المتفوقين : (أخنوخ) الذي أُشير إلى عدم موته ، ولم يُـرَ بعدئذ لان الرب اختاره إليه .

أُنجب نوح ثلاثة صبية ؛ سام وحام ويافت ، وهم أجداد البشر الأَوَّلون على زعم الاسطورة . أما عن حياة نوح التي طالت إلى تسع مئة وخمسين عاماً ، فأهم ما نعرف عنه إغراقهُ في الشراب حتى السكر الذي ساقه إلى الزنا بسبب بلية الكنعانيين . ومنذ ذلك الحين أصبح للدالية أثر خاص وعميق ، إذ اعتبرتها الحضارةُ في ما بين النهرين ، شجرة الحياة .

وتفسيرات العبرانيين والكنعانيين لرموز الطوفان ، وما حام حوله من فُلك وطير وقوس قزح وضحية ونوح ونسله ، كله بالحقِّ يحمل معاني باطنية هي لغزٌ على غير المطّلعين على فلسفة يهوه وإيحاءآته وعنصريته الجامحة العنيفة .

٢ ـ الطوفان في ما بين النهرين : اعتقد سكان ما بين النهرين بالطوفان الذي كان بطله (جلغامش) وقد عثر البحّاثةِ البريطانيُّ (ج . سميث George Smith) على لوحات في قصر الملك (أشور بانيبال) في نينوى تعود إلى القرن السابع ق . م ، تشير إلى احداث

وقعت في نهاية الألف الثالث للميلاد ، وهي اثنتا عشرة لوحة . في واحدة منها شرح للطوفان الذي زعموه .

جلغامش حين فقد صديقاً وفياً ، ذهل لأمر الموت فاتجه إلى سَلَفٍ له هو (أوتانا پيشتين) مستوضحاً منه عن سبب الموت . اجاب السلف : إن البقاء مرهون بالآلهة وحسب ، وانه هو نجا بأعجوبة من الطوفان. أُوحي إليه ببناء سفينة بِستٍّ طبقات ، جمع فيها أهله ومتاعه وحيواناته حتى إذا خيم الظلام أوعز إله الظلمات بانصباب سيول عارمة . ظلت العاصفة ستة أيام حتى كانت جزيرة عائمة حول جبل (نيزير) فرست عنده السفينة . في اليوم السابع ، اطلق السلف (اوتا نابيشتين) حمامة.ثم سنونوة.واخيراً غراباً ، لم يرجع . قدَّم السلف القربان والضحايا لا للإله (أُنليل) كيلا يُدمِّر العالم أخيراً رضي الإله (أنليل) على (أوتا نابيشتين) الذي سمع توصيات الإله ، واسماه الفائق الفطنة ، واسكنه الأرض .

التفت هذا السلف إلى جلغامش قائلاً : « وأنت مَن يوحي للآلهة بمعاونتك ، لتجد الحياة التي تطلب » ؟؟ واقترح عليه أن يسهر ستة أيام متواصلة ، لكن سلطان الرقاد كان متسلطاً عليه يومذاك . استفاق وشاهد في البعيد من البحر غرسة شائكةً،هي غرسة إطالة الحياة . في طريق عودته ، اختلستها منه افعى . وهكذا فقد أُخفق جلغامش في الظفر بغرسة إطالة الحياة .

وتروي الاسطورة الكلدانية حادثة الطوفان على الشكل الآتي :

قبل أن يكون عالم ، كان الكائن (أَبْسو Apsou) طافياً على سطح المياه الأوليَّة ، في لجة المياه العذبة الدالة على الذكورة ، وكانت (تيمات Timat) في لجة المياه المريرة ، وهي دالةٌ على الانوثة . بعد الخلق كان (أبسو) محيطاً بالعالم ، تتدفق حوله المياه وهي رمز الحكمة .

وكان في مدينة (أن ـ كي ، En -Ki) السومرية زَمرُ الإله (أَيا Ea) حوض وشجرة مقدسين . استمدت الشجرة نسغها من (أبسو) . و (آيا) هو إله الحكمة وهو القائل لِ (U. Napishtim وُ . نابِشْتم) دَعِ السفينة التي تبنيها ، على (الأبسو) . فان بلاد (الأبسو) . هي هناك بين القصب حيث تنبت شجرة الحياة ، محروسة بإلهين ، يموتان كل

شتـاء ، ويعودان للحب في الـربيع المقبـل . وليس غير (اوتـا نـابشتيم) الـذي ادرك سر الطوفان وكشف (لجلجَامش) سر شجرة الحياة ، بالأحرى الشبابِ ، لعل الرقى السحرية هي التي عملت على إيجادها واستثمارها .

٣ ـ الطوفان في الهند : لم تتخيَّل الأساطير الهندية القـديمة أيـة صورة لـطوفان حـدث . أول مشاهداتنا لهذه الصورة الاسطورية في الكتب الهندوكية : (البرهمانا والڤيـدا) بتاريـخ حصل بين القرن الثامن والخامس قبل الميلاد ، مقروناً بأساطيرَ متنوعة .

يسمى هذا الطوفان بـ (كاتا باتا برهمانا) . بطله (مانُو Manu) أبو البشرية ، أول من طلب الموت هو(إياما Yama) وانه أول الموتى ، وقد غدا ملك الأمـوات وأبا البشر في آن معاً، أهو نفسه (مانو) وليكن ، فالأول أبو الأموات والثاني أبو الأحيـاء ، يدعيـان : إبْنَي (الشمس). بعـد الطوفـان ، (مانـو) خلق بتعفُّفِهِ: عـالم الآلهة ، وانصـاف الآلهـة ، والإنسـان والحيـوان ، والنبـات . ورد هـذا الاسم في (الڤيـدا) دون تلميح بشيء إلى شريعته ولا إلى الطوفـان . لكـن الأسطورة تمـادت في الخيال واشـارت كيف خلق الحيوان وَالإنسـان من قِرانِ (مانو) بـ (آدا) الفتـاة التي اختارتـه ، وقرانـه بالمِعـزاة حين استحـال تيساً . وليس هؤلاء الـ (مانو) إلا ابطالاً نَسَلوا بَشَراً .

٤ ـ الطوفان في اليونان : عمد الإله (زيوس) على ابـادة الجنس البشري ، بفيضٍ من السيـول الدافقـة . تبلَّغ الخبرَ (پـرومانْهـا Prométhé) ؛ وهذا بـدوره اوعـز إلى ابنـه (دوكاليون Deucalion) أن يبني زورقاً ينجو به مع زوجته (بيرْهُـو، Pirrhu) . تساقـطت السيول تسعة ايـام متتاليـة . في فجر اليـوم العاشر ، ارسـوا على شـاطىء الـ (Parnasse پرناس) فنزلوا وقدموا ذبيحة للإله (زيوس) بواسطة مبعوثه (هرمس) الذي أشـار إليهم أن يلقوا بعظام أُمهم ارضاً . عرفوا أن المقصود بـالأم هو : الأرض ، وبـالعظام أي بحجـارة الأرض . فعـل الزوجـان ذلك فتـولَّد الإنسـان ذكوراً وانـاثـاً . ومنـذ ذلـك الحـين أُطلق اليونانيون على الرجالِ اسم (لاوي laoi) التي تعني الحجارة .

على أن الخيال اليونانيَّ لم يكن اقل إبداعاً من الفكر اليوناني ، فقـد شطح شـطحات وَاسعة في خلق الأساطير ، ومنها الطوفانات المتعددة وبأسماء وآلهة مختلفة ، وبأعمال ونتائج متنوعة .

في العصور المتقدمة ، جرى لقاء بين كبار المفكرين من يونان ورومان ، واتفقوا على أن يعترفوا بحدوث طوفانات أربعة وحسب ، وهي الأهمُّ . وحين دخلت وتغلغلت المسيحية في البلاد ، وجد الرهبان وجوب طمس اسم طوفان من الأربعة واستبداله بطوفان نوح ، وهكذا حصل. بهذا التطور المبدع ، ختم ذلك الراهب اسطورة الطوفانات في اليونان ، ليجعل منها خيطاً ضئيلاً يشدُّ به الاسطورة للعقيدة .

٥ ـ **الطوفان في مصر** : وردت في كتاب الموتى هذه العبارة : سأتخيل ماذا عملت . وستصبح هذه الأرض كأنها مياه بعد طوف ، كما كانت سابقاً . سأبقى وحدي مع « اوزيرس » .

كانت في الأساطير المصرية ملامح للطوفان الذي ادعته العبرية ، لكنها هي لم تأتِنا بأدلة على قناعتهم بطوفان حدث ، ولا هُم اختلقوا اولاً اساطيرهم، وذكرتْ لوناً لِطوفان . لكن هنالك اساطير تشير إلى المياه والآلهة . سأروي واحدة وهي الأهم : تغلغل في لجة المياه الإله (رَعْ) إله الشمس وخالق الكون، قبل أن تنفصل السماء عن الأرض ، وبعد هذا الانفصال سعدت مصر بعصر ذهبيٍّ بمشيئته . وعَرف اخيراً أن الناس يَسخرون من كهولته ، فأوعز إلى الآلهة أن يقضوا على البشر بعينهِ الإلهية . لم يشأْ لهم القضاء فتعطَّف وأراد وقف المجزرة . لكن الإلهة السفَّاحة (حاتور) لم تشأْ وقف المجزرة لأنها كانت مخمورةً بامتصاص الدماء . واستفاق (رَعْ) رافقاً بأرواح الناس ، فغمر السهول بشراب البيرة مصبوغاً بلون الدم . رأت (حاتور) هذا المشهد فاخذت تعبُّ وتعبُّ على أنه دم بشريٌّ . بعد ذلك انتشرت بين كاهنات الشمس عادة تناول شراب البيرة في أول كل عام ، كي لا يعود الإفترسُ يتصَّعد من (حاتور) وغيرها .

الفصل الثالث

الطوفان في الصين :

كان هذا في الحضارات المختلفة من التاريخ البشري ، تصوُّرُ الناس للطوفان ، وكله ، تعود جذوره لطوفان نوح .

اكان في كل دولة تقريباً تصورُ الطوف أو شبه طوف ، يؤول مغزاه ، لإنذار

الأشرار بعقاب أرضي . ولتتكون لدينا فكرة الطوف شاملة سنتناول بايجاز ممكن اساطير بعض المناطق في القارات الخمس . لم ينقل تاريخ هذا البلد صورة لأيِ طوفٍ عام ، وحين دعا الامبراطور (ي . تْسُنغ Y. Tsoung) احد الرحالة المسلمين المدعو : ابن وهاب البصري في سنة (٨٧٢) للميلاد ، روى هذا الرحالة للامبراطور والجمع من الحكماء ، قصة الطوفان والمرسَلين ، فذهل الجميع وتأثر الامبراطور بهذه الاسطورة .

لعل ما رواه المؤرخون مؤخراً ، حول الصين والطوفان ، هو ذلكَ الطوف الكبير الذي حصل نتيجة سيول غامرة احدثت فيضاً دافقاً في الأنهر، فغمرت مساحات واسعة من البلاد ، بعهد الامبراطور (ياو Yao)فتأولت بما يأتي ؛

في العام الواحد والستين من حكم (ياو) حدث فيض ارتفعت فيه المياه حتى السماء وضاعت الأرض في اللجة الطغياء . لكن القِمم صَغَتْ ، وبعض البشر تسلقها ونجا .

لكن اسطورة هذا الطوفان لم تقف عند هذا التصور، بل تابعت: أن الأمبراطور (أو ـ U) وهو مع (ياو) صَفوةُ الأخلاق في البلاد ، عمل على لمِّ الشمل والاستقرار ، ولكي ينجز هذا العمل الضخم تحول إلى خنزير ، في هذه الحال غضبت منه زوجته واستحالت حَجَراً ، وكانت حاملاً . لدى الوضع ولدت ذكَراً اسموه (كي K'i) . وكان على احدى قمم جبل وسط البلاد ، ما زال مطروحاً أرضاً ذلك الحجر الذي ولد منه (كي) ابن الامبراطور (أو) انجز بعهده اكتشاف شراب فاخر من (الأرزّ) يماثل الشراب الذي تناوله نوح وسكر منه .

الطوفان في اليابان :

إن حظَّ اسطورة الطوف الغامر في الجزيرة كان معدوماً ، رغم تراثهم الاسطوري الضخم . لكن هذا التراث يدور حول المياه : بحر اسماك ، أمواج متصاعدة ، قصور المياه ، جواهر في فم السمك ، الخ . كل هذه الصور ، لا تمتُّ بأية صلة إلى الطوفان الغامر .

الطوفان في الهند :

وفي الهند صور لطوفانات عدة ، ذكرنا سابقاً احدها ، والان نوجز هذه الاسطورة لقبيلة هندية غير آرية : انذرت احدى السمكات رجلاً فاضلاً انتقاماً منها لأن البشر

يصطادون جنسها . هرب هذا الرجل مصحوباً بأخته إلى احد الكهوف يتبعه ديك واحد ، وحدث طوفان بعد ذاك الانذار ، فدمَّر وقَتل . وفيما كان أحد مبعوثي الالـه (راما) ماراً قرب الكهف ، سمع صياح الديك فغضب راما ، لأن السمك باح بالسِرّ الإلهيّ في حدوث الطوفان ، وعلى الفور قطع لسان السمكة . ومنذ ذلك الزمن والسمك بلا لسان . بعدئذ ، أمر الإله (راما) الزوج كي يتكاثر ، وعمرت الأرض بالإنسان الزاني .

الطوفان في برمانيا :

في هذه المنطقة حدث طوف لا يُعرف سببه . لم ترتفع المياه كثيراً ، بحيث تمكن البشر من تسلق الشجر فنجوا ، وحين ابتلعت الأرض المياه ، وجد الناس انفسهم « نِماراً » ، لكن الإله ، كان قد استبقى في بعض الكهوف بشراً ، فهبُّوا يقاتلون النِمار حتى قضوا عليها ، وعمروا الأرض بالإنسان .

لعل المقصود بهؤلاء البشر ، الصالحون الذين شاءت القدرة العُليا أن تبقيهم أحياءً ، ليعيدوا تعمير الدنيا .

في اوستراليا :

الاسطورة في هذا البلد تحمل صوراً عدة لأساطير مختلفة ، لكن مضمونها واحد ، هذه احداها : ابتلعت ضفدعة كل مياه الدنيا . فحدث قحطٌ هائل ، اضطر معشر الحيوان أن يتكاتف ويأتي بحيلة يُضحك بها الضفدعة ، حاول وفشل ، لكن سمكة (حنكليش) أمسكت بذيل الضفدعة وتسلقتها ، وأخذت تدغدغها متحركة بهدوء . إذا بالضفدعة تنفجر ضحكاً وقهقهةً ، فتصاعد من جوفها الماء الدافق الذي تدافع دَفقاً حتى غمر الأرض ، وغدت البشرية مهددة بالفناء لو لم يبادر طائر البحر (بَجَع) إلى احتضان العالم ، والاحتفاظ به في سفينته ، حتى نضبت المياه .

في روسيا : كان هناك شيطان ساهر على مصير البشر ، نُقل إليه أن «نوحاً» تلقى وحياً سماوياً بحدوث طوفان كاسح ، فتسلَّل إلى مطبخ زوجة نوح ، وتغلغل في احدى القُدور ، واستقر فيه حتى حدث الطوفان ، نقلت الزوجة القِدْرَ معها . حين ابتلعت الأرض المياه ، تنفَّض الشيطان في صدر القِدر ، وانطلق إلى مَهامِّه يبثُّ الشرور .

الفصل الرابع

فكرة الطوفان في اساطير اميركا

في المكسيك :

١ ـ ورد في الميثيولوجيا المكسيكية، الـ (Aztèques ، أزْتيك) ما يلي : في الأعصر الغابرة ، حدث اربع ظاهرات دمرت العالم اربع مرات ، وكان الشعب يزعم انه بكل عصر تُدمَّرُ شمس فينتهي معها . والملخَّص اللاحق يعطنيا فكرة عن مدى شطحات هذه الأساطير الوجيزة .

أولى الشموس الأربع هي : شمس المياه ، وقبل أن يكون عالم وآلهة كان الكون مياها . تلك المياه قضت على الشمس نفسها ، والبشر الأوائل تحولوا إلى حشرات وديدان واسماك ، تلا هذا العهد : شمسُ النِهار التي هاجمت البشر العمالقة وافترستها . وشمس النهار ظهرت حين امطرت الدنيا ألسنة لهب متوهج ، وانفجار براكين ، ادى إلى تدمير العالم مرة ثالثة ، لكن البشر استحالوا حيوانات اليفة نارية ، في الأرض والسماء . اخيراً هبَّت الرياح فحولت البشر إلى قرود بعد اعاصير مدمرة عمَّت الكون .

٢ ـ كثير من شعوب اميركا كان يبني اساطيره مثل هؤلاء الجبليين ، على تحوُّل البشر إلى أنواع مختلفة من الحيوانات بعد الغرق أو الحريق أو التدمير . وفي سهول المكسيك كان شعب الـ (الميَّاس Mayas) يتغنى بأساطير مختلفة منها هذه :

عثر في القرن التاسع عشر الباحث الفرنسي (Brasseur Bourbourg ، براسُّور بورْبُورغ) في المكسيك على كتاب اسمه (پوپول ڤُوه ، Popol vuth) يذكر فيه أن العالم خلق بالمنطق البحري ، وقبله لم يكن من شيء ، خلا السماء المنبسط تحتها محيطٌ فسيح صامت ، مزدوج الشخصية ، بين ذكرٍ وانثى ، قادر على النسل اسمه : (تاپو كُوكُوموتز Tépeu Kukumotz) هو أبٌ وأُم معاً ، يلمع في قرار الماء كالجوهر ، يرتدي ريشاً أخضر وأبيض ، وكان معه قلب السماء (هُوراكان ، Hurakan) وهو مثلث الشخصية . إلتقيا وتنافسا على أيهما يكون مُرضع الآلهة . خَلَقا أولاً الحيوانات ثم أوعزا إليها أن تصلي للآلهة ، فلم تقوَ على النطق فدمراها جميعاً . بعدئذ خلقت الآلهة بشراً من طين ، فكان

مُتراخياً مائعاً ، فـأتلفته الآلهـة ، ثم خلقت بشرَ غابـات وحقولٍ . اسمتهـا (إكْسموكـانا Xmucana و Xpiyacoc أكْسپياكوك) إنـطلقت في السهـول والغابـات ، فكان غـير صالـح للبقـاء ، إذ بدا عـديم الدمـاء والعصب والقلب والفكر . لا يتمكنّ من استيعـاب كلمـه الخالق ، ولا الإبتهال إليه .

هذا (البشر الغابي) سُلط عليه طوفان ، فأزالَهُ من الوجود ، ليخلق بشراً سويًّا من أغراس (الذُرَة) يَصحبهـا حيوانـات أربعة : الـذئب والثعلب والغراب والببغـاء . فكان اربعة أُناس بِخَلقٍ كاملٍ ، عرفوا الله وحمدوه .

حسد الاله نفسه على هذا الخَلق السويِّ الذي يتشابه بالآلهة ، فقام (قلب السماء) بتحويل عيون هؤلاء الأربعة حاسرةً لا تَـرى غير القـريب القريب منهـا ، ثم رزقها (قلب السماء) اربعة آنسات تمتعت بهنَّ فسعد الجميع وعمروا الأرض .

لهذه الاسطورة مغـزى بين : هـو أن الإنسان قـاصر عن ادراك الماورائيـات ، شأنـه اليوم .

الطوفان في البرازيل :

ظفر احد الباحثين : (أ . تْهافْت ، A. Thévet) في القرن السادس عشر على هـذا النص :

« كان لأحد السَحَرة ولدان احدهما شرير ، والآخر صالح . غار الشرير من اخيه ، فقتل ذات يوم أحد المارَّة عمداً ، وألقى بجثته على باب أخيه . سـارع أهـل البلدة لرؤيـة هذا الحادث وذهلوا ، كيف يأتي هذا الصالح تلك الجريمة النكراء . فتألم الأخ البريءُ بهذا الإتِّهام وخبط الأرض بعصاهُ فدفق من جوفها ماء جارف أخذ يغمـر الأرض . أشفق الإله على سكان البلدة فرفعهم إليه ، أما الأخوان وزوجتاهما فتسلقوا بعض الشجر ، ولبثوا فيها حتى غـاضت المياه واقحلت الأرض من البشر ، وعـاد الأخـوان ينسـلان ، ويُكثـران حتى كانت البشرية .

أي مغزى لهذا الطوفان سوى أن يذكرنا بالفلسفة الفارسية القـائمة عـلى ازدواجية : ظلام وضياء ، مياه ويابسة ، فاضل وشريـر . فالشرُّ إذاً متـأصلٌ في الإنسـان ، ولكن إلى أي حد ؟؟ التربية السليمة ملزمة بتحديد الجواب ، لا بتقرير المصير .

في ألآسْكا :

من أساطير بلاد الصقيع ، أن الأرض الأولى كانت خالية من البحار والجبال . تذمَّر سكانها من هذا القحط الدائم فسخط عليهم الإله ، فتشققت الأرض وابتعلت من عليها ، وطغت المياه فغمرت الكائنات . وحين أذنت السماء ، غار الماء وانكشف وجه اليابسة ، وكان مغطى بالجليد الذي أخذ بالذوبان تدريجياً ، وحين غدت الأرض صالحة للسكنى أنزل الإله من لدنه مخلوقات عاقلة فتناسلوا وكانت منهم البشرية .

كان إله هؤلاء مُرهف الحس وطاغياً معاً ، إلى حد أن التذمُّر وحده دفعه للانتقام الكاسح . وكأنه رثى للأجيال الطالعة فجعلها من نسلٍ سماوي . فهل تُعتبر أناس اليوم أبناء السماء ؟؟ وقِيمَ التقاتل والموبقات إذاً ؟؟

في إيران :

جعلت الاسطورة الإيرانية المسمى (ياما ـ Yama) اول ملك ، وأول من يعتريهم الموت وأول من خلق شراب الخلود . بواسطة هذا الملك ، اوعز الإله (أهرمزدا) ببناء فُلك هو : (ڤار Var) لإنقاذ البشر والحيوانات ، بعد طوف سيغمر وجه الأرض .

وحدث الطوف ، لكن الفلك (ڤار) كان حاملاً مجموعات من كل المخلوقات لا أزواجاً حتى سُميَّ : الجنَّة الأرضية . وفي الأدب الإيراني ، اساطير كثيرة حول الطوفان ، لكنها تتضمَّن مغزى بارزاً هو ركيزة فلسفتهم الروحية وأعني : قوى الخير والشر وتصارعهما وانتهاء الخلق بانطفاء النفوس الشريرة التابعة للإله الشرير (أهرمان) ، وبتألق نفوس الخيِّرينَ المعتمدين (أهرامَزْدا) إلههم الأحد ، ينبجِسُ ينبوع الخير وشمس شموس الحقائق .

في افريقيا :

تحوي القارة السوداء ، قبائل متنوعة المعبودات ، والاساطير التي يتناقلونها تحمل احياناً مغازي اخلاقية . هي نوع جديد ، نذكر واحدة منها لِضيق المجال عن الاطالة :

إتَّجد على شاطىء العاج زوج مُسرف في بذل المال ، انفق ثروته على المكرمات فنفته اسرته . التقى احد المارة ، وكان محتفظاً بقليل من الغذاء ، وكان المارُّ بحاجةٍ للطعام ، فقدَّم لهُ كل ما اختزنه من قوت . هذا المار هو : (وانْد Wende) إله السماء . نزل يتنزَّهُ على الأرض . ولما لم يعد يملك الرجل شيئاً ، منحهُ الإله (واند) قليلاً من القمح له

خاصةُ سرعةِ النموِّ والعطاءِ الناضج ، هذه الحبوب تحولت إلى (كوسا) ناضر ، قطَّعه الإله أرباً وحوّله إلى: حبوب، وذهب وآنسات جميلات. ثم أوعز (واندُ) إلى هذا الرجل بانتحاء مكان بعيد . وأرسل الإله طوفاً عاماً أفنى البشر . فنجا الرجل وما يملك من غذاء ومال ، وتكاثر نسله . وعالم اليوم احفاده . كان الدرس قاسياً على البَشر ، لكن المكافأة على الخير والتضحية كانت بحجم الواقع ، واتجد خلقٌ جديد من أصلٍ عريق في الخير . تُرى هل احتفظ هذا النسل بأصلهِ ؟؟ علماء الاجتماع والتربية يحسنون الجواب .

ما كان الإنسان الواعي لينخدع ويؤخذ بهكذا أساطيرَ إنتشرت عفوياً من ينبوع البيئة نفسها . أو كانت منقولة لمقصدٍ ما . كان الانسان آلةً لاقِطةً لأوهامٍ وطيوف غير مرئيه ، لكنها في الوقت ذاته تتضمن اسئلة وتجيب على بعضها ولو تلميحاً ، عِبرةً للإنسانِ المعاصر ، وغمزاً على الحضارات والديانات ، قديمها وحديثها معاً .

اساطير الطوفان جُلُّها مأساوية ، تدور حول بشرٍ تعدّى تعاليم الآلهة وكلها داعيةٌ لخير البشر، فأثارَها فانْتَقمتْ بشكلٍ أو بآخر . كانت المياه ، والمصير غرقاً ، عقاب الأشرار ، وكان العقاب في كل مكان يطال كل إنسان ، وما كان ذلك الإنسان ، في دَورٍ ما ، لينسى خطيئته الأولى المزعومة ، أو ليردع هذا القصاص العنيف عن الغِيِّ والاستهتار . وطالما أن هذا العقاب لم يُجدِ ، على امتداد أزمنة ما قبل التاريخ فلماذا تكراره ؟ ؟ ولماذا لم يُتَّخذ رادع آخر ؟؟ لعل تصوُّرنا بوجود آلهة متنوعة ، هو المبَرر ، وحين انصهرت الآلهة متحدة في واحد احد ، إنعدم الطوْفُ العام ، مخلفاً بلاياً على البشرية : طبيعية واجتماعية هي بمستوى الطوفان وبموت بطيءٍ ، أو عام . وكلمة الختام حول هذه الأساطير ، ندعها لأئمة المذاهب الباطنية فتُفصح بقولها :

« ليس ذلك الطوفان طوف مياه قط . إنه طوف دُعاةٍ ابرار حملوا في صدورهم نبراس المعرفة اللَّدنية ، وطافوا في الأرض يدعون لإلهٍ واحدٍ هو حقٌ ، وخيرٌ وجمال » واعقبوا: « إن هذا الإله المفرد الصمد ، يتسامى عن إنزال كوارث عامةٍ ، تشمل كل انسان ، لان الناس بين : خيّرين واشرار ، وعزَّت القدرة السماوية على الانحراف عن خط الخير والإنصاف » . ذلك هو الطوف بمعناه الباطني .

هذا ما يؤمن به الباطنيون . وفي حال وجود بينات علمية صريحة تثبت طوفاً عالمياً ، قد حدث ذات عصر ، نقول بصراحة : سلام على الباطن المأفون ، وإلا ، فسلام على الظاهر مُحتضن الأراجيف .

وعلى أي حال ، فان لِلأساطير المشيرة إلى الطوف الغامر ، أكان عاماً أم خاصاً ، مغزى أخلاقياً : لعله أخمد من سعير الضراء ، وتصعيد الأنانية ، في ذلك الزمن البعيد ، قبل أن تتسلّم الدياناتُ زِمَامَ نوازع الإنسان وتغدو المسؤولةَ عن انحرافهِ وتوارث موبقاته .

ملخص الفولكلور والطوفان

كانت قديماً كل الديانات مُتسمةً بطابع فولكلوري . عايش هذا الطابع الاجيال بمتعدد دياناتها . كانت ممارسات (المانا) القديمة العهد ، عملاً فولكلورياً ومثلها المسيحية في لباس كهنوتها واجراسها واشارات الصليب وسواها وهكذا حدث في الإسلام من فَرائض ، وخاصة الصلاة والحج . كل هذا عمل فولكلوري يختلف بين ديانة واخرى . وهناك عادة قرع الطبول لدى كسوف الشمس وطقوس الأفراح والاتراح بكل معتقد قديم وحديث .

كانت لكلٍّ دين اعيادٌ ولكل عيد رقصاته ومظاهره . وكانت مِسلّةُ مصر ونارُ فارس والأولمب وعيد مولد الشمس لدى اتباع (ميترا) وكثير غيرها بكل عقيدة روحية غابرة وحاضرة .

أما الطوفان في العالم فما كان في عصر شاملاً . يَحدث الطوف في مناطق مختلفة محدودة السَعَة . كان بطل طوفان ما بين النهرين (جلغامش) عُثر على لوحات اثبتته ، وحددت اتساع رقعته

وذكرت الفيدا الهندية والبرهمانا طَوفاً حدث هنالك فدّمر وقتل واجتاح . وعمد الاله (زيوس) إلى ابادة البشر بطوف دام تسعة أيام كاملة . وفي الأساطير المصرية وفي كتاب الموتى ذُكر الطوف كما ذُكر أن الاله (رَعْ) أي الشمس ، خالقَ الكَون ، تغلغل في لجة المياه . وفي الصين انصبت مياه دافقة ففاضت الانهر وغمرت مساحات شاسعةً بعهد الامبراطور (أياو) .

وروى المؤرخون اقاصيص متعددة عن طوفانات كثيرة حدثت في اقطار الأرض بدءاً من سيبيريا لأستراليا فافريقيا فالبرازيل فألاسكا .

كانت اساطير الطوفانات كلها مأساوية ، حدثتْ تأديباً للبشر ، بعد تخلُّفهم وانجرافهم بتيارات الأهواء المبتذلة والجاحدة للتعاليم الروحية بكل بيئة .

وكان إيمان بعض الباطنيين بالطوفان انه طَوفُ دُعاة الخير مبشِّرين هادين ، وأن القُدرَةَ الإلهية أسمى من أن تعاقِب بالموت الجَماعيِّ الشامل الماحق .

- مراجع الفولكلور والطوفان

أ - العربية :

١ - التوارة : الكتاب المقدس - القرآن .

٢ - قصة الديانات - ص (٤) وما يليها سليمان مظهر - طبعة أولى .

٣ - الحكمة : في التوحيد الدرزي (الكتاب الأول) .

الفولكلور والطوفان

ب - الاجنبية :

1 - A. de Gubernatus. Mythologie Zoologique; Paris (1974).

2 - P. Saintyves: Les Légendes dorées ; Paris (1931).

3 - Al. Haggrity Krappe: Myth. Universelle, Paris (1930).

4 - Hubert et Mauss: Mélange d'histoire des Religions; Paris (1909).

5 - Faueonnet: Myth générale; Paris (1935).

6 - Hist. Générale des Religions par: Francois Berge, 3ème vol.

P: (407 - 463).

P: (465 - 507). (1960)

الباب الخامس والعشرون

الفصل الأول

ينبوع الباطنية ومستقرها

في لمحات موجزة

إنّ العلم الزمني المعاصر ، على جليل فتوحاته واختراعاته ، ما برح عاجزاً عن حل بعض مظاهر الطبيعة : كبناء الأهرام المصرية والمكسيكية ، وآثار البيرو واميركا الوسطى ، وآثار بعض جزر المحيط الهادي المجاورة لها، والاطلنطيق ومثلث برمودا وغيرها ، فحق للفكر النابهِ أن يتساءل عن صحة ما حدّثنا عنه لفيف من كبار الباحثين القدامى والمعاصرين ، امثال العلماء الروحانيين : الدكتور الروسيُ نقولا درويد، وما نلّلي هول ، وأوسْنْدُوسكي والمستشرقة الفرنسية الكسندرا دافيد نيل المتوفية عام (١٩٦٩) والتيوصوفية الرائدة بلافاتسكي ، وأندرو توماس مور صاحب كتاب واحة النور ، والفيلسوف الأميركي : ولدو أمْرسون (W.Emerson) المتوفّى عام (١٨٦٩) والفيلسوف وليم جيمس (W.James) المتوفّى عام (١٩١٠) وعالم النفس الألماني : هنز دريش (H.Dreich) المتوفّى عام (١٩٤١) والفيزيولوجي الفرنسي ألكسيس كاريل (A. Carrel) (١٩٤٤) والمهندس السويسري : كارل موللر (C. Muller) (١٩٦٨) وكثير غيرهم . هؤلاء الأعلام منهم من أشبع بحوثه حول الروح وتقمّصها وزهدها وخلودها : (Les Psychistes) ومنهم من عانى مشاق عبور جبال حملايا وصولاً إلى : شَمْبالاّ (Chamballa) في الناحية الشمالية الغربية من تلك السلسلة الضخمة ، حيث هم الطيبون والعلماء

الروحانيون القادرون على كشف الغيب والاتيان بالمستحيل ، على حد توضيح الرواد المطلعين .

ولما كان للباطنية جذور عميقة في الديانات القديمة والسماوية ، وكان مستقاها من ينبوع واحد ، وأصول ومبادىء جد متشابهة ، على سحيق قدمها ، وعلى استمرارية بقائها : كالطاوية والهرمسية والقبالية (La Kablale) والصليب الوردي (La Croix Rose) ، والباطن الاسلامي على عديد شيعه ، لما كان ذلك وجب علينا الوقوف على عتبة حملايا ، وارتشاف قطرات ندى روحي من تلك الأصقاع ، على ذمة أولئك الأعلام ، بمختلف دول العالم وتباين العصور .

لذا كله ، وإلماماً باطلاع القارىء الكريم على سائر الوقفات العقائدية الروحانية ، فقد أفردنا هذا البحث مُتقّصين جهد المستطاع ، وبالايجاز الممكن ، مصادر الأصداء المجلجلة حول مملكة (شَمبالاّ) خدمة للفكر المعاصر ، وأضاءةَ شعلةٍ على طريق حلكة المجهول ، وقفزةً وراء حدود عقلنا البشري القاصر .

العلم السّري : تقول الباطنية العالمية وفي طليعتها : (البوديزْتْفاس) البوذية اللامـوية :. إن الفكر الروحي الكوني يتمثل في البيضة : هناك الغلاف الكلسي وهو ظاهر الديانات ، وبعده ألمح وآلاح وهما السِرّ ، وضمنهُا نُطفة الحياة وهي : سِرُّ السر ، الذي يتطلع إليه بتلهفٍ وشَوق ، الجماعة الروحانيون ؛ منهم علماء الصوفية ، والورعون المُتوكِّلون في الديانات الكبرى .

يعتبر علماء الروح القدامى والمعاصرون أن الشرق الأقصى ، وبالتحديد حملايا الغربية ، هي منبثق العلم الروحاني ، ومنها انتقل إلى مصر ما قبل الفراعنة ، وإلى أقصى الغرب حيث نهل هرمس مصر ، وفيتاغورس اليونان ، وأپولُّلونيوس روما وشُعيب مَدْيَن ومسيح القدس ، تعاليمهم الصافية .

يقول المؤرخ الاغريقي پورفير (Porphyre) : « أن الكهان على ضفاف النيل يبلغون بتأملهم وأطمئنان نفسهم وتقواهم وبالسلوك المتميز: مدارك العلم المبين » .

ويقول العالم البريطاني (إيفَنْزْ وُنْتز) في كتابه (The Tibetan Book of the Dead)

« منـذ أزمنة مـوغلة في القدم : كـانت هناك رمـوز سرّيـة . . . هي مفتـاح لكشف معـاني العقائد الدينية السرية في الشرق والغرب » . . هـذه العقائـد تَعتبر العقـل البشري عضواً للحاسة السادسة هي الادراك ، كـما تعتبر الحـدس بالتـأمل العميق وبصفـاء النفس ، هو الحاسة السابعة ، والعين الثالثـة البعيدة التبصر . وهم ينـظرون إلى الجسم ، كعَرَضٍ من الإنسان ، وإلى الروح ، كالجوهر ، وهي ازلية أبدية دائمـة النقلة حتى الحساب الأخـير ، بعد تطهيرها الممكن في طـريقها عـبر الأجيال . كـما أوضحت ذلك (الأوپـانيشاد والڤيـدا والڤيدنتا) وكما اشارت الى ذلك : الهرمسيـة المصرية واليـونانيـة ، والقبالّية وغيرهـا . . . اعتـبر العلـم السري حلولَ النفس في جسدهـا معتَقلاً لهـا ومنحدراً وشقـاء ، أما انـطلاقها وسموها وسعادتها فبطيّب العمل ، وصـلاح الطويـة ، والزهـد في بهارج الحيـاة ، والايمان بمعبود واحد أبدي أزلي ؛ وبمسارح الضياء أرضاً وسماء : وطناً للصالحين الأخيار .

بهذا آمن (آتوم) مصر (وكْرِشنا وراما) الهنديان ، وفيتاغـورس اليونـان وعَرافـات الألوزي (Eleusis) والزقّورات البابليـة ومعابـد (الدرويد Les Druides والسلت) على ضفاف (الدانوب) وفي قلب أوروبا الغربية قبل أجيال .

لم يـطلع البحّاثـون ولا المؤرخون وعلماء الآثـار على وثـائق أو الواحـاً تتضمن ذلـك العلم السري الذي ينشده الروحانيون الباطنيون في العالم . انمـا هناك تصرفـات وكتابـات لعلمائهم ، تـوضح الـطريق وتفتح المغـالق . أهمها : الإيمـان بإلـه واحـد أحـد ، وبخلود النفس عبر تنقلاتها المستمرة ، ومقاومة الشر ، والاعتماد على النوايا والأعمال الخيِّرة ، ونبذ التكاليف في العبادات والمعابد ، وطرح الزخارف . أنها بإختصار : لُباب الديانـات السماويـة يوم نشأتها ، بغير تحـريفٍ ولا تزويق ولا اجتهـادات . وقد زعم المؤرخ (مـانلّي) أن الهرم الأكبر في مصر قد أنشىء ليكون مستودع الحقـائق السريّـة . ومن أين الوقـوف على ذلك ؟ هذا ما يسأله إنسان اليوم . أما الذين مـارسوا التـأمل العميق ، في الكـون وأسراره ، ذوو البصيرة النافـذة والحس المرهف ، المـدرك لما خلف الأحـاسيس البشريـة الخمسة ، هؤلاء في ظنهم ، مـطلعـون عـلى ألأسرار الكـونيـة لِتَهيئِهم الـروحي العميق ، وصفــاء قلوبهم ونـواياهم . هؤلاء هم سكـان (شمبـالاّ) ، واخـوانهم الصـالحـون المنتشرون في رحـاب الدنيا ، بصمت وتواضح وطيبه (Bonté) .

يقول المؤلف : (أنْدره توماس) في كتابه (واحة النور) ما معناه : إن العقـل الذي

وهبتنا ساطِعَ نوره ، القدرةَ الكونيَّة الفائقة الزخم والضياء ، يفرض الغَوصَ إلى أعماق العلم بالأشياء المادية ، لِنُدرك أن هذه الأعماق ما زالت بعيدة المنال على علماء المادة ، رغم ما حققوا من مكتشفات واختراعات وكشف جُزَيْآت ، وأعماقٍ واجواء .

إن الغوص في بحر المعرفة ، يزيد في تقديرنا للقدرة الكونيَّة اللاَّمتناهية ، ولهزالة تُنْدراتنا إزاءها ، والعمل الجدِّي على كشف ما تستبطن من مخبّآت وغوامض آنذاك . نعي أن وراء سطوع المادة « شِبه مادةٍ » وبعدها روحاً جوهرية خالدة ، عليها رقيب وحساب .

من الكوَى التي تميَّزت باكتشافها الديانات منذ الزمن الأبعد هو : هذه الروح . وَمَضَ نورها تكشفهُ الآية : « إن يسألوك عن الروح قل هي من علم ربي » ولم نـأبه لِمدى امتداد هذا النور في رحابَ عالم المادة ، ولمدى سلطانِه عليها بالذات ، سوى إن لها أخيراً : ثواباً أو عقاباً .

من زمن غابر بعيد ، وقبل الديانات التي تدَّعى « سماوية » كان دُعاةٌ باطنيون أشاحوا إلى هذه الروح وما نقل التاريخ عنهم سوى ذرَّات معرفة ، كانت شَرَراً استغلَّهُ لفيفٌ من علماء العصر الفائت ، فعلْمَنوه ، ورصُّوا أوُلى مداميك صرحه ، وها هو يعلو ويشمخ ويتأثَّلُ شرقاً وغرباً .

يعتبر الباحثون الجادُّون في المزيد من كشف هذا الباطن : الشرق منبثَقهُ ، ومن هضاب « هملايا » مُنْفجرَ معينه . والتاريخ يشهد = لمن يتعمَّد المعرفة وكُنهِ الحقيقة في دراسته لتاريخ حضارات العالم القديم = مدى سعة الأجواء التي التمعتْ فيها هذه الشرارات الروحية ، وما دلَّت عليه من إنسانية عريقة ، سبقت دَعَوات الأديان الظاهرة بأجيال ، جاهدةً في بلوَرَة المادَّة الطاغية عليه ، المادَّة التي طغت وما برحت تهزأ بمبدأ كل دين ، حاصدةً سنابل الصدق والحق والمحبة من مروج الصدور .

«إن العِرفانيّ الألمانيّ الشهير (كارل فون إيكار تشوُزن) المتوفّى سنة (١٨١٣) م يثق بأن مدرسة الحكمة مخفية عن العالم ، وانها منتشرة في أصقاع الدنيا . جماعتها يتفاهمون بلغة المعرفة الروحية ، وكلهم خاضعٌ للحكم الرباني . كما أنهم يؤمنون بأن الله منح معلميهم قدرات فائقة لم يتوصل العلم الحديث إلى بلوغها . منها : المرايا الكاشفة ، والقضبان الحديدية السماوية المكهربة الواقية ، والصحون الطائرة ، والرافعات لعلو شاهق عشرات الاطنان من الحجارة وسواها . كما مكنتهم القدرة الربانية من رؤية ما لا تراه العين ولا (التَلاَستار) من مخلوقات خفية المحت إليها بعض الديانات السماوية . مثل هذه المعارف ، وبروح صافية قدسية دلت على ذلك : الجمعيات التيوصوفية العالمية ، وجمعية فرسان الهيكل ، والصليب الوردي وغيرها من الجمعيات السرية والباطنية التي ما برحت ناشطة في خضمِّ الديانات الظاهرة ومبشريها .

لقد استطاعت الديانات الظاهرة والسماوية منها ، أن تطغي على الفكر الروحي الديني الباطني ، وأن تجتذب الملايين بما قدر لها من طاقة وحول معنوي ومادي ، لكنها لم تخنق ومَضات الروحانيين الورعين ، ولا طمست من تعاليمهم ، بما أوتيت من زخارف وبهارج وبدع ، في الدعوات والمعابد . أين هي الحقيقة ؟ لعل السرية سترافق كل دين إلى يوم يكشف العقل ضباب الجَهالاتِ : يوم يبلغ مستوى (الأوميغا) في عرف الكاهن الفيلسوف الفرنسي المعاصر : (تيّار دي شاردن ، T. de Chardin) .

وقبل أن نطأ عتبة مدينة (شمبالاّ) وأن نتعرض على الضباب الكثيف والثلوج المتراكمة ودوي الأعاصير وانهيال الصخور ، سنقف على حياة وتصرفات بعض معلميهم الروحيين في العصور المتوسطة ، ممن طالتهم أقلام مؤرخي العصر الحديث والحاضر معاً ، وأبرز هؤلاء بعد (لاوتسي تونغ) الصيني و (فيتاغورس) اليوناني وزرادشت الفارسي هما :

(أپولّلونيوس) الروماني ، والكاهن العارف المجوسي : (جون ، John) ، ومعشر بارز غير هؤلاء سنتناول عنهم لمحات موجزة : من هذا الرعيل :

الفصل الثاني

١ ـ أپولونيوس التيّاني (Appolonios Tyana)

ولد في (كاپدوسيا ، Cappdocia) بأواسط تركيا في العام الرابع لمولد المسيح .

قال كهنة القرون الوسطى : أپولونيوس هذا عدوّ الكنيسة المسيحية وعميل للشيطان . غير أنهم قد اعترفوا لله بالاعمال الخارقة وبلبلة أفكار الجماهير في روما حتى طالت الحيرة القديس (غوسطين) فقال عنه : « انه خالق طلاسم وتعاويذ بواسطة أعداد سحرية ، برغم انها تدفع الشر وتجذب السعادة » . . كيف يمكن لهذا المشعوذ أن يأتي بأعاجيب واضحة ، تتكرر لتصبح حقائق في ذهن كل منا . . عن واحة النور ص (٩٢) .

الدليل الواضح على وجود هذه الشخصية وعلى قيمتها الروحية ، عناية بعض أباطرة الرومان بها أمثال (كَراكلاّ وألكسندر سفيروس) حيث اقاما له التماثيل . وما يزيدنا أعجاباً بشخصية (أپولونيوس) كتاب المؤرخ الروماني (فيلوستراتوس Philostratus) (سِرُّ الخَلق) الذي وكلت إليه الامبراطورة الفيلسوفة (جوليا دومْنا) جمع مآثر هذا الروحاني الكبير . وعقب هذا الكتابَ السفرُ الضخم : (سِيرة حياة أپولونيوس) الذي أثبت حياة هذا الروحاني ، كواقع ملموس تلاهُ نَشْرُ مؤلفاتِ المستشرقة الفرنسية المعاصرة (الكسندرا . نيل) في الموضوع نفسه .

شغف (أپولونيوس) بالفيلسوف الروحاني (فيتاغورس Pythagore) واعتنق تعاليمه ، وسعى جاهداً لاقْتِفاء آثارهِ في رحلته إلى الشرق الأقصى . تيسرت له الرحلة . وكان خير دَليل له المؤلف (دامِسْ النينوي) الذي التقاه على شاطىء بلاد فارس ، وكابد معه مخاطر الطريق الطويل والمضني والمريع . محجتهما غربي حملايا . وصلاها بعد مجازفات كثيرة ، وأُذن لهما بمقابلة سيد الحكماء ، فشاهد بأم العين شتى المعجزات ، سجَّلها بدقة (دامس) وأكدتها المستشرقة (نيل) في العديد من مؤلفاتها .

وعاد إلى روما هذا الرحالة الروحاني ، مشبعاً بمبادىء هرمس وفيتاغورس وأورفوس ومكرراً تعاليم (الألوزي Eleusis) السرية الطاهرة خاتماً حياته بمعجزات أدهشت الكهان

والقضاة ، ودفعت بالامبراطور (سبتيموس سفيروس) إلى رفع تمثال لـه ، في معبده ، إلى جانب تمثالَي (يسوع واورفوس) .

ما يعنينا في الأمر هو اعتقاد جمهرة من رجال الفكر بين قدامى ومعاصرين ، مُصرِّين على وجود منطقة من الأرض هي شمال غربي جبال حملايـا تدعى (شمبـالاّ) : كانت ومـا برحت قبلة الروحانيين ، المؤمنين بـ : الاله الواحد ، وبخلود النفس البشرية ومقاضاتها ، ونقلتهـا عبر الاجيـال ، ووجود روح خـيِّرة اصلاً وروح شريـرة أصلاً . ثم اعتـماد الزهـد بمباهج الدنيا ، وخنق الشهوات في الصدور ، ونبذ التكاليف والزخارف من النفـوس ومن المعابد السماوية ، والدعوة إلى الصلاح والاصلاح معاً .

نستشف هـذه التعاليم بتلك المنـطقـة المقـدسـة ، من روادهـا الغـابـرين ، الـذين أتضحت محجتهم إليها بأدلـة وقناعـة بعض المؤرخين البـارزين المعاصرين . هؤلاء الـرواد كانوا مصابيح هُدى لما أشرنا إليه من مبادىء روحية وزمنية ، ألمحنا وسنلمح إلى بعضهم في هذا المؤلف ، لاحقاً .

٢ ـ مملكة الكاهن (جون) :

ما عاد فكشفه الباحثون في القرون الوسطى : مملكة الكاهن العارف (جون) . مَن هذا الرجل ، وأين مملكته ، وما الدليل على حقيقة وجوده ؟ .

قـال بعضهم أن (جون) من أصـل مجوسي أو تـركي ، وقال آخـرون أنـه مسيحي نسطوري . وفئة أهملت نسبهُ ، وأخرى أنكرت وجوده . والمُثبِتـون لوجـوده حددوا مملكتـه بانها في الزاوية الشمالية الغربية من آسيا ، وانه كاهن آسيـوي شرقي أتسعت مملكته من : (حملايا حتى صحراء غوبي) ، ومن (التيبت حتى التركستان) . ولُقب بالكاهن (جون) أو (بالملك القديس) .

جاء المؤرخون الذين اثبتوا وجود الكاهـن (جون) بأدلة حسية وبرسائل متبادلة بينه وبين ملوك عدة عاصروه ، بينهم قداسة البابـا (كالكستـوس الثاني ، Calixtus II) الـذي عني بدراسة شخصيـة الكاهن وتصرفـاته وتسقَّط اخبـاره . ولفرط اللَّغط الـذي دار حول مملكته ، والسعادة التي تغمر سـاكِنيها ، والمعجزات التي ينجزها قدِّيسوهـم ، قيل يومذاك :

انها جنة النعيم ، ومقر السيد المسيح ، ومنطلقه النهائي لحكم الأرض جمعاء . ولعل مؤيدي (جون) من قدامى ومحدثين ، رأوا فيه : (هرمس وشعيب ، وأخنوخ ، والمسيح نفسه) ولعلّ زائري مملكته تلمسوا وجسدوا ما رسمته ريشة (افلاطون) في جمهوريته ، وما دبجه خيالُ (الفارابي وتوماس مور) في (المدينة الفاضلة واليوتوبيا) .

لقد اعترفت الانسيكلوبيديا الأميركية في الجزء (٢٢) عام (١٩٧٩) صفحة (٥٧١) بأن الكاهن (جون) هو ملك يحكم مملكة في مكان ما ، فيما يتعدى بلاد (فارس) . اما دائرة المعارف البريطانية فتشير إلى : « ان مملكة الكاهن (جون) هي هيئة كهنوتية خرافية تحمل بعض نواةٍ من الحقيقة» . ثم تعود هذه الموسوعة متأرجحة لتقول : « لقد بدت مملكة الكاهن (جون) قصة تحمل بعض لمسات الخرافة » . واكتفتْ .

قام المؤرخ الحديث (فريدريك زارِنْك) بدراسات دقيقة حول شخصية هذا الكاهن العارف ، وحول مملكته وما تتضمن من رفاه ويسر لشعبها ، ومن معجزات رائعة يحققها العارفون فيها . من هذه المعجزات : الطيران الفردي في الجو بحضور مستشرقين ومؤرخين ، والمرآة السحرية التي تُمكِّن حاملها من رؤية ما يحدث في مناطق بعيدة ، غير مرئية في العين ولا في المُكبِّرات . وهناك الحجارة الكريمة السحرية وسواها ، ما لا يُسلِّم به الا المؤمنون بهكذا روحانيات ، والمسلِّمون بأن أمثال (هرمس ـ وأورفوس ـ وادريس ـ وشعيب ـ وكرشنا ـ وراما ـ ولاوْتسي تونغ ـ والمسيح) قادرون على تحقيق الأعاجيب .

إستقى زارِنك معلوماته هذه من عشرات المخطوطات المحفوظة في متاحف النمسا وبريطانيا وفرنسا .

يقول الخاضعون لسلطان الإيمان بالروحانيات : في كل زمان وبكل ديانة ، أن الاعجوبة دليل على وجود القدرة العليا ، وأن الجسد البشري بحواسه الست ، يذهل لها ، لأنه من عالم الأرض ، وليس من مسابح الضياء ، حيث الأرواح الصافية ، المذللة لكل مستحيل ، كما بشر هؤلاء الينابيعُ للروحانية العالمية ، وكما تُلمِحُ الفيزياء المعاصرة بأن المادة كلُّها ذَبْذَباتٌ أو (فوتُناتٌ) مِن نور .

هؤلاء دينهم التوحيد الخالص في كل أرض وبكل ديانة ، وايمانهم بأن الحياة الأخرى هي الأنقى والأبقى والأسعد ، وأن وجود الأرواح في اجسادها ، للتجربة والاختبار

الـطويل ، وأن الحسـاب لا بد منـه ، وأن السرية في العقيـدة واجبة : طـالما هنـاك كفـار بحقيقة التوحيد . وكشف الباطن عن غير اهله : حماقة وزندقة وكفر .

على هذا المسلك الباطني درج كُهانُ هياكل (آتون المصري) . واليوغاشتْهَ الهنـدية والـ (Bouddhisatvas ، البـوديـزتقـا الصينيـة) ، ومتعبـدو زَقُّـورات (مـا بـين النهـرين وفارس) و (الألوزه الديونيسية) والمدرسة الفيتاغورية ، والمـذاهب الباطنيـة في الديـانات السماوية الثلاث ـ ذلك ما سنبحثه في فصولنا اللاحقة .

لقـد اتفق المؤرخون عـلى تسمية تلك المملكة الـروحانيـة في ضلوع (حملايـا) بـ : (شمبالا) ولزيادة التعرف عليها نُلمُّ بوصْفِها موجزين :

نقلتْ صحيفة « الديلي تلغراف » الأسترالية في منتصف كـانون الثـاني عام (١٩٥٩) ما مضـمونه : « قام الـدكتور الصيني (لاوتسـين ـ Lao Tsin) برفقـة (نيبـالي) يوغي إلى منـطقة « شمبـالا » في الشمال الغـربي من جبال حمـلايا ، خـلال القرن الحـالي . تعـرض الطبيب إلى مشاق السفـر ومخاطـره وبُعد مـداه ، وشاهـد القصر الفخم واجتمع باليـوغيين المثاليين هنالك ، ورأى ما لديهم من مختبرات ومعابد رائعة في تعاليمها ومعجـزاتها . وأدقّ ما لفت فكره إليه ، قدرتهم الفائقة على « التخاطـر ـ Telépatie » الذي يمـارسونـه بيُسرٍ ، وعلى مسافاتٍ بعيدة . علاج هؤلاء الأعشاب ، ومجتمعهم متناهي الوُدّ والتحـابّ ، وعُمق البصيرة في الروحانيات . يثق سكان شمبالا بأنّ لهم أخوة في أقطار الدنيا ، يدعون مثلهم إلى المحبة وللصدق والإستقامة .

كثير من الرحّالة قديماً وحديثاً ، قاموا بزيارة تلك الأماكن البعيدة وتشابهت أفكارهم في وصفـهـا . مـن أولئـك : الـدكتـور روديـن في كتـابـه « قـلب آسيـا » و(جـيمس هيلتـون ـ J.Heltown) و(بـولس تـويتشيـل ـ P. Twitchell) في مؤلفـه : مفتـاح العـوالم السريّة . وأحدث هذه المؤلفات : (العين الثالثة) لِـ « لُوبْزِنْغ رمبا » عام (١٩٨١) .

يُسمّى أولئـك الجماعـات المُتباعِـدو الأقطار ، بـاللغة السنسكـريتية : (الأرْهـات) وتعني الكلمـة : الصافـون من كل شـائبة ، والمؤهّلون للولـوج في : النـيرفـانـا (النَعيـم الأبدي) ، حيث تتكشف لهم الحقائق الكونية ، ويضيع الزمـان والمكان . يعتـرف أولئك

لأخيار في « شمبالا » وفي الأماكن المماثلة لها في الدنيا والسمٰوات ، بأن لهم أسياداً خمسة ساهرةً ، موجهةً للخير والمراقبة . أسمتهم تلك اللغة بـ (البوذيزدڤات) والكلمة معادها إلى (بوذا) الإله أو الحكيم المستنير ، وهو نفسه .

إن حاضرة (شمبالا) في دائرة المعارف الروحية هي مصدر ومستقرّ العلم الروحي في العالم ، وهي منبثق فجر النور الهادي إلى سعادة كل إنسان وإلى ترقّيه روحاً وجسداً ، وإلى انفتاح مداركه قدر صفاء نفسه وجليل خَدماته الإنسانية .

بهذا كلّه صرّح الدكتور (نقولا روريك) في كتابه « التجارب نحو الأعمق » الذي أشرفت على طبعه جامعة « بال » الأميركية. وعقب هذا الكتاب مؤلَّفٌ آخر تناول الموضوع نفسه للسيد (جورج نقولا روريك) باشراف أكاديميّة العلوم السوفياتيه أمعن فيه بسِيْرة روّاد وسُكان شمبالا . وعقبه كثيرون ، بينهم المؤلف : (س . بودن Bawden) في : (التاريخ الحديث لمنغوليا) ، حيث تناول الموضوع نفسه بكثير من الشمول .

شمبالا :

يعتبر العلماء الروحانيون أن معظم الأساطير قائم على حقائق ، وأن الأقلام المتعددة التي تتناولها ، والقِدَم السحيق ، يسبغ عليها ضباباً كثيفاً ، يضلل العقل البشري عما في الأسطورة من حقائق . وأثبت علماء الانتربولوجيا حقيقة اساطير عدة ، ولعله مع الأيام يثبت واقع : (شمبالاّ) المكان الخفي .

اعتبر كُتّابٌ كُثرٌ (شمبالاّ) اسطورة لا حقيقة فيها ، وآخرون ، بعد دراسات وبحوث شاقة ، ومجازفات ومغامرات ، كشفوا فيها وجهاًللحقيقة ، مقدمين عشرات المؤلفات التي تحددها وتميز شعبها ، وتُضفي عليها وشاحاً مزركشاً من الخوارق، في ظلال القداسة المتناهية ، والإيمان العميق بمتانة الأخلاق ونكران الذات .

اختلف المستشرقون والرواد ، كذلك ابناءُ الشرق الأقصى انفسهم ، اختلفوا حول التحديد الدقيق لمنطقة (شمبالا) . بعضهم اعتبرها شمالي الصين وبعض على القمم المنتصبة في احضان صحراء (غوبي Gobi) وآخرون حددوها في الشمال الغربي لسلسلة (حملايا) بجوار (التيبت) . وقال بعض هي : وراء نهر (سير داريا Syr Daria) ولم يتعد أحد من هؤلاء منطقة حملايا .

المعروف لدى التيباتيين ، أن عقيدة سكان (شمبالاّ) هي نفسها العقيدة التي يعتنقها كهنة الأديرة في أعراف (حملايا) . وقد ألمحنا سابقاً إلى أصول هذه العقيدة . ونوضحها اكثر بالإيجاز اللاحق ، فوّه إليه الاستاذ ملاعب في (حضارة الحكمة والحكماء ج : ٢) تاريخ (١٩٨٥) .

الفصل الثالث

حقيقة شمبالا : قال الرحالة الروسي (برجفالسكي Brezevalsky) من زهاء مئة عام : « فيما يتعلق (لشمبالا) هنالك قصة ممتعة جداً : انها تقع بعيداً جداً عن البحر الشمالي . . لا يعرف الفقر له طريقاً إلى تلك المنطقة المحيِّرة » . .

وقال البحاثة الايطالي : (غيوسب توسي ، G. Tucci) في كتابه : (المخطوطات التيبتية الملوَّنة عام (١٩٤٩) قال : « تقع شمبالا ، قرب نهر تاريم Tarim) . . . وتشير الأبحاث إلى أن سلالة من الحكام العظام سيطرت على مملكة شمبالا ، وحفظت لها التراث النفسي وهو الـ : (كالاشاكرا ، Kalachacra) أعني العالم البوذي السري ، المُعَدّ لفئة قليلة من الناس . . »

ولن يغرب عنا ما عاناه العالم الانتربولوجي الروسي (نقولا روريك) (١٨٧٤ ـ ١٩٤٧) وابنه وزوجته في سبيل الكشف عن غوامض مملكة (شمبالا) . بعد سنوات خمس قضاها في ضواحي (حملايا) ألَّف كتابه (قلب آسيا) موضحاً فيه التيارات الباطنية في البلاد ، وصلتها الوثيقة بقدسية (شمبالا) . ولم يأت البروفسور (روريك) بالعُجاب في ما كتب عن (شمبالا) وآهليها ، وعن طهارتهم وتقواهم وبُعدهم عن المادة ، إنما قد اقتبس ، فوق ما تلمَّسَ من مخطوطات عن (البوذية الماهايانية) ما أكَّدَ الكثير من تحقيقاته .

وعقب البروفسور (روريك) المستشرقة الفرنسية ، وقد ألمحنا إليها السيدة : (الكسندر داڤيد نيل) التي صرفت سنوات عدة في (التيبت) وجوارها ، تتقصى المعلومات حول (شمبالا) وحقيقة وجودها ، وطرق معيشة أهلها ، والتيارات الروحية

التي تدفع بهم إلى ذلك السمو في نفوس معظم أبناء الشرق الأقصى، كان لكتابها الشهير : (The Super Human Life of Gessar of Ling)أثر كبير في تثبيت حقيقة (شمبالا) ، لدى العرفانيين .

إن مسلك (البوذي زتقاس) في التيبت يعير قمم (شمبالا) العناية القصوى والتقدير الفائق ، ويعتبرها الجنة الأرضية ، حيث المحبة والتسامح والطهارة والإيمان .

المفهوم الغربي لله

على رغم أن الديانات الشرقية وفلسفاتها تشمل عقائد ذات أهمية متعلقة بالله فأن الدراسة الحاضرة تتناول الفلسفات الغربية فقط . ان الحد الأدنى في هذا المفهوم هو الأغنوصيّة (أي التشكيك) وهي تُقِرُّ بوجود الله ، إلا أنها تنكر أن من الممكن أن نعرف أي شيء عن طبيعته. الداعية الرئيسي للمشككين هو (هربرت سبنسر) الذي اعتبر أن العلم والدين يتفقان فقط على اعتبار الله مفهوماً مطلقاً، لا يمكن أن تعرف ماهيته ، وهو قائم خارج كل معرفة بشرية . وهو يقول : المعرفة تشمل ثلاثة عناصر : العلاقة ، الاختلاف (التباين) والشبه والوجود غير المحدّد بشروط (أي الله) الذي لا يستطيع أحد أن يثبت في شأنه أياً من هذه العناصر بدون تناقض . هو بالتالي لا يمكن أن يشكل موضوعاً للمعرفة » .

النظريات الأغريقية :

في الجهة المقابلة للمشككين Agnostrisim نجد المفهوم البشري للذات الإلهية Anthropomorphism التي تفهم الله في شكل بشريّ وتنسب إليه صفات إنسانية كثيرة . بعضُ الديانات الأغريقية كانت تتبنّى آلهةً عدّة . وبعضها يؤمن بآلهة لهم شكل بشري ، وأحاسيس بشرية ، ومزيج من الخصال الإلهية والبشرية . وفي مواجهة هذا المفهوم أخذ الفلاسفة الاغريقيون الأوائل يعلّمون أن الله أو الأساس الأزلي الذي لا يموت هو قوة غيرمنظورة ، وعقل و« قانون » كوني شامل أنه، قانون (نظام) لا يمكن إدراك كنهه، يحكمُ كل شيء . وقال (زينوفانيس): هناك إله واحد ، وهو الأعظم بين الآلهة والناس . ولا

يشبه اطلاقاً المخلوقات غير الأزلية ، جسدياً وعقلياً ، يُحرِّك كـل شيء دون عَناءٍ ، وذلـك بفِكرةٍ تنطلق من عقله » . وتابع أفلاطون الاعتراض الفلسفي على الصفة البشرية لله . فهو يعتبر أنه لا يمكن أن ينسب أي شرٍّ أو حَسَدٍ أو تَبدُّلٍ ، للأسس الإلهية حقاً . لأن الله لا الإنسان هو المقياس الأسمى لكل شيء في الوجود ، بما في ذلك المقاييس المختلفة التي يعتمدها الإنسان لتقويم الأشياء .

عدد أفراد الديانات في القارات الخمس : من كتاب احصاء العالم . النسخة عام (١٩٨٧)

World Almanac (1987)– Newyork.

مجموع الديانات :	الولايات المتحدة	أميركا الجنوبية	أوروبا	آسيا	أفريقيا	أوقيانيا
مجموع المسيحيّين :	٠٠,٢٦٢,٨٧١,٠٠٠	٠٠,١٩٥,٤٣١,٠٠٠	٠٠,٣٢٩.٣٨٠,٠٠٠	٠٠,١٠٦.٢٣٠,٠٠٠	٠٠,١٤٩.٢٠٠,٢٠٠	٠٠.٠١٨,٦٠٠,٠٠٠
الكاثوليك :	٠٠,١٤٣,٥٥٠,٠٠٠	٠,١٨٥,١٠٠,٢٠٠	٠٠,١٧٧.١٤٠,٠٠٠	٠٠,٠٥٨,١٠٠.٢٠٠	٠٠,٠٥٩.٧٠٠,٠٠٠	٠٠,٠٠٥,١٠٠,٢٠٠
أورثوذكس :	٠٠,٠٠٥,٣٢٠,٠٠٠	٠٠٠,٣٣٠,٤٠٠	٠٠,٠٤٣,٤٣٠,٣٠٠	٠٠,٠٠٢,٨٠٠,٠٠٠	٠٠,٠٠٦,٧٠٠.٢٠٠	٠٠.٣٧٠,٠٠٠
بروتستنت :	٠٠,١١٣,٧٠٠,٠٠٠	٠٠,٠١٠,٠٠٠,٤٠٠	٠٠,١٠٨,٨٠٩,٥٠٠	٠٠,٠٤٥.٣٢٩,٨٠٠	٠٠,٠٨٢,٨٠٠,١٠٠	٠٠,٠١٣,١٢٩,٨٠٠
اليهود :	٠٠,٠٠٧,٦٣٠,٠٠٠	٠٠٠,٧٢٠,٢٠٠	٠٠,٠٠٣,٨٠٠,٠٠٠	٠٠,٠٠٤,٥٠٠,٠٠٠	٠٠٠,٢٢٨,٥٠٠	٠٠,٠٧٤,٠٠٠
الإسلام :	٠٠,٠٠١,٨٢٠,٠٠٠	٠٠٠,٠٣٩,٠٠٠	٠٠,٠٢٠,٤٠٠,٠٠٠	٠٠.٣٨٢,٠٠٠,٠٠٠	٠٠,١٥٠,٣٠٠,٠٠٠	٠٠,٠٨٩,٠٠٠
الزرادشتيّة :	٠٠,٠٠٢,٧٠٠,٠٠٠	٠٠٠,٠٠٢,٦٠٠	٠٠,٠١٤,٠٠٠	٠٠,٢٣٠,٠٠٠	٠٠,٠٠١,٥٠٠	
الشنتو :	٠٠,٠٠٠,٠٤٨,٠٠٠			٠٠,٠٣٢,٠٠٠,٠٠٠	٠٠,٠٠١,٥٠٠	
الطاويّة :	٠٠,٠٠٠,٠٣٠,٠٠٠	٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠	٠٠,٠١٢,٠٠٠	٠٠,٢٠,٠٠٠,٠٠٠		
الكنفوشيّة :	٠٠٠,١٠٠,٠٠٠	٠٠,٠٥٦,٠٠٠	٠٠,٤١٠,٠٠٠	٠٠,١٥٠,٤٠٠,٠٠٠		٠٠,٠٠٣,٠٠٠
البوذيّة :	٠٠,٠٠٠,٣٥٠,٢٠٠	٠٠٠,٢٤٨,٠٠٠	٠٠,٢١٠,٠٠٠	٠٠,٢٤٦.٧٤٠,٣٠٠		٠٠,٠١٨,٠٠٠
الهندوس :	٠,٠٠٠,٣٨٠,٠٠٠	٠٠٠,٢٤٨,٠٠٠	,٣٩٠,٠٠٠	٠٠,٤٦١.٣٠٠,٠٠٠	٠٠,٨٠٠,٠٠٠	٠٠,٣٢٥,٠٠٠,٠٠٠
الأدڤنست :	٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٦٥٠	٠٠٠,٦١٥,٢٠٠				٠٠,٣٢٥,٠٠٠
المَعْمدانيُّون	٠٠,٠٢٧,٠٠٠,٠٠٠					
الرائقيّة :	٠٠,٠١٣,٠٠٠,٠٠٠					
مجموع الديانات :	٢٧٢,٢٣١,٦٥٠	١٩٧,٤٧٤,١٠٠	٠٠,٣٥٤,٦١٦,١٠٠	٠٠١,٤٠٣,٠٨١,٣٠٠	٠٠,٣٠٠,٥٤٤,٢٠٠	٠٠,٠١٩,١٣٣,٠٠٠
مجموع السُكّان :	٠٠٠ و٨٠٢, ٤٠٠,٠٠	٠٠,٢٦٨,٨٢٥	٠٠,٧٧٥,٣١٠,٠٠٠	٠٠٢,٨١٩,٠٨١,٠٠٠	٠٠,٥٥٣,٢١٠,٠٠٠	٠٠,٠٢٤,٣٢٠,٠٠٠

ب ـ المراجع العامة لينابيع الباطن

I

١ ـ رحلة إلى الشرق ـ جيراردي نرفال (١٨٥٢) ترجمة الدكتور بحيرى ؟

٢ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ـ يوسف كرم ـ دار التعلم ـ بيروت .

٣ ـ مضمون الاسطورة في الفكر العربي ـ الدكتور خليل احمد خليل ـ دار الطليعة بيروت ١٩٧٣ .

٤ ـ عالم المعرفة ـ المستشرق جاك شورون ـ الكويت (١٩٨٤) .

٥ ـ معجم الاساطير ـ سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر ـ دمشق (١٩٨٢) .

٦ ـ حضارة تمتد سبعة آلاف سنة ـ ايفار ليسنر ـ الهيئة المصرية للكتاب .

٧ ـ الاسطورة ـ ك . ك رانفين ـ تعريب جعفر صادق الخليل ـ بيروت (١٩٨١) .

٨ ـ المختار (مجلة) تموز (١٩٨١) عدد (٣٢) .

٩ ـ رحلة جبابرة العقل البشري ـ حلب دار الكتاب العرب ط ١ (١٩٨٣) .

١٠ ـ حضارة الحكمة والحكماء ـ سعيد ملاعب ـ الجزء الأول والثاني (١٩٨٥) ؟

١١ ـ سلسلة الوجود الكبرى ـ أرثر لوفجوى (   ) ترجمة : ماجد فخر ـ مصر .

II

1 - Tibetan Yoga and Secret Doctrines - Wents U. S. A. (1981)

2 - The View over Atlantis - Secrets Mysteries - (John Michell. (U. S. A.).

3 - Mrs Blavtsky (The Secret Doctrine) (1880) Moscow.

4 - Aley Sugropy (Crimson Snow heaps) Moscow (1925).

5 - Shamballa - Andrew Thomas - London (1965)

6 - Oasis of Light - Andrew Thomas - London (1977).

7 - Edwards. J. E. S. The Pyramids of Egypt - London - Hazel Watson (1980).

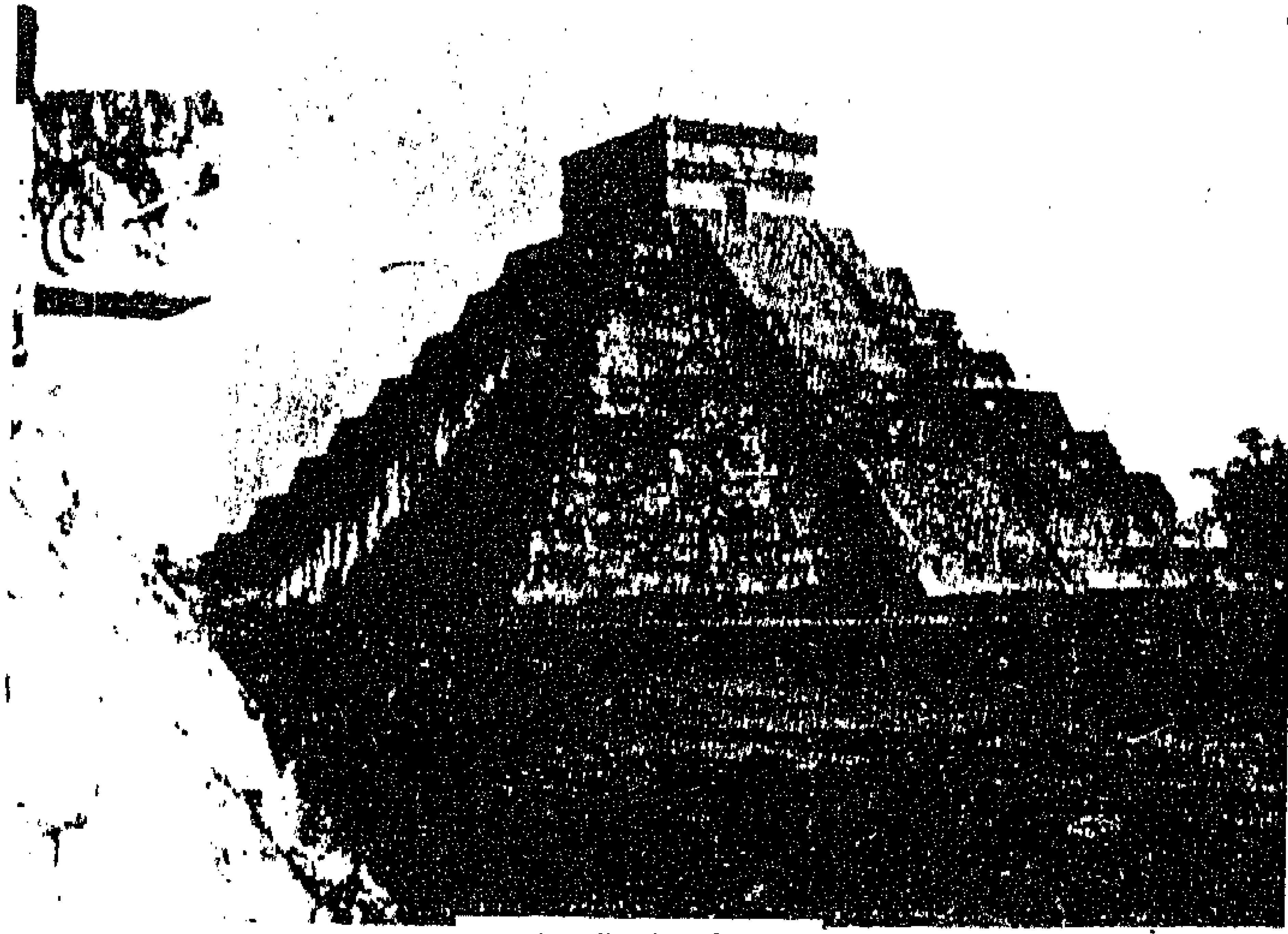
8 - Wantz Evans - The Tibetan Bouk of the Dead - London (1980).


الإلهة ديمتر


أبولونيوس



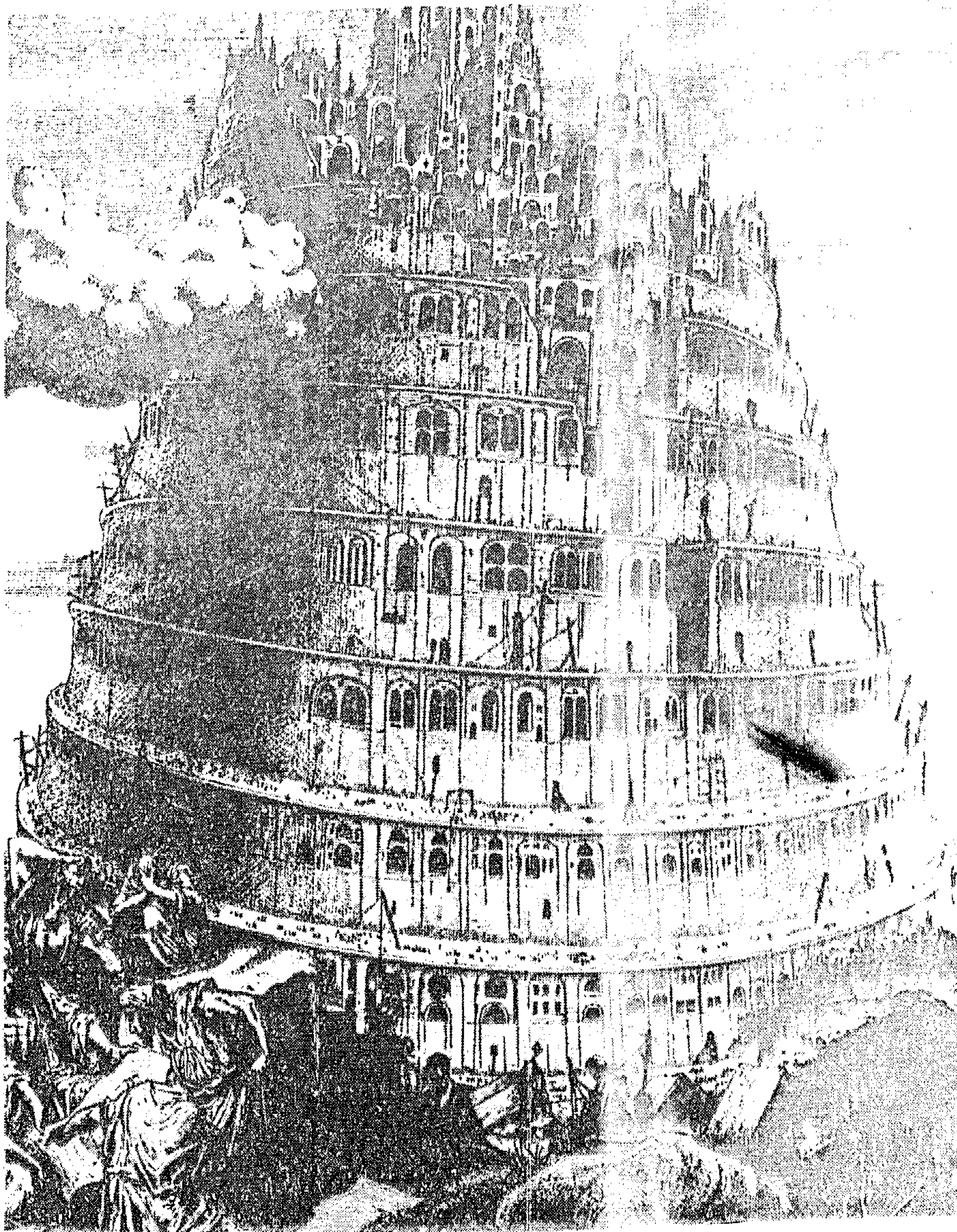
بوديزتفا الرحمة (التيبت)



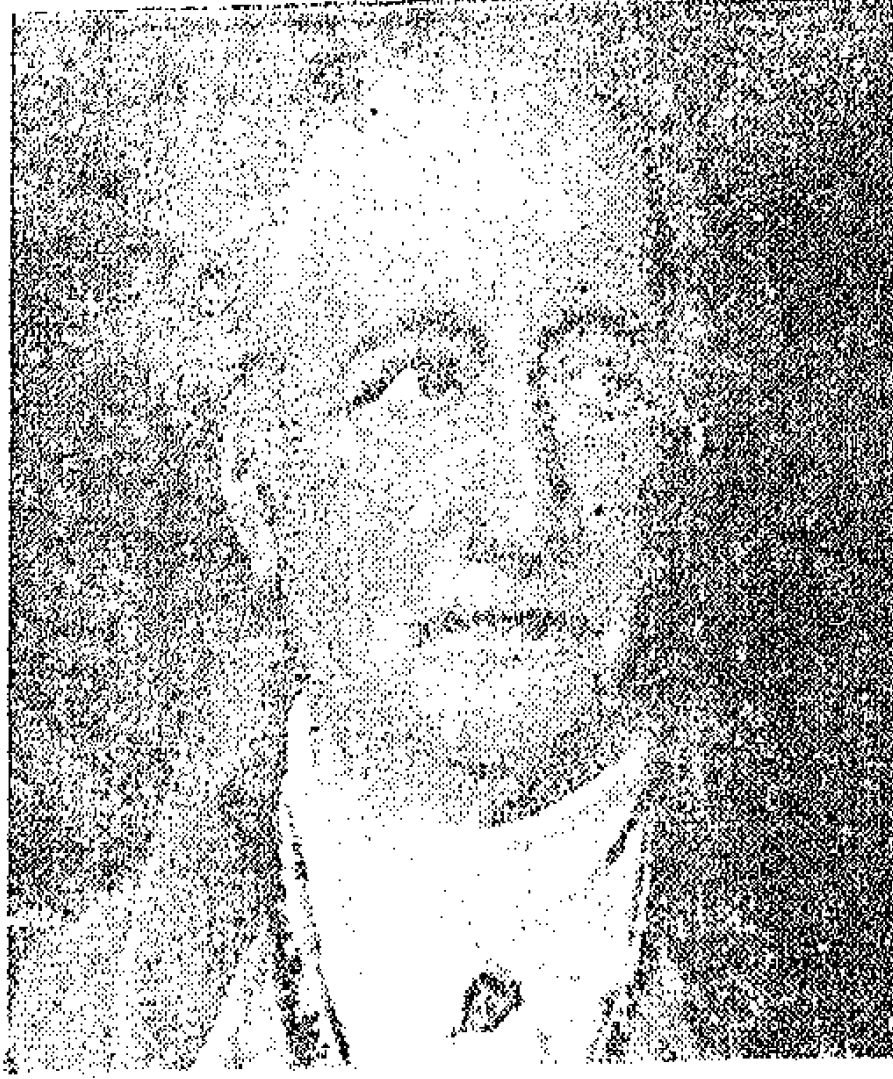
هرَم (في المكسيك)

المُرشِدة تارا





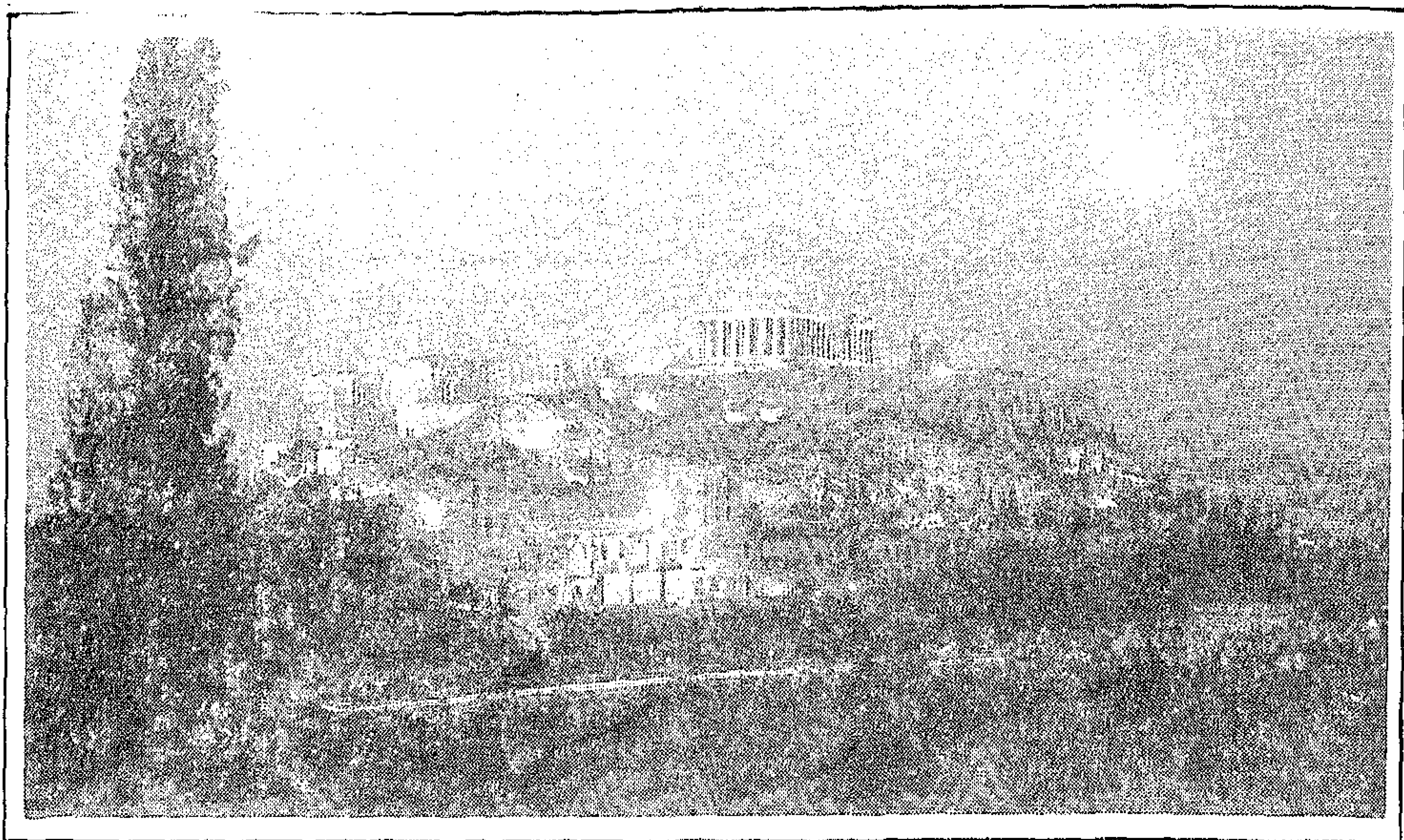
برج بابل



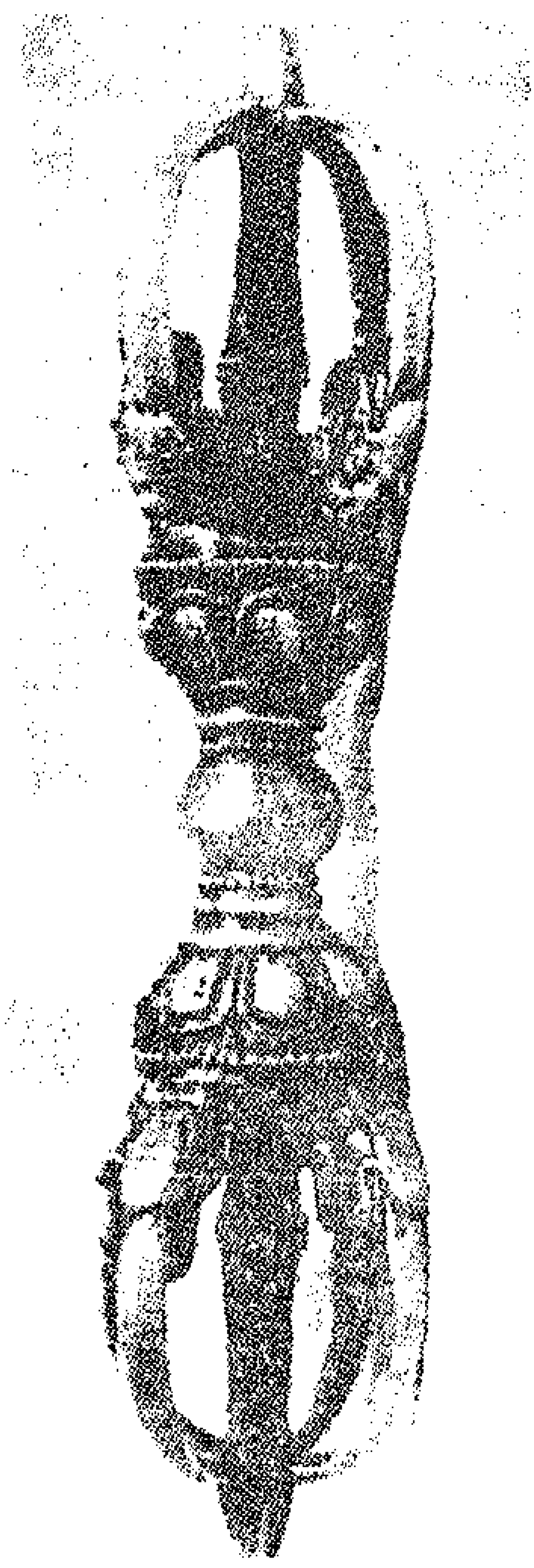
توماس مور



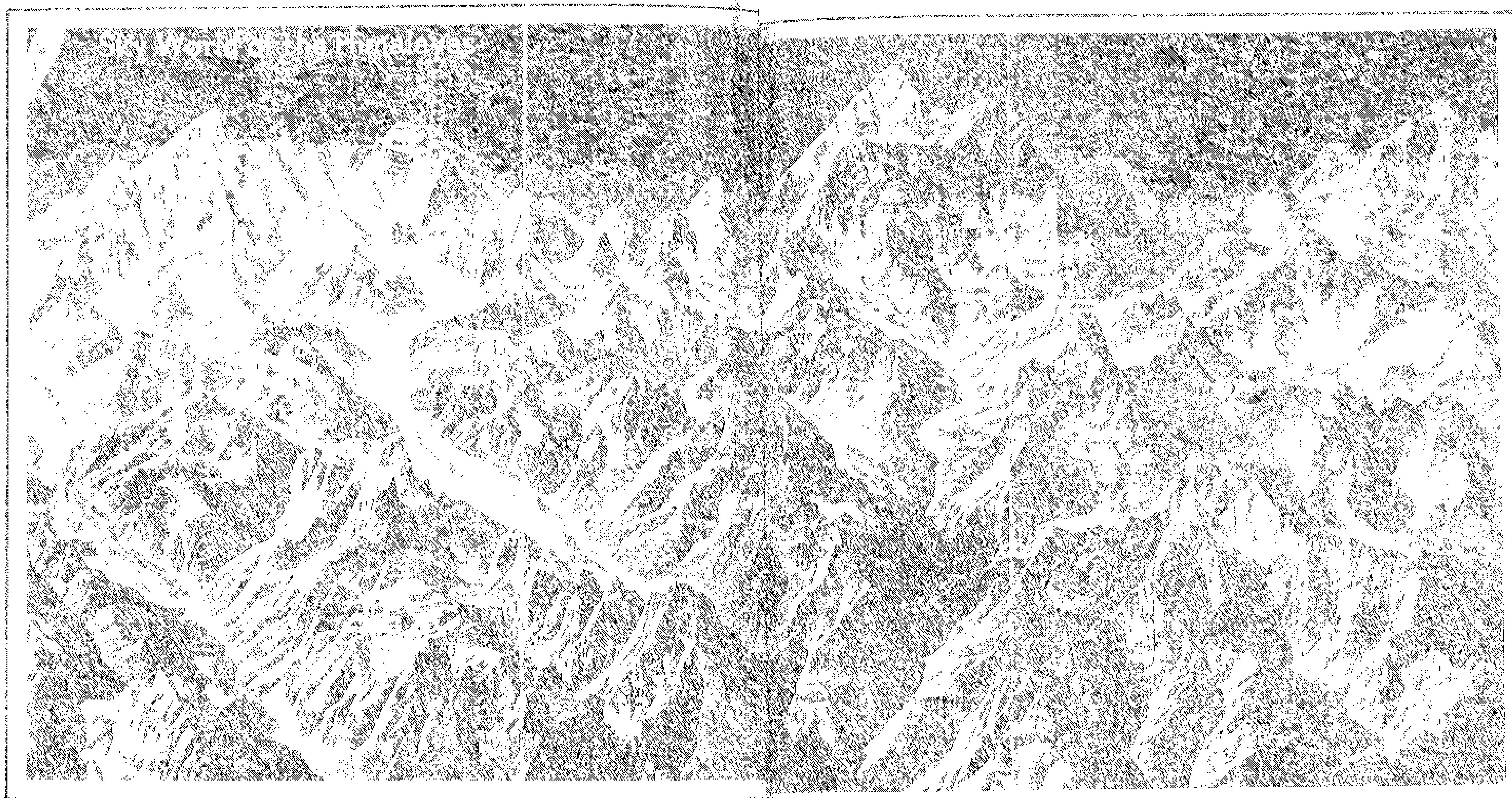
الامبراطور كراكلا



الأكروبول « اليونان »



« الدورج » أو القضيب
السحري التيبتي الذي
جاء من السماء


Sky World of the Himalayas

الكرونولوجيا

التـــوقيت الــزمني لــلاعــلام
والاحـــداث والاماكن

التاريخ
ـ قبل المسيح ـ

الديني	العام (ق . م)	الحضاري	السياسي
قبل ثلاثة ملايين سنة في إفريقيا الشرقية عثر على آثارٍ لأقدم الأوائل إسمُهم : (الأُسترالوبيتاكيون وعرفت يومذاك النار). قبل عشرة آلاف سنة انتهت حقبات الجليد وبدأ الأَوائل في تدجين الحيوانات وتحسين الغذاء واستعمال مواد البناء			
	(ق . م) ٢٠٠٠٠	إستعملت الزوارق المائية من جذوع الشجر .	
البشر يعبدون قوى الطبيعة والسلف والجماجم والطوطم لِقلقهم على المصير وضمان سلامتهم في تصرفاتهم اليومية .	١٠٠٠٠	إنتهت حقبات الجليد وبدأ الأوائل في تدجين الحيوانات وإستخدام مواد البناء والغذاء الأفضل . مولد هوميروس (القرن التاسع ق . م) .	
كان يعبد بعضهم المجهول ثم غدا الكائن الأعلى الخفي .	٠٧٠٠٠	المصريون اكتشفوا الذهب وكفتيّ الميزان .	٦٠٠٠ ـ استُعمل الذهب والفضة والنحاس ٥٠٠٠ بدء حفر الأقنية .
	٠٤٥٠٠		منفيس أول فرعون في مصر .
أتون ينادي بالإِله الأَحد في مصر ويبطل المراسيم المتّبعة وأبهة الملك .	٠٤٠٠٠	الطِلاء على الخزف « الرافِديْن » .	

	٠٣٠٠٠	عُرف الحديد ولعلَّه من النيازك ، وتطورت لغة أشور الهيروغرافية والمسمارية ، و (٣٧٠٠) بناء هرم الجيزة .	بدء تاريخ الأُسر الصينيَّة ـ والساميون يستوطنون أرض ما بين النهرين .
ممارسة عبادات مختلفة جماجم ، طبيعة ، سلف ـ طوطم .	٠٣٠٠٠	الساميون يستوطنون ما بين النهرين .	
الإستبصار بواسطة كبِد الحيوان .	٠٢٩٠٠	بدء عصر الهَرم الأكبر « مصر » .	
الأهرامات قبور للملوك « مصر » والزقوّرات قبور في « فارس » و « كتاب الموتى « مصر » .	٠٢٨٠٠	بداية علم الفلك « بابل » و المراكب بشراع واحد « مصر » وعصور الصين الذهبيّة (٢٨٥٠) .	
عبادة الفرعون بن رَعْ . رعْ شمس يصبح الإلّه الأعظم « مصر »	٠٢٦٥٠ ٠٢٦٠٠ ٠٢٥٧٥ ٠٢٥٥٠	قصائد جلغامش . وفاة أمحوتب به باني الهَرَم المدرَّج .	دَور الملك الصيني الخطر « هوانغ تي والأسرة الثانية لمدينة « أوروك » أمبراطورية سرجون القديم من الخليج للمتوسط .
الديانة السومرية متعدّدة الآلهة ، عبادة الشمس في مصر كافة .	٠٢٥٠٠ ٠٢٤٥٠ ٠٢٤٠٠	بتحوتب يبني أعرق حضارة في مصر . والطلاء على الزجاج .	إجتياح القوط لِسومر وآكاد .

يتبع

التاريخ
- قبل المسيح -

الدين	العام (ق . م)	الحضاري	السياسي
	٠٢٣٠٠	سومر في قمة ازدهارها الحضاري . سلالة	
	٠٢٢٣٥	« أور » الأولى وتشييد مدينة « هرايا شمالي الهند » .	
	٠٢٢٥٠		نهاية المملكة السومرية
	٠٢٢٠٠		أسرة « هِيا » الصينيَّة .
تفوّق عبادة أوزيريس بمنفيس .	٠٢١٧٥		
	٠٢١٥٠		الأسرة البابلية الأولى
	٠٢١٠٠	تأسيس بابل	أول إمبراطور أشوري - سرجون الأول .
	٠٢٠٩٠	قانون حمورابي	
سيطرة عبادة الإله « أمون » .	٠٢٠٠٠	حمورابي والعصر الذهبي « لبابل » وصناعة الحرير في الصين وتوصل الإغريق إلى قياس	
	٢٠٠٠	دائرة الأرض بدقّة والحثيون : اتقان صناعة	
	١٩٧٥	الحديد ، والفولاذ . تمّ صناعة الورق الحضارة المينويّة	إجتياح الآخيين لليونان .
بدء ممارسة السحر والتعزيم .	١٩٥٠	إقامة أول القصور في جزيرة كريت .	الهجرات السامية المتتالية شطر سوريا .
	١٩٠٠		

إبراهيم الخليل .	١٨٥٠	أصل الأبجدية في سيناء وهي الأصدق قِدماً . الأناضول تصهر الحديد .	
	١٨٠٠	أول سلالة بابلية .	الفوضى في الدولة البابلية .
	١٧٥٠	إزدهار الحضارة الكريتية حتى (١٥٥٠)	الآريون يجتاحون البنجاب .
الآريون يعتمدون الڤيدا الهندية . استبدال عبادة أمون بـ : سَاتْ .	١٧٠٠	ووفاة حمورابي المتشرِّع الأول البابلي شريعة حمورابي (١٦٧٥) .	العبرانيون في مصر .
	١٦٠٠	إنخذال الهكسوس . اختراع الفأس والخنجر البرونزي .	تقهقر الهكسوس عن مصر .
ظهور الريغ ڤيدا الهندية .	١٥٧٥		
	١٥٠٠		خروج العبرانيين من مصر إلى فلسطين .
	١٥٤٥	موسى والوصايا العشر في سيناء .	
إنْدرا : إله الشمس والصاعقة وهو الأعظم في الهند .	١٥٠٠	أشور تستعمل الحديد .	
	١٤٧٥		مصر تستولي على بابل حتى المتوسط .
تعدُّد الآلهة الڤيدية في الهند .	١٤٥٠	مصر اخترعت ساعة الظل الشمسية .	

يتبع

- قبل المسيح -

الدين	العام (ق . م)	الحضاري	السياسي
	١٤٠٠	إستعمال المنافخ على الماء وكشف رسائل تلّ العمارنة . الحثيون استعملوا الفولاذ بإتقان	أسرة « إنّ » الصينية ـ والنفوذ الكبير لأشور .
الحثّيون : ميترا اله النور	٣٥٠		
أخناتون المصري يؤلّه أتون وتوت عنخموَن يعتبّر أمون إلهاً (١٣٦٥) .	١٣٦٥	أخناتون الملك الموحّد ينادي بالسلام والمحبة في شعر صوفي .	
حكماء إسرائيل والتلمود (١٣٧٠ ـ ١١٠٠) وأول ظهور الأبجدية .	١٣٠٠	ظهور الأبجدية في فينيقيا . إزدهار الحضارة المصرية .	اليمن دولة ذات شأن ـ معركة قادش . رعمسيس الثاني يجتاح الشرق الأدنى .
	١٢٠٠	إنحطاط الحضارة اليُوناكريتيّة . خراب أوغاريت بهجوم بحري وتدمير طروادة .	الإجتياح الدورياني لليونان . الفلسطينيون يجابهون العبرانيين . نهاية حرب طروادة (١١٨٣) .
إنحطاط الديانة المصرية .	١١٠٠	إنحطاط حضاري مصري عام .	تقهقر الدولة المصرية الكبرى .
كتاب حكماء إسرائيل (التلمود) مزامير داود		صناعة المِحراث في فلسطين والبوصلة في الصين .	

اليونان تعزّز الآلهة : ديونيسيوس ، ديمة وأپولون .	١٠٠١	البدء بممارسة طب الأسنان .	شاوول أول ملك عبري .
إنقسام الدولة اليهودية (٩٣٠) .	١٠٠٠	إخترع الصينيون الساعة المائية وإستعمل المصريون ورق البردي وازدهرت الحضارة الفينيقية .	
مصر تعبد الحيوان خاصةً أبيس .	٠٩٥٠		
تُشادُ أكبرُ المعابد اليونانية .	٩٠٠		بدء تفسُّخ الدولة المصرية ـ وأشور حتى المتوسط في فتوحها .
للهندو ـ أوروپيين آلهة متعدِّدة .	٨٥٠	ملحمة هوميروس صاحب ملحمتي الإلياذة والأديسة حور تبني قرطاجة (٨١٤) .	نشوء مدينة إسپرطة العسكرية . الأتروسك يحتلون إيطاليا . إسپرطة في قمة عظمتها .
إطاليا تدفن أو تحرق موتاها . في اليونان لا هياكل ولا ميتيولوجيا .	٨٠٠	بابل وأشور تؤسّسان المكتبات . أول أولمپياد في العالم (٧٧٦) تأسيس روما (٧٥٣) على يد روميلوس .	إيطاليا تتجزأ والأتروسك يسيطرون عليها كليّاً . مستعمرات فينيقية على المتوسط .
النّار مقدسة في روما وملوكها رؤوساء سياسة ودين . واليهود يقدمون الأولاد ذبائح في عهد الملك منّا	٧٥٠ ٧٠٠	يِيْ هوينغ ضبط الساعة المائية (الصين) .	سرجون يسيطر (٧٢٢ ـ ٧٠٥) من طوروس إلى مصر حتى الخليج العربي .

يتبع

التاريخ
- قبل المسيح -

الدين	العام (ق . م)	الحضاري	السياسي
	٦٧٥	إختراع النقود (٦٨٠) .	نوما : مالك روما الروحاني (٧١٥ - ٦٧٣) يدعو للسلام .
أهورامزدا والمزدكية (٦٦٠) .		تأسيس بيزنطيا (٨٦٠) .	الأشوريون يحتلّون مصر (٦٦٣) .
شريعة زرادشت (الأفْسْتها) (٦٢٥) .	٦٥٠	السومريون اكتشفوا التنجيم (٦٥٠) . في فارس استُخدمت الطواحين المائية .	
مولد سيد الطاوية الباطنية : لاوتسي تونغ (٦٠٥) . مولد المهَاڤيرا : مؤسس مسلك الجينيَّة (الهند) . توحيد الإلّه مَردوخ في (بابل) . الذبائح تُقدَّم للبرهْمان (الهند) - مولد بوذا (٥٦٣) .	٦٠٠	مصر تصنع الصابون . صولون وتشريعه الرائع لحفظ أثينا (٥٩٤) . دانيال الحكيم .	مصر تسيطر على المتوسط والبحر الأحمر . نهاية أشور ومعركة (كركميش) - (٦١٢) . سقوط القدس بيد البابليين - ترحيل اليهود إلى بابل : (٥٨٧ - ٥٣٩) . قمة عظمة فارس . وكورش سيد الشرق .
مولد كنفوشيوس (٥٥١) . المهاڤيرا يؤسس الجينية في الهند - لاوُتسي	٥٥٠	إزدهار حضارة فارس .	

يؤسس الطاوية في الصين ـ فيتاغورس يوضح النِحْلة الأُرْفية ـ إنحطاط ديانة مصر وبابل (٥٤٠) .		فتاة أكروبوليس ملهمة الشعراء في المتحف عام (٥٣٠) وفيتاغورس وعلم الهندسة (اليونان) (٥٣٠) . أشيل : الشاعر المأساوي اليوناني (٥٢٥ ـ ٤٥٦) .	الفرس تسيطر حتى المتوسط . الفرس تحتل مصر (٥٢٥) . مملكة روما تصبح جمهورية (٥١٠) .
كنفوشيوس : وزير حكيم للصين وصاحب مبادىء أخلاقية سامية . البوذية عمت الصين (٤٩٥) . وفاة بوذا (٤٨٣) . وفاة كنفوشيوس (٤٧٩) . وفاة المهاڤيرا سيد الجينية (٤٦٧) .	٥٠٠	الصين تبتدع الحبر وتبني السدود (٥٠٠) . پاريكلاس يوقظ الفكر اليوناني (٤٩٥ ـ ٤٢٩) والطاعون يجتاح مصر . أثينا تتفتّح على الباطن التوحيدي وعلى مختلف العلوم والفنون . وأغاني الشاعر (أورْفوس) الباطنية وعنفوان الأمبراطورية البيزنطية (٤٩٠) .	أثينا تهزم الفرس بمعركة (ماراتون) (٤٩٠) . الفرس تدمّر أثينا (٤٨٠) . معارك داخلية بين أثينا وإسپرطة .
	٤٦٠	مولد بُقراط : أبو الطب ـ وديمقريطس صاحب النظرية الإجتماعية الحاملة إسمه (الديمقراطية) (٤٦٠) .	
تشييد البراتيون في أثينا (٤٤٧ ـ ٤٣٧) .	٤٥٠	هيرودوت : المؤرخ الكبير ، وأرسطو : أبو المنطق ، وعلم البيولوجيا (هيپوقراط) .	نفوذ الهون وأتيلا يجتاح من جبال (أورال) إلى ضِفاف الرين ثم عقبه الڤيزيكوت فقهروا أتيلا (٤٤٥) .

يتبع

التاريخ
- قبل المسيح -

الدين	العام (ق . م)	الحضاري	السياسي
تشييد معبد أپولون الخطير (٤٣٠) .		تشييد الپاراتيون في أثينا (٤٤٧ - ٤٣٨) . وفاة أفلاطون صاحب كتاب (الجمهورية) . الطاعون الجارف في مصر (٤٣٠) .	الحرب الپولينيزية . إسپرطة تهزم أثينا وتسيطر عسكرياً (٤٣٥) .
	٤٠٠	تفتُّح الفكر اليوناني النابغ علماً وفلسفة . وفاة سقراط : القائل : « إعرف نفسك » (٣٩٩) .	إنتهاء الحكم الروماني في أسپانيا (٤٠٩) . إجتياح الڤيزيكوتْ والڤَندال لِغربي أوروبا - القضاء على الأمبراطورية الرومانية .
إنحطاط الدين وبدء العصر الهليني (٣٥٠) . والهندوكية تلعب الدور الأبرز في الهند بعد البرهمانية .	٣٥٠	الإسكندر الكبير (٣٥٦ - ٣٢٤) . الإسكندر يبني الإسكندرونة والإسكندرية بعد معركة (إسُّوس) (٣٣٢) .	الغاليون يحتلُّون روما (٣٩٠) . مقدونيا تسيطر عسكرياً على الجوار . الإسكندر يقهر الفرس وينتزع ممتلكاتها (٣٣٤ - ٣٢٤) . الإسكندر يتَّجهُ شرقاً شطر الهندوس (٣٢٦) .
	٣٢٠	ديموستين الخطيب الأثيني المناضل (٣٢٢) وإقليدس في نظرياته (الأصول والأرقام) ووفاة أرسطو - إزدهار حضارة (رودس) .	

بناء الهياكل في روما طيلة القرن . ومولد منسيوس خلفاً لِكنفوشوس وتشييد معبد أسكليبيوس الطبيب الروحاني اليوناني . إنقسام البوذية إلى ؛ هينيانيةٍ و مهايانية (٢٧٥) . الكنغوشية في الصين . البوذية في الهند .	٣٠٠	سلوقش يؤسِّس أنطاكيا ـ الهند تخترع الأرقام (العربية اليوم) ـ حضارة متطورة في جنوبي أميركا .	شعوب (السَلْتْ الروحانيون) يحتلون أوروبا الشمالية والجنوبية ، وينشرون المبادىء الباطنية الدرويدية السابقة حتى إنكلترا (اليوم) .
	٢٥٠	أثينا تفقد سيادتها محافظة على كثير من حضارتها . وأوج الحضارة الرومانية . (شِيه ـ هونغ ـ تي) يبني سَدَّ الصين . أول الآثار الأدبية اللاتينيّة (٢٤٠) . بطليموس صاحب نظرية دوران الأفلاك وثبوت الأرض ـ منارة الإسكندرية . أرخميدس مُكتشف مبدأ الثقل النوعي عام : (٢١٢) .	إيطاليا تصبح رومانية ـ ولادة هنيبعل ـ وبدء تصدُّر الأمبراطورية الرومانية . (٢٤٧) . هنيبعل يقطع الألب وينتصر في (كانا) وينهزم في (زاما) (٢٠٢) . السد الصيني يوقف الغزو الهوني .
معبد جديد في روما للإِله : جوبيتر (١٨٩) . القائد الهندي أسوكا يبني هيكلاً فخماً في الهند لبوذا بعد التنكُر لتعاليمه عام : (١٧٥) .	٢٠٠	أُسرة (هان) الصينيَّة تلعب دورها الكبير .	روما تدمِّر إسبرطة روما . . . .

يتبع

التاريخ

- قبل المسيح -

الدين	العام (ق . م)	الحضاري	السياسي
الصين تعتمد الكنفوشية : (١٥٥) .	١٦٠		معاهدة أُقاميا (شمالي سوريا السلوقية (١٨٨) . كليوپاترا سيدة مصر (١٧٢) . روما تحتل مصر وتنتصر عل مقدونيا . الرومان يخربون قرطاجة (١٤٦) ومقدونيا مستعمرة رومانية ، وتتبسط في آسيا الوسطى (١٣٠) .
عبادة الأمبراطور وديانات غربية شرقية تدخل روما وتدعو للباطن التوحيدي (٨٠) .	١٠٠	الصين تستعمل الورق . تستخدم النواعير (٩٠) ق . م . مولد الشاعر الملحمي الروماني : ڤرجيل (٧٠) ق . م .	ملوك حِمير (سبأ) بين (١١٥ ق . م - ٣٠٠ ب . م) . سِيلًا : دكتاتورٌ في روما (٨٢ - ٧٩) .
عبادة ميترا تدخل روما ويتبنّاها الأباطرة (٦٧) .	٦٠		قيصر يحتلُّ غوليا (٥٩ - ٥٠) ق . م ويصبح سيد بلاد الغول . أوغسطس قيصر (٦٣ ق . م ١٤ ب . م) . القيصر يجتاح فرنسا (٥٨ - ٥١) .

	٥٠	روما استخدمت النواعير المائية عام : (٤٨) .	إغتيال يوليوس قيصر (٤٤) .
		أوڤيد (روماني) أعظم شعراء العصور القديمة (٤٣) .	نهاية الدولة اليهودية وتشريدها ومعركة (أكتيوم) مع إحتلال أكتاڤيوس لمصر (٣١)
أكتاڤيوس يأخذ لقب أوغسطس إلهاً (٢٧) .	٣٠		مقتل كليوبترا وانطونيوس قيصر عام (٣٠) .
مولد يسوع المسيح (بيت لحم) فلسطين (٤) ق . م .	٢٠	روما سيدة العالم حضارياً وسياسياً (٢٠) . وفاة ڤرجيل الروماني صاحب ملحمة الإينياد القلاّحيات (١٩) .	

التاريخ المسيحي

الدين	العام (ب . م)	الحضاري	السياسي
البوذية في الصين والانقسام البوذي في الهند (٢) ب . م .		السلام الروماني العام .	
المسيح على الصليب ونشوء المسيحية الأولى وإستشهاد يوحنّا المعمدان وهو الراعي الصالح (٢٨) م .	٢٨		
أول تبشير للقديس بـولس بين (٤٠ و٦٠) م .			
كتابة إنجيل متّى بالآرامية عام نحو (٥٠) م . إنجيل هرقس باليونانية عام نحو (٦٣) ورسائل القديس بولس عام : (٥١ - ٦٣) . القديسان بطرس وبولس يستشهدان في روما (٦٤) ويعدُ تتعرَّض الكنيسة لإضطهدات متواصلة حتى عام (٣٠٣) .	٥٠	نيرون يحرق روما . تدمير القدس (ڤسپازيان)(٦٧) .	خراب أورشليم (٧٠) .
عبادة الأمبراطور في روما (٨٠) .	٨٠		.

البوذية تضعف في الهند وتنشط في الصين (٨٢) .		إستعمال الورق والحبر في الصين (٨٩) .	
	٩٠		الأمبراطور الصيني (هوتي) يستعمر حتى خليج العرب (٩٥) .
شهداء الدين المسيحي .	١٠٠	قمة إزدهار مدينة (البتراء في غضون القرن الأول) م . الصين تخترع الورق المتداوَل (١١٠) .	روما تستولي على (تَدمُر) .
	١٣٠	تشِنغ هنغ يخترع مقياس الزلازل (١٢٠) . تدمُر في عظمتها وازدهارها بين (١٣٠ - ٢٧٠) .	
البوذية تنافس الطاوية في الصين (١٦٥) .	١٦٠		
ناغرجونا : بعث البوذية في الهند (١٨٥) .		وفاة بطليموس (١٦٨) .	إنحطاط أمبراطورية (هان) في الصين (١٦٥) .
بدء الدعوة المانوية (٢٤٢) . معبد الشمس يُبنى في روما على شرف الإلّه (ميترا) (٢٥٠) .	٢٠٠	إنحطاط الأمبراطورية الرومانية حضارياً وسياسياً خلال القرن الثالث ازدهرت مدرسة الحقوق في بيروت .	أُذينة يستولي على العراق وسوريا من فارس (٢٦٠ - ٢٦٣) . أُورْليانوس يأسر زنوبيا ويقودها إلى روما مكبَّلة بالسلاسل (٢٧٤) .

يتبع

الدين	العام (ب . م)	الحضاري	السياسي
وفاة (ماني) وهجودُ مذهبه . الطاوية تسيطر في الصين (٢٩٠) .	٢٨٠	الصين تستعيد وحدتها .	إنقسام الأمبراطورية الرومانية (٢٨٥) .
حُرِّية ممارسة المسيحية في الأمبراطورية الرومانية وبيان (ميلانو) واعتراف قسطنطين بالمسيحية (٣١٣) .	٣٠٠		
الأمبراطورية الرومانية تتبنَّى المسيحية ديناً (٣٢٣) . مجمع (نيقيا) يحرم الآريوسية ـ وقانون الإيمان (٣٢٥) . آريوس يرفض أُلوهة المسيح . حياته : (٢٨٠ ـ ٣٣٦) .	٣٢٠	تأسيس القسطنطينية (٣٣٠) وكان قد أسسها اليونانيون خلال القرن السابع (ق . م) .	قسطنطين يملك الشرق والغرب . أعوام : (٣٢٤ ـ ٣٣٧) .
البوذية المهايانية دين الدولة في الصين .	٣٤٠		إستمرار الحروب بين الفرس والرومان (٣٤٥) .
المانوية تتبَّسط في بلاد الغول . انطونيوس المصري أبو الرهبانيات (٣٥٥) .	٣٥٠		الحبشة تستعمر اليمن وحِمْير (مملكة سبأ) عام (٣٥٥) .

بيلاجيو صاحب بدعة مسيحية (٣٦٠ ـ ٤٣٠) .	٣٦٠		إنفصال أمبراطورية الرومان إلى شرقية وغربية : (٣٦٥) .
المسيحية تصبح دين الأمبراطورية الرومانية (٣٨٠) .	٣٧٠		أتيلا : يجتاح الأمبراطورية الرومانية عام : (٣٧٠ ـ ٤٥٣) . القيزيكوت : تجتاح البلقان (٣٧٥) .
القديس أوغسطين يَعْتنق المسيحية . كتاب الإعترافات (أُوغسطين) (٣٩٧) . يوحنا فم الذهب : بطريقٌ على القسطنطينية (٣٩٨) .	٣٩٠		الهون : تستقر بين الفولغا والدانوب : (٣٩٠) . تأسيس بيزنطية (٣٩٥) .
وفاة القديس يوحنا فم الذهب (٤٠١) . نسطور يرى في يسوع شخصيتين : بشرية وإلهية (٤٢٥) .	٤٠٠		يزدجرد الفارسي يحمي المسيحية . إجتياح القيزيكوت والقندال لِغربي أوروبا ـ وقبائل يأجوج في منغوليا . القضاء على الأمبراطورية الرومانية . أتيلا قائد الهون (٤٠٦ ـ ٣٥٤) . إنتهاء الحكم الروماني في أسبانيا (٤٠٩) . الغرب في خطر والشرق مطمئن لمدة ربع قرن .

يتبع

التاريخ

الدين	العام (ب . م)	الحضاري	السياسي
مجمع أُفْسيس (٤٣١) . والصين تعترف رسمياً بالبوذية .	٤٣٠		
مجمع خَلْقَدُونيا : يُعلن الطبيعة الواحدة . (٤٥١) . الكنيسة تصدّ البربر في بلاد الغول (٤٦١) .	٤٥٠	علم الطباعة في آسيا (٤٥٠)	نفوذ الهون : من جبال (أورال) إلى نهر الرين بقيادة (أتيلا) وعقبها : الڤيزيكوت يدحرون أتيلا عام (٤٤٥) . الترك يدحرون يأجوج ومأجوج (٤٦٠) . سقوط الأمبراطورية الرومانية (٤٧٦) .
البوذية الهينيانية في الهند الصينية (٤٨٢) . إنقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية (٤٨٤) .	٤٨٠		الفرس يُدمِّرون أثينا (٤٨٠) .
البوذية تعمُّ الصين (٤٩٦) . وكلوڤيس يعتنق المسيحية .	٤٩٠	كلوڤيس يتزوج من مسيحية (٤٩٦) .	عنفوان الأمبراطورية البيزنطية (٤٩٠) . كلوڤيس ملك الفرنك يدحر الألمان وينشىء دولة (فرنسا) .
بناء كنيسة أياصوفيا (٥٣٢) .	٥٠٠ ٥٢٠	وحدة اليابان (٥٢٠) . وفاة الشاعر الجاهلي امرؤ القيس، وانفجار سدّ مأرب (٥٤٠) .	حرب البسوس العربية وبطلها : المهلهل . الهنود يطردون (الهون) (٥٢٥) .

(٥٣٧) .			
يعقوب البراذعي يعيد بناء الكنيسة المونوفيزية (٥٤٣) .	٥٤٠	وفاة امريء القيس	الميروڤنجيون يحكمون فرنسا (٥٤٠) . ثورة البربر في أفريقيا (٥٤٤) . الفرس يدمرون انطاكيا
التنترية تُظهر معتقداتها بهذا القرن . البوذية تتغلغل في اليابان (٥٥٢) . مولد الرسول العربي محمد (٥٧١) . إضمحلال المانوية من الغرب وتسترها في الشرق (٥٧٥) . إنتصار البوذية على الشنتو في اليابان (٥٩٠) .	٥٥٠	أوج عظمة الأمبراطورية الساسانية (٥٥٠) . زلازل تضرب بيروت (٥٥١) . حسان بن ثابت : شاعر الرسول . استعمال الجرس (إيطاليا) وحدة الصين (٥٩٩) .	الفرس والأتراك يقضون على (الهون) (٥٦٣ - ٥٦٧) . حرب داحس والغبراء العربية وبطلها عنترة بين (٥٦٨ - ٦٠٨) . الأحباش ثم الفرس يستولون على الجزيرة العربية : (٥٧٦) . اللومبرديّون يجتاحون إيطاليا (٥٩٢) .
نزول الوحي على الرسول (٦١٠) . البوذية دين الدولة في اليابان (٦١٥) .	٦٠٠	عصر نشاط الترجمة العربية . العصر الذهبي في الصين ملوك التنغ : (٦١٨) ومعارك الرسول حتى عام (٦٣٠) .	معركة ذي قار العربية ضد الفرس (٦٠٥) . الفرس يحتلُّون (مصر) - (٦١٩) .
هجرة الرسول محمد إلى المدينة (٦٢٢) . مصر تعتنق مذهب المشيئة الواحدة . وفاة النبي الكريم محمد (٦٣٢) وبدء عهد الخلفاء الراشدين . تأسيس كنيسة نسطوريَّة في بلدة (نانكين) - الصين (٦٣٨) .	٦٢٠ ٦٣٠	تشييد البصرة والكوفة (٦٣٤) وعهد عمر بن الخطاب مثال العدالة : حكم : (٦٣٤ - ٦٤٤) .	معركة بدر الإسلامية (٦٢٤) . حصار مدينة سالونيك بين (٦٣٤ - ٦٤٠) . معركة القادسية ضد الفرس (٦٣٥) وبطلها خالد بن الوليد . انتصار العرب على البيزنطيين في اليرموك (٦٣٦) .

يتبع

الدين	العام (ب . م)	الحضاري	السياسي
			القدس تشرع أبوابها أمام الفتح العربي بحكمة عمر بن الخطاب (٦٣٨) . تلاها فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص (٦٣٩) .
	٦٤٠		فتح فارس واحتلال (قيصرية) (٦٤٠) .
	٦٥٠	الخليفة عثمان بن عفَّان يدقق في جمع القرآن (٦٥٣) .	العرب يفتحون أفريقيا الشمالية (عقبة بن نافع) (٦٤٧) .
بداية عهد الخلافة الأموية في الشام من (٦٦١ ـ ٧٥٠) .	٦٦٠	مقتل الإمام علي صاحب نهج البلاغة : (٦٦١) . معاوية الأول مُنظّم أول دولة إسلامية مُسيِّراً فيها البريد : (٦٦١ ـ ٦٨٠) . والصين في أوج حضارتها (٦٦٢) . حضارة القسطنطينية (٦٧٢ ـ ٦٧٧)	
مأساة كربلاء (٦٨٠) . البوذية تتلاشى في الهند وتنشط في التيبَتْ . مجمع إسطنبول يقرّ قانون الكنيسة البيزنطية حتى اليوم (٦٩٥) .	٦٨٠	وفاة أبو الأسود الدُؤلي واضع علم النحو (٦٨١) .	أول الوثبات العربية شطر الهند (٦٦٤ ـ ٦٦٧) . الدولة العربية في قمة مجدها العسكري (٦٨٣) .

بناء الجامع الأموي بعهد الوليد الكبير (٧٠٥) . الخلافة الأموية تنبعث في الأندلس في خليفتها عبد الرحمان الداخل بُعيد (٧١١) . النزاع حول تكريم الصُور وجيوجي يوحِّد بين البوذية والشنتوية في اليابان (٧٢٦) .	٧٠٠	الأسبان تستعمل زيت الزيتون بدل الرماد النباتي في صناعة الصابون . وفاة عمر بن أبي ربيعة (٧٢٠) .	فتوحات الوليد الكبرى (٧٠٥ ـ ٧١٥) . طارق بن زياد يفتح الأندلس (٧١١) . محمد بن القاسم يطرق أبواب الصين ويفتح السند والبنجاب (٧١٣) .
ازدهار المانوية في العراق (٧٣٥) .	٧٣٠		معركة بواتيه بين العرب والفرنج عبد الرحمان الغافقيّ (٧٣٢) . ثورة البربر في أسبانيا (٧٣٦) . ثورة الخوارج في العراق (٧٤٦) .
الخلافة العباسية في بغداد . الشنتو في اليابان (٧٥١) . تركيز الخلافة الأموية في الأندلس وبقاء الإسلام عليها (٧٥٦ ـ ١٠٣١) .	٧٥٠	العرب يصنعون الورق بعد الصين (٧٥٠) والعباسيون في بغداد المنصور .	بدء الخلافة العباسية إثر معركة الزاب (٧٥٠) . السفاح أمر بقتل جميع أفراد الأسرة العباسية (٧٥٤) . عبد الرحمان الأول يحتل قرطبة (الأندلس) : (٧٥٦) .
مجمع (لاتران) يحرم محاربي الصور : (٧٦٩) .	٧٦٠	مقتل ابن المقفع مؤلف كليلة ودمنة (٧٦٠) . المنصور يبني بغداد ـ ولادة المطرب : إسحاق الموصلي (٧٦٧) .	ثورة العلويين في العراق والمدينة شارلمان : ملك على فرنسا والجوار (٧٦٨)

يتبع

الدين	العام (ب . م)	الحضاري	السياسي
تفتُّح الصوفية الإسلامية في العجم ودوامها خمسة قرون .	٧٧٠	نبوغ جابر بن حيان في الكيمياء (٧٧٠) . إبراهيم الغزاوي اخترع الإسترلاب : (٧٧٧) .	
تفوُّق البوذية الهانيانية في اليابان (٧٨٠) .	٧٨٠	الخوارزمي يُبدع في عالم الرياضيات : بين (٧٨٠ ـ ٨٥٠) . هارون الرشيد سيد الدولة العباسية ويوآزره (البرامكة) منابع السخاء (٧٨٦ ـ ٨٠٩) . سَنكرَا أشارْيا فيلسوف هندي كبير (٧٨٨ ـ ٨١٨) .	هزيمة البيزنطيين أمام الجيوش العربية (٧٨٦) . عبد الرحمان الداخل مؤسس الدولة الأموية في الأندلس ت (٧٨٨) .
نهاية الخلافة العباسية في بغداد (٨٠٩) . بدء الخلاف حول انبثاق الروح القدس من الإبن (٨٠٨) .	٨٠٠	العرب يستعملون الأرقام الهندية . القضاء على البرامكة (٨٠٣) . المأمون يوظف السريان لتعريب الثقافة اليونانية (٨١٣) . وفاة ابو النواس (٨٠٩)	شارلمان سيد الغرب (٨٠٠ ـ ٨١٤) . الأسطول الإسلامي يغزو قبرص (٨٠٥) . نهاية الحكم الأموي في الشام (٨٠٩) .
المذاهب الفلسفية في الإسلام ومجمع آجيا صوفيا (٨١٥) .	٨١٠	وفاة العالم الكيميائي (جابر بن حيان) وأبو نواس شاعر الخمرة والمجون .	ثورة العلويين في مكة والمدينة (٨١٤) .
تحريم الصُورَ ومعارضتها العنيفة .	٨٢٠	عبد الرحمان الكبير سيد الأندلس حكمه بين (٨٢٢ ـ ٨٥٢) .	العرب يحتلون جزيرة كريت (٨٢٠) وصقليّة (٨٢٧) .

القضاء على مذهب بابك (٨٣٧) . إضحلال المانوية في آسيا الوسطى (٨٤٠) . إنهزام محرّمي الصور (٨٤٣) .	٨٤٠	المتوكل يضطهد المعتزلة ويُقرِّب منه الأتراك جنوداً وموالي (٨٤٧ ـ ٨٦١) . وفاة الرياضي الكبير : الخوارزمي (٨٤٩) .	العرب في إيطاليا (٨٤٠ ـ ٨٤٢) وهجوم بيزنطي معاكس على آسيا الصغرى .
الخوارج يحتلّون القيروان (٨٥٨) .	٨٥٠	مولد الفيلسوف أبو بكر الرازي (٨٥٤) .	البيزنطيون يغزون مصر (٨٥٣) .
الإمام الأشعري بين (٨٧٣ ـ ٩٣٥) .	٨٧٠	زِرْياب : أكبر موسيقيِّ الأندلس (٨٦٠) . وفاة الجاحظ (٨٦٩) مؤلف كتاب البخلاء .	أحمد بن طولون يحكم مصر : (٨٦٨ ـ ٩٠٦) .
بدء ظهور القرامطة (٨٧٤) .	٨٨٠	ملحمة (رولان) بدء النهضة الفرنسية (٨٧٨) .	ابن طولون يحتل سوريا (٨٧٧) . الكروتنجيون يحكمون الفرنجة (٨٨٠) .
القرامطة في العراق (٨٩٠) . الزيديون في الجزيرة العربية : (٩٠٠) . بدء الدعوة الفاطمية في أفريقيا (٩٠١) . الروحانية المسيحية في انحطاط كبير .	٩٠٠	وفاة البلاذري : العالم الجغرافي (٨٩٢) . إزدهار الحضارة الأموية في(قرطبا) عام (٩١١) . المسعودي صاحب (مروج الذهب عام : ٩١٢ ـ ٩٥٧) . وفاة ابو الطيب المتنبي (٩٠٥ ـ ٩٦٥)	عبيدالله المهدي يدخل أفريقيا لتصبح شيعيَّة : (٩٠٩ ـ ٩٣٤) . الفاطميون يحتلون مراكش (٩٢١ ـ ٩٢٢) .

يتبع

الدين	العام (ب . م)	الحضاري	السياسي
		وفاة الطبيب (زكريا الرازي (٩٢٥) . الفردوسي : صاحب ملحمة (الشاهنامَهْ) بين (٩٣٠ـ ١٠٢٠) .	
مكة في يد القرامطة (٩٣٠) .	٩٣٠	بناء مدينة (الزهراء) في الأندلس (٩٣٦) . القسطنطينية في أوج حضارتها ومجدها (٩٤٥) .	
الصين تستعيد الكنفوشية	٩٥٠	وفاة الفارابي صاحب : (المدينة الفاضلة) وفاة المسعودي صاحب (مروج الذهب) : (٩٥٦) . أبو فرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني (٩٦٧) .	الخليفة الحكم : سيد قرطبة (٩٦١ - ٩٧٦) . النورمان في إنكلترا وإيطاليا (٩٦٧) .
الفاطميون يدخلون مصر ويبنون (القاهرة) - (٩٦٩) . الفاطميون ينهون القرامطة . وإخوان الصفا في (البصرة) : (٩٧٠) .	٩٧٠		مجاعة كبرى في فرنسا بين (٩٧٠ ـ ١٠٤٠) .

إنبعاث المانوية في أوروبا الغربية (٩٨٠) .	٩٨٠	مولد الفيلسوف الطبيب ابن سينا (٩٨٠) .	الكپاتيـون في فرنسا (٩٨٥) .
النظام الكنسي في الأمبراطورية الرومانية (٩٩٨) .	٩٩٠	الصين في فوضى فكريَّة (٩٩٢) . القاهرة في إزدهار ثقافي وتطاحُنٍ مذهبي . وإنشاء مكتبتها الكبرى وبناء مرصد على الهرم (١٠١٥ ـ ١٠٢٠) .	الحاكم بأمر الله الفاطمي (٩٩٠ ـ ١٠٢١) .
أبناء أسوج يكتشفون أميركا . الدعوة للمذهب الدرزي عقبها حجبة الحاكم موجِّه المذهب . الكثارية المانوية جنوبي فرنسا وإيطاليا (١٠٢٧) .	١٠٠٠	بنو عبَّاد في إشبيليا (١٠٢٣ ـ ١٠٩١) .	الدانيماركيون يحتلون إنكلترا (١٠١٥) . هشام الثالث آخر الخلفاء الأمويين في الأندلس (١٠٢٧ ـ ١٠٣١) .
عهد انحطاط الخلافة العباسية وضياع نفوذها بين (١٠٣١ ـ ١٢٥٤) .	١٠٣٠	عُمر الخيام شاعر المرأة والخمرة (١٠٣٧ ـ ١١٢٠) .	
إنشقاق الكنيسة إلى شرقية وغربية (١٠٥٤) . قوانين إنتخاب البابوات (١٠٥٩) . البرهمانية تتابع تبسطَّها في الهند (١٠٦٠) .	١٠٥٠ ١٠٦٠	العالم البيروني (٩٧٣ ـ ١٠٤٨) .	بنو هِلال في شمالي أفريقيا (١٠٥٢) . النورمنديون يحتلون إنكلترا (١٠٦٦) . السلاجقة في دمشق (١٠٧٥) . نزاع اوروبي حول تنصب البابا دام (١٠٧٥ ـ ١١٢٠)

يتبع

الدين	العام (ب . م)	الحضاري	السياسي
الدولة الإسماعيلية في الشرق : (ألُموت) وحسن الصباح مُوجِّهُها .	١٠٩٠		المرابطون يهزمون الأسبان في الغرب (١٠٨٦) .
الصليبيون يستولون على القدس : (١٠٩٩) . نهاية البوذية في الهند (١١٠٠) .	١١٠٠	الإدريسي : طبيب وجغرافي وشاعر مغربي (١١٠٠ ـ ١١٦٦) . وفاة الغزالي الذي حاول التوفيق بين السُنَّة والصوفية (١١١٠) . ابن الرشد ١١٢٦ ـ ١١٩٨	بدء الحروب الصليبيَّة (١٠٩٦) وتجزئة الأمبراطورية التركية .
	١١٤٠	أول بناء هندسي كنسي روماني : (١١٤٠) .	
الرائد الصوفي الكبير (ابن عربي) : (١١٦٥ ـ ١٢٤٠) . تشوهي : طوّر الكنفوشية في الصين (١١٧١) . ونهاية الدولة الفاطمية في مصر .	١١٦٠	ياقوت الحموي الجغرافي (١١٧٩ ـ ١٢٢٩) .	جنكيزخان زعيم قبائل المغول والفاتح المدمّر (١١٥٥ ـ ١٢٢٧) . صلاح الدين الأيوبي يقضي على الفاطميين في مصر (١١٧١) .
نهاية الغَزنويين في الشرق (١١٨٦) .	١١٨٠		صلاح الدين يحتل (حلب) والساحل السوري (١١٨٣) . صلاح الدين يحرر القدس ويحتلّ بيروت وقبلها معركة حطين (١١٨٧) . وفاة صلاح الدين الأيوبي (١١٩٣) .
تأسيس الرهبنة الدومنيكية	١٢٠٠	ألف ليلة وليلة وضعت بين القرنين الثالث والرابع عشر .	
الصليبيون يحتلون القسطنطينية (١٢٠٤) . الموحّدون يتخلّون عن أسبانيا : (١٢٢٥)	١٢٠٠	فرنسا أول دولة نظامية في أوروبا : (١٢٠٠) .	المغول يحتلّون الصين : (١٢١٤ ـ ١٢٣٤) . بداية دور الأتراك في الشرق (١٢٢٠) .

هندسة أكبر كاتدرائية في أوروبا (١٢٣٨) . نهاية الخلافة العباسية بيد المغول (١٢٥٨) .	١٢٣٠	بناء الكاتدرائيات الفخمة في الغرب : بناء قصر الحمراء في غرناطة (١٢٣٢) . اكتشاف البارود (١٢٥٠) . ليونارد ڤيبوناتشي أدخل الرقم العربي إلى أوروبا (١٢٥٨) . الحضارة التشيكية وفاة النباتي ابن البيطار	معركة المنصوريّة وأسر لويس التاسع (١٢٥٠) . هولاكو يحتل بغداد ويحرق مكتبتها الكبرى (١٢٥٨) . المماليك في مصر ١٢٥٠
القديس (توما الأكويني (الخلاصة اللاهوتية) - (١٢٥٩ - ١٢٦٠) . انتشار الاسلام جنوبي الشرق الاقصى (١٢٨٩)	١٢٦٠	الصين تخترع الأوراق النقدية : (١٢٦٠) . مولد دنتي (١٢٦٥) أعظم شعراء إيطاليا . رحلة (ماركو پولو) إلى الصين والجوار (١٢٧١ - ١٢٩٥) . وفاة الجاحظ (١٢٨٣)	نهاية الحروب الصليبيَّة وإنكفاء جحافلها إلى غربي أوروبا (١٢٧٠) . المغول يجتاجون اليابان ١٢٧٤ اسرة هانسبورغ في النمسا
إنتقال المركز البابوي إلى (أڤينيون) فرنسا - (١٣٠٩) . تحدي الكرسي البابوي (١٣١٥) . ازمة المسيحية في المانيا وفرنسا	١٣٠٠ (١٣٢٠)	دانتي مؤلف الجحيم - والمطهر والكوميديا الإلهية (١٣١٢ - ١٣١٤) توفي (١٣٢١) . أول صناعة لصبّ المدافع ببلجيكا (١٣٢٧) .	النفوذ المنغولي من البحر الأصفر حتى السهل الروسي (١٢٨٥) . انكلترا تفتح اسكتلندا (١٢٩٦) .
الإنشقاق الديني في الغرب (١٣٧٨) والفن القوطي في الكنائس الفخمة .	١٣٣٠	أبو الفداء مؤرخ وجغرافي ت (١٣٣١) . وفاة الرحّالة (ابن بطوطة) (١٣٧٨) .	تيمورلنك يُباشر في غزواته . (١٣٦٥) ونهاية الأمبراطورية اللاّتينية .
	١٣٤٠		حرب المئة سنة ١٣٣٧ - ١٥٤٣ .

يتبع

التاريخ

الدين	العام (ب . م)	الحضاري	السياسي
الاسلام دين الدولة من تركيا حتى أقصى حدود دولة المنغول الكبرىٰ (١٣٤٨) .	١٣٦٠ ـ	استعمال البارود (١٣٤٦)	استولى الترك من بيزنطيا على آسيا الوسطى (١٣٥٠) . يحتل الانكليز غرب فرنسا .
أمبراطورية تيمورلنك تعتنق الاسلام .	١٣٨٠		تيمورلنك يحتل الشرق الأدنى حتى دمشق عام (١٣٨٦) .
	١٣٩٩ ـ		... راك في البلقان وتيمورلنك يحكم من دلهي إلى روسيا مروراً ببغداد (١٣٩٩) .
الفن القوطي في الكنائس الفخمة بأوروبا	١٤٠٠	وفاة العالم الإجتماعي (ابن خلدون) صاحب المقدّمة . (١٤٠٦) . الطباعة المتحركة ١٤٤٤	تيمورلنك في معركة أنقرة مع سلطانها بايزيد الظافِر (١٤٠٢) . جان دارك حاربت الإنكليز لتحرير فرنسا وأُحرِقَتْ في مدينة (رْوانْ) (١٤٢٩ ـ ١٤٣١) .
إنتخاب أول (دالاي لاما) في بلاد التيبت (١٤٤٧) . (الراهب (جوان تانزل) مبيعه صكوك الغفران أثار نقمة لوثر على الكتلة (١٤٦٥) .	١٤٥٠	غوتمبرغ الألماني يستعمل الطباعة المتحركة بالأحرف المعدنية المنفصلة ـ (١٤٥٠) . برتولوميا (برتغالي) اكتشف رأس الرجاء الصالح (١٤٨٧) .	الأتراك استعملوا المدفع المتطوّر في فتحهم للقسطنطينية بيد السلطان محمد الفاتح عام : (١٤٥٣) . إنشاء ديوان التفتيش في أسبانيا (١٤٨١) .

أزمة الكنيسة في الغرب وتوسع الاسلام .	١٤٦٠		
بلاد فارس شيعية (١٤٩٤)	١٤٩٠	كريستوف كولمبس يُعيد كَشفَ أميركا : (١٤٩٢) . فاسكو دي غاما يكتشف طريق الهند ١٤٩٥	جلاء العرب نهائياً عن أسپانيا (١٤٩٢) . سقوط غرناطة وتوحيد اسبانيا ١٤٩٢
عصر الاصلاح البروتستنتي (لوثر وكالڤن)	١٥٠٠	عصر اشراق الفنون في الغرب وبخاصة : ايطالية (١٥٠٦) . الكتابة العشرية في (فرنسا) . (١٥٠٠)	
لوثر في بيانه المهاجم بعنف بالغ للبابوية (١٥١٧) .	١٥١٠	سنْدرو بوتِّكلِّي (إيطاليا) رسَّام مبدع . هيروسيلوس بوش : أول من رسم الجحيم . توفي (١٥١٦) . ليوناردا ڤينشي (إيطاليا) موسوعيٌّ : علماً وفناً : (١٤٥٢ ـ ١٥١٩) . رحلات (ماجلان بين (١٥١٩ ـ ١٥٢١) وهو أول من دار حول الأرض .	هنري الثامن يحكم انكلترا (١٥٠٩) نهاية حكم المماليك . الأسپان في المكسيك (١٥١٨) . معركة (بارتلمي) في فرنسا .
إنشقاق الكنيسة الأنكليكانيَّة (١٥٣٣) . البابا بولس الثالث يفصل الملك هنري الثامن عن الكنيسة (١٥٣٨) .	١٥٢٠	النّحات الإيطالي رفايل (١٤٨٣ ـ ١٥٢٠) وازدهار الثقافة في تركيا وأسپانيا . وفاة مكياڤلِّي صاحب كتاب (الأمير) ـ وفاة المربي الكبير (أراسموس) (هولندا) .	سليمان القانوني يحكم تركيا (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) . سليمان القانوني العظيم طرق أبواب النّمسا . والحروب الإستعمارية يشنّها الغرب .

يتبع

الدين	العام (ب . م)	الحضاري	السياسي
		كـوبرنيـك مكتشف أول مطبعـه في مكسكو . ومركاتور واضع أول خريطة للعالم . اكتشاف جزر غوام	إيفان الهائل يحكم موسكو ١٥٣٣ ـ ١٥٨٤
	١٥٤٠	أول إنفجار لسدّ مأرب . أوستـاستي (إيطاليـا) مكتشف وظيفة الغدد فوق الكليتين (١٥٤٣) . أمبرواز. پاريه (فرنسا) واضع أسس الجـراحة الحـديثة (١٥٤٥) وسـرّليوو واضـع قـوانـين الهندسة العامة .	يحكم الفـرنـك المـيروفنجيـون فـرنسـا (١٥٤٠) .
	١٥٥٠	عهـد ازدهار بـريـطانيـا وعـظمتهـا (١٥٣٣ ـ ١٦٠٣) أغريكولا مؤسس علم المعادن (١٥٥٥) . أغـريكـولا السكـسوني مؤلف كتـاب (شؤون التعدين) (١٥٥٦) .	
كلفن في مذهبه بفرنسا . ماركتور ١٥٦٨	١٥٦٠	ولادة شكسبـير (بريـطانيا) (١٥٦٤) ووفـاة ميكايل أنجلو (إيطاليا) الفنان العظيم .	

البابابيوس الخامس يحرم اليصابات ملكة الأنكليز ١٥٦٦ - ١٥٧٢ التقويم الغريغوري (١٥٧٢) .	١٥٧٠	وفاة بيتر پروكل أول من رسم بدقّة (برج بابل) (١٥٦٩) . تأسس أول مسرح (بِلُندنْ) (١٥٧٦) . وِليم بورنْ مخترع أول غوّاصة بِبدائية (بريطانيا) (١٥٧٨) .	
	١٥٨٠	غليليو : مخترع قوانين الرقّاص (١٥٨٣) .	إيغان المُرعب تخلّى عن موسكو : (١٥٣٣ - ١٥٨٤) . تحطيم (الأرمادا) الأسپانية بعاصفة بحرية (١٥٨٨) .
نهاية حرب الكثلكة والپروتستنت في فرنسا (١٥٨٩) .	١٥٩٠	ڤييتْ : أبدع الرموز الجبريّة (١٥٩١) فرنسا. العالم الفرنسي (ديكارت) : (١٥٩٦ - ١٦٥٠) . شكسبير : في (روميو وجولييتْ) (١٥٩٧) .	

الدين	العام (ب . م)	الحضاري		السياسي
الكالفينية تبارح فرنسا إلى سويسرا والجوار . محمد بن عبد الوهاب السَّلفي النزعة يؤسس المذهب الوهابي في الجزيرة العربية .	١٦٠٠	إكتشاف الكهرباء : جيلبرت توفي (١٦٠٣) . غليلو يخترع التلسكوب ـ كبلر : علم الفلك الحديث بداية الصحافة (١٦٢٢) . العالم كِبْلَرْ أول من تناول قلمه جدِّيّاً قصة الرحلة إلى الفضاء (١٦٣٤) .	يوهنس كيبتر الألماني رصد دوران السيارات بشكل إهليلجي . ليبرشي الهولندي مبتكر النظارات (١٦١٠) وجونابير : اخترع اللوغارتمْ (١٦١٤) . هارفي ؛ الدورة الدموية وحركات القلب ـ وفاة شيكسبير (١٦١٦) . وفاة غليلو مخترع ميزان الحرارة ، ومكتشف حركة دوران الأرض حول الشمس (١٦٤٢) . توريشللي : اخترع البارومتر (١٦٤٧) .	إسبانيا تستعمر إيطاليا وبلجيكا . حرب الثلاثين سنة بين فرنسا والجوار (١٦١٨) . منشوريا تغزو الصين (١٦٤٢) . وفاة الأمير فخر الدين المعني (لبنان) .
الماسونية تنبثق وتنتشر لتلعب دورها العالمي .	١٦٥٠	كرومويل يحلّ البرلمان الإنكليزي ويُعلن الجمهورية (١٦٥٣) .	وفاة ديكارت (١٦٥٠) ووفاة أوليفر لودج عالم ما بعد الطبيعة .	

	١٦٦٠	إكتشاف الميكروسكوب (هولندا) . هوغنر (هولندا) صنع رقّاص الساعة (١٦٧٣) . نيوتن : اكتشف قانون الجاذبيّة (١٦٨٢) وكتابه المباديء كان أساساً للعمل الفلكي (١٦٨٧) . وأول تأسيس لمصرف مركزي في إنكلترا . اللولب اللوغارتمي (١٦٩٠)	وفاة باسكال مكتشف مباديء الآلة الحاسبة . ملبيتلي : مكتشف الكُريات الحمراء (١٦٦٥) . نيوتن : تمكن من تحليل الضوء (١٦٦٦) . أولاوس بروِمَر : حدَّد سرعة الضوء (١٦٧٥) . دومر : إستطاع أن يقدِّر سرعة الضوء (دانيمرك) عام (١٦٧٦) . أنطون غالأن : مستشرق فرنسي ترجم كليلة ودمنة وأمثال لقمان الحكيم (١٦٩٤) .	
عودة الكونفوشية إلى الصين وظهور إخوان الصفا . الماسونية تتغلغل في لندن (١٧١٧) .	١٧٠٠	روبر قال (فرنسا) صنع الميزان ذا الكفتين وهومبرغ (هولندا) اكتشف حامض البوريك . البيانو (١٧٠٩) إيطاليا . جان جاك رسو (١٧١٢ - ١٧٧٨)	إبراهام دربي : إستعمل فحم الكوك (١٧١١) . فاهرنهَيْت : مخترع الميزان الزئبقي . وهنري مِلْ (١٧١٤) . وفاة نيوكوهن : مخترع المحرّك البخاري لضخّ الماء .	بطرس الكبير يفتح قلعة (أزوف) التركية (١٦٩٦) . الصين سيدة الشرق الأقصى (١٧١٠) . لويس الرابع عشر : عصر الأدب الكلاسيكي الفرنسي .

يتبع

الدين	العام (ب . م)	الحضاري		السياسي
		براديلي : انحراف الضوء (١٧٢٧)	عقبه واتْ مخترع الآلة الكـاتبـة .	
انطلاق المذهب الوهابي للمغرب العربي (١٧٤٥) .	١٧٢٠	جيمس كوك يتوغل في البحر الهادي (١٧٢٨) . لامارْكْ (فرنسا) مؤلف دائرة المعارف النباتية وهو صاحب نظرية التطور (١٧٤٤ - ١٨٢٩) . لاڤوازيه (فرنسا) (١٧٤٣ - ١٧٩٤) . ولادة غوتة ١٧٤٩	توماس نيوكوهن : مخترع أول محرك بخاري منع : وات (١٧٢٩) . هالسي الإنكليزي : مكتشف الضغط الدموي (١٧٣٣) . هاريسون : استعمل الفحم الحجري في صناعة الحديد (١٧٣٥) . توريشلّي : الكرونومتر وتلاهُ هَرسون : الساعة الذرِّية . داڤيل الفرنسي : أجرى أول عملية للماء الأزرق (١٧٤٥) .	
	١٧٥٠	فرانكلن (أميركا) اكتشف قضيب الصاعقة (الشاري) .	الموسيقي النمساوي موزار (١٧٥٦ - ١٧٩١)	

الشنتو : ديانة اليابان الرسمية (١٧٦٨) .	١٧٦٠	ج . ليسار مخترع أول تلغراف كهربائي (١٧٦٤) . آلة الحياكة (بريطانيا) . واكتشاف مرض الزلال (١٧٦٥) . ريتشر أوكريت مخترع أول نَول لحياكة القطن (إنكلترا) ١٧٦٨ .	برادكي توفي (١٧٦٢) وهيوفنكي إنكليزي اكتشفا تيهان النور وتمايل محور الأرض . (١٧٦٤) . لوكونيو الإيطالي اخترع ميزان تحديد حدوث الزلازل (١٧٦٥) . كافنديش الإنكليزي : مكتشف الهيدروجين عام : (١٧٦٥) : شوبنهور : أول مُنشيء للنظرة في الذرة . شاپْلوو مُستشرق فرنسي ترجم لاميَّة العجم ومقامات الحريري . (١٧٦٨) . وات الإنكليزي عمل على تطوير الآلة البخارية (١٧٦٩) .	فرنسا تخسر كندا والهند لصالح بريطانيا (١٧٦٢) . نابليون الأول وفتوحه (١٧٦٩ - ١٨٢١) .
إلغاء الجمعية اليسوعية .	١٧٧٠	جيمس كوك يكتشف جزر الكوك (١٧٧٣) . تطوير الآلة البخارية وات (١٧٦٩) .	رَذر فهورد : إكتشف الأزوت (١٧٧٢) . بريستلي الإنكليزي إكتشف الأُوكسيجين (١٧٧٣) .	بريطانيا غدتْ أمبراطوريَّة . بدء تحرير الولايات المتحدة . دامت حربها سبع سنوات مع بدء الإستعمار الغربي في الشرق والغرب .

يتبع

الدين	العام (ب . م)	الحضاري		السياسي
	١٧٨٠	ولادة الشاعر بيرون (١٧٨٨)	پاشنل الأميركي صنع أول غوَّاصة ذات مِروحه (١٧٧٦) . (١٧٧٩) وفاة الرحالة جميس كوك المتَّجه شطر المحيط الهادي وجُزُره .	إندلاع الثورة الأهلية الفرنسية عام : (١٧٨٩) .
البوذية الهينيانيَّة دين سيام الرسمي .	١٧٩١	حياة الفنان النمساوي الكبير : موزار : (١٧٥٦ - ١٧٩١ ؟) . ولادة الشاعر الروسي يوشكين (١٧٩٩) .	إختراع الدرَّاجة الخشبية التي صنعها الكونت دي سيفراك (فرنسا) وإبتكار النظام المتري والمتريساوي جزءاً من (٤٠) مليون من دائرة الأرض . وفاة العالم لاڤوازيه مؤسس علم الكيمياء (١٧٩٤) . أسهم العلماءُ مُرافقو بونابرت إلى مصر في نقل نشاط النهضة العلمية (١٧٩٨) .	دي غريبوڤال طوَّر حشو المدفع من الأمام للحصار والحماية مازجاً الحديد والبرونز معاً . (١٧٩١) نابوليون يحتلّ مصر . وفاة جورج واشنطن محرِّر الولايات المتحدة (١٧٩٩) .

الوهّابيون في المدينة المنوّرة وعثر على مرسوم كهنوتي منقوش بالأحرف الهيروغرافية عام (١٨٠١) فكان مفتاحاً لحل رموز هذه الأحرف العائدة إلى العام (١٩٧) ق . م . والكثلكة دين الدولة في فرنسا (١٨١٥) .	١٨٠٠	ج . پروسّر : أول زعيم زنجي يثور على أميركا . أول آلة لإنتاج الورق (١٨٠٣) والقطار الحديدي (١٨٠٤) . بسمارك : موحّد ألمانيا (١٨١٥ - ١٨٩٨) . الفيلسوف كارل ماركس (١٨١٧) أول تأسيس الإنعاش الإجتماعي في إنكلترا (١٨٢٠) . وفاة بتهوفن ١٨٢٧ مولد الروائي الروسي العالمي : تولستوي (١٨٢٨) .	فولتا الإيطالي صنع البطّارية الكهربائية . ف . دي جيرارد اكتشف المحرّك البخاري (١٨١٤) . لِينِكْ الفرنسي إخترع السمّاعة الطبية (١٨١٩) . إكتُشِف الكينين والستركنين (١٨٢٠) واختُرِع التلغراف بسلك مفرد . أميركا حفرت قناة (آري) طولها (٥٨٠) كلم . توماس تلفورد جدّد تنظيم السير بعد الرومان (١٨٢٦) وأول تصوير فوتوغرافي بيد : نيسيفور نييشَهْ .	معركة الطَرف الأغر بين فرنسا وإنكلترا (١٨٠٥) . وحياة المجاهد عبد القادر الجزائري : (١٨٠٨ - ١٨٨٣) . معركة واترلو (١٨١٥) . تحرر المكسيك والبيرو والأرجنتين . تحرر غواتيمالا والأورغواي (١٨٢١) .
تأسيس المذهب المورموني .	١٨٣٠	صنع آلة الحصاد (أميركا) . وفاة غوته أعظم شعراء الألمان (١٨٣٢) . كشف المرقب (سكيلاب) نجماً هو الأقرب لنا يبعد (٣٦) مليون كلم .	ستيڤنسن الإنكليزي اخترع آلة الخياطة واخترع أول خط للقطار في إنكلترا (١٨٣٠) . وفاة الفيلسوف هيغل (١٨٣١) وسوريا الفرنسي صنع عود الثقاب . صُنع المسدَّس عام : (١٨٣٥)	الفرنسيون يحتلُّون الجزائر . وتحرُّر الأكوادور وڤانوزوالّا . تحرُّر الهندوراس (١٨٣٨) .

يتبع

الدين	العام (ب . م)	الحضاري		السياسي
		التصوير الفوتوغرافي (١٨٣٩) .	وفاة ريتشرْد تريفيتيك مخترع القطارات الحديدية على البخار (١٨٣٣) . ج . بْركنز إخترع البرّاد (١٨٣٤) . ص . موريس : إخترع تلغراف اتصال موثوق الصُنع (١٨٣٧) وإستُعمِلت الطوابع . حرب الأفيون بين الصين وبريطانيا (١٨٤٠) .	
	١٨٤٠	ألْغريتْ برتين أول من عبر الأطلسي على باخرة من حديد وصُنع الدرّاجة . إختراع الكلوروفورم (١٨٤٧) . بدء ظهور وممارسة الحركة	وفاة مورس الأميركي : إكتشف البرق الكهربائي (١٨٤٣) .	

		الروحانية في أوروبا (١٨٤٨) .	دالتون : أول من أنشأ النظرة في الذرَّة ، مؤكداً أن الذرات أسسٌ لِكل مادةٍ في العالم (١٨٤٤) . أول إستعمال المتفجرات : النيتروغليسرين واستُبدِل بـ : (تِ . ن . ت) حديثاً (١٨٤٦) . كارل ماركس : واضع النظام الشيوعي عام : (١٨٤٧) والعالم : سمسون الإنكليزي اكتشف المخدِّر : كلوروفورم . فيزو الفرنسي قاس سرعة الضوء (١٨٤٩) .	
	١٨٥٠	إستعمال الفولاذ . أ . فيتزجارلْد : شاعر إنكليزي مترجم رباعيات الخيَّام . ومولد المربي الكبير : جون ديوي الأميركي . وإستعمال التلغراف البحري في	ج . هريسون : طوَّر صناعة البرَّاد (١٨٥١) وإستعمال موتور رفع الماء . هـ . جيفار : أول منطاد يسير بالبخار (١٨٥٢) . جَرهارْدتْ (فرنسا) اكتشف	وفاة الأمير بشير شهاب حاكم جبل لبنان عام (١٨٥٠) . لنكولن : الحرب العرقية الأهلية في الولايات المتحدة . وليم أرنسترونغْ عمل على تطور المدفع عام (١٨٥٥) .

يتبع

الدين	العام (ب . م)	الحضاري		السياسي
		المحيط الأطلسي . ودارْوِن : في مؤلفه (أصل الأنواع : (١٨٥٩) .	الأسپرين (١٨٥٣) . وليم بركين : اكتشف أول صبغ اصطناعي (١٨٥٦) . أ . أتِس : اخترع المصعد البخاري ثم الكهربائي (١٨٥٧) . أدوين دريك : حافر أول بئر لإستخراج النفط (أمريكي) عام : (١٨٥٩) . مولد هنري برغسون ١٨٥٩	
تأسيس المذهب البهائي . المجمع الفاتيكاني الأول وروما توقف النشاط البابوي (١٨٦٩ - ١٨٧٠) .	١٨٦٠	إستعمال الآلة الطابعة (النّمسا) (١٨٦٤) . تأسيس الجامعة الأميركية في بيروت (١٨٦٥) . تصنيف قانون الوراثة (مندل) (١٨٦٦) . مولد الفيلسوف الهندي طاغور	وفاة شوبنْهور : الفيلسوف التشاؤمي . وفهرنْهَيْتْ : الميزان الزئبقي . پاستور : مكتشف الجراثيم (١٨٦١) . تولستوي : مؤلّف كتاب : الحرب والسلام (١٨٦٤) .	وكافور يُوحد إيطاليا . صناعة البندقية الرشاشة (١٨٦١) تحرّر كندا (١٨٦٧) . وبعض الدول الأوروبية تمسك بزمام الأوضاع في لبنان بإشراف تركيا (١٨٦١)

		مولد الروائي مكسيم غوركي ١٨٦٨	وفاة لينكلنْ الرئيس الساعي لتحرير العبيد وإلغاء الرق (١٨٦٥) وكيكول الألماني اكتشف البنزين . ألْفرد نوبل : صنع الديناميت وقدَّم جائزته الكبرى السنوية عام : (١٨٦٦) . مايْكلْ فراداي : مُستنبط المجال الكهرطيسي (١٨٦٧) وشولْسْ الأميركي : الطابعة اليدويَّة . وكارل ماركس ألَّف : (الرأسمال) .	تحرّر كندا .
	١٨٧٠	إيطاليا تتوحد وتعيد حضارتها . تأسيس المعهد اليسوعي في بيروت (١٨٧٤) . الكسندر بلْ اخترع التلفون . پاستور : كشف الجراثيم .	دي لاسَپْس : حفر قناة السويس (١٨٦٨) . وفاة ناصيف اليازجي مؤلف : مجمع البحرين (١٨٧١) وتشارلز بابجْ : اخترع أول آلة حاسبة متطورة وحديثة . هـ . ج . لوسون : طوَّر الدرّاجة إلى سلسلة (١٨٧٤) .	مولد المجاهد : إبراهيم هنانو (سوريا) (١٨٦٩) . مُحقِّق الشيوعية لينين : (١٨٧٠ - ١٩٢٤) . غليوم الأول أمبراطوراً على ألمانيا عام (١٨٧١) .

يتبع .

الدين	العام (ب . م)	الحضاري		السياسي
			ادوارد موِيْبَريــودْجْ : صنع الصُّوَر المتحرِّكة (١٨٧٧) وتوماس أديسونْ صانع الفونوغراف اليدوي ومخترع الميكروفون . د . هيوز : اخترع المذياع الكربوني وأول مركز تبادل هاتفي (سنترال) ، في أميركا (١٨٧٨) . ادوارد هيوز : قام بأول تجربة عملية لِلاَّسلكي . وباستور : أجرى التلقيح الوقائي (١٨٧٩) .	
	١٨٨٠	مورفي قام بدراسات علمية حول قِدم الأُربغا وحل رموزاً خطيرة في كتابه (المجتمع القديم) . وهُدى شعراوي بمصر تجهر بتحرير المرأة ومساواتها بالرجُل . ووفاة	إيبرتْ الألماني اكتشف جرثومة التيفوئيد (١٨٨١) . غاريبلدي : قائد إيطالي ثار لتحرير بلاده وتوفي عام : (١٨٨٢) . وقد اكتشف العالم : كوخ جرثومة السِلّ .	الملكة ڤكتوريا أمبراطورة الهند والترانسڤال وقبرص (١٨٨٠) . إنكلترا تحتل مصر وتنفي المناضل عرابي باشا (١٨٨٢) . فرنسا تحتلّ تونس (١٨٨٣) . تحرُّر كولومبيا (١٨٨٦) .

		داروِن صاحب نظرية التطور في الأجناس (١٨٨٢) . مولد الأديب الفنّان : جبران خليل جبران (لبنان) . وفاة الشاعر الكبير : ڤكتور هيغو (فرنسا) . والموتوسيكل (١٨٨٥) . ن . نوتوڤيتش : صاحب كتاب (المسيح في الهند) ومولد الشاعر القروي : صوت القضية العربية . ج . إيسْڤان مخترع الفيلم (١٨٨٩) .	وفاة كارل ماركس صاحب كتاب : (الرأسمال) ووفاة الأمير الثائر على الإستعمار الفرنسي : عبد القادر الجزائري عام : (١٨٨٣) ووفاة بطرس البستاني مؤلف قاموس : محيط المحيط . شرابْفلْ الإنكليزي : صانع القذيفة الأولى . والطبيب نيكولايِرْ الألماني اكتشف جرثومة الكزاز (١٨٨٤) . باستور اكتشف جرثومة الكَلَبْ ولامارْك ألّف مُعجم علم النبات ، واختُرعت أول درّاجة بمحرِّك . إبراهام بِلْ اخترع الهاتف وبِنْز وديمْلَر : اخترعا السيّارة (١٨٨٦) . أُوليڤر لودج : صانع جهاز استقبال لاسلكي متطور (١٨٨٧) .	فرنسا تحتلُّ الهند الصينية بأقسامها ١٨٨٨ تحرر البرازيل ١٨٨٩

يتبع

الدين	العام (ب . م)	الحضاري		السياسي
			نيتشَهْ : في كتابه : المسيح الدجّال. اختُرع المدفع المحشوّ بالمادة المتفجرة : نيترو سلولوز . ثم (كوداك) : آلة التصوير المتطورة ، وإميل برليز اخترع الغروموفون (ألماني) (١٨٨٨) .	
الرسالة البابوية (الشؤون الحديثة) (١٨٩١) .	١٨٩٠ ١٨٩٥	لاكْ : مخترع الغواصة (١٨٩٤) وإنحطاط الأمبراطورية التركية التصوير الفوتوغرافي الملوّن (١٨٩٢) . ج . ب . رَين : أول اختبارات المراقبة حول الأدراك خارج نِطاق الحسّ أوضحه في كتابه : الإدراك اللاحِسّي .	حدَث تطور في بناء الجسور إلى أسمنت وفولاذ (١٨٩٠) . أول آلة عرض سينمائي كما هي اليوم ـ وفاة العالم : پاستور ولاغرانج : وضع النظام المتري . وروِنتجِنْ اكتشف الأشعَّة المجهولة (X) ـ (١٨٩٥) ، وپريس اكتشف اللاسلكي .	إستقلال البرازيل (١٨٩١) .
	١٨٩٦	پولسِنْ (الدانيمارك) اكتشف التسجيل الصوتي .	وفاة ألفردْ نوبَلْ مكتشف الديناميت ومقدِّم الجائزة	فرنسا صنعت مدفعها الشهير عيار : (٧٥) .

			السنوية لأرفع تأليف علمي في العالم (١٨٩٦م) وجيتر البريطاني اكتشف لُقاحاً ضد الحصبة ـ وماركوني صنع الإتصال الكهربائي و . ف . كيكوله : اكتشف الأصباغ الكيميائية (البنزول) . جمال الدين الأفغاني الخطيب الداعي للوحدة الإسلامية وفارنيران الفرنسي : صنع الپاراشوت (المظلّة) (١٨٩٧) . الزوجان كوري اكتشفا الراديوم (١٨٩٨) .	
وفاة الشيخ محمد عبده (رسالة التوحيد) ـ (١٩٠٥) .	١٩٠٠	أول تلغراف لاسلكي عبر الأطلسي (١٩٠١) . سليمان البستاني يعرّب إلياذة هوميروس (١٩٠٤) . أينشتين : نظرية النسبيّة (١٩٠٥) .	وليم جيلبرت حقّق اتّجاه البوصلة وكانت قبلاً معروفة في الصين . فرويد : نظرية الجنس ومشاكله (١٩٠٥) وكربل (أميركا) أوجد عملية نقل	أول طيران ناجح مزوّداً بالمدافع بين نيويورك ولندن (١٩٠٣) وفرنسا تحتل المغرب العربي . وأوستراليا : كومنولث وتحرر پناما والقناة . الحروب الروسية اليابانية (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥) . إختراع البارجة الإنكليزية : درادنوت

يتبع

الدين	العام	الحضاري		السياسي
		أرنستْ تْشَينْ تعمّق بدراسة فِطر البنيسلين . وليم بركين في محاولة صنع الكينا اكتشف صناعة الأصباغ الإصطناعية (١٩٠٧) ومكسيم غوركي قصة : الأم (١٩٠٧) . وفاة قاسم أمين كاتب مصري دعا مُلحاً لتحرير المرأة (١٩٠٨) . أول مكتشف للقطب الشمالي (ر . باري) (١٩٠٩) .	الدم . ر . أ . فشنيدَرْ : أول بثّ لاسلكي مضمّن (كندا) وهوبكينز (إنكلترا) اكتشف الفيتامينات (١٩٠٦) . برغسُن : التطور الخلّاق . ثم ت . بارون كلفن (بريطانيا) اخترع ميزان الحرارة . ورَيْت إخوان السفينة الهوائية . وفرنك هوتّلْ اخترع المحرّك النفّاث ـ بدء الصناعة في إنكلترا (١٩٠٧) . إختُرعتْ المكانس الكهربائية الكبيرة الحاليّة و الأميركيّون : ياردبن ـ شوكلي وبراتين اخترعوا الحاسبات الترنزستريّة . (١٩٠٨) . لويس بيريو استقلّ أول سفينة هوائية عبر بحر المانش في (٢٥) تموز (١٩٠٩) .	وزلزال وحريق مدينة : سان فرنسيسكو عام : (١٩٠٦) . إتّحاد زلّندا بدأ مع بريطانيا (١٩٠٧) .

	١٩١٠	نيكتنغال : مؤسسة علم التمريض واكتُشف (السيلفرسان) ضد بكتيريا السفلس . غالتون (بريطاني) مؤسس علم اليوجينيا (النَّسْل) - (١٩١١) . اكتشف الأسبان آثار مدينة الزهراء (الأندلس) . ووفاة ج . دارون صاحب نظرية النشوء والإرتقاء وإفتراض انفصال القمر عن الأرض .	شركة بَلْ الأميركية اخترعت الترانزستر معتمدة علم المواد الصلبة . ووفاة تولستوي الأديب الداعي لتطوير وسلامة المجتمع البشري (١٩١٠) . غوكل (سويسرا) وهِلْ (النمسا) إكتشفا الإشعاع الكوني - ووفاة أمونيرس (نروج) مكتشف القطب الجنوبي (١٩١١) . لانْغْمور (أميركا) اخترع المصباح الكهربائي الغازي .	أرنست رذرفورد (إنكلترا) أبدع النظريَّة النووية للذرّة المسبّبة لإكتشاف القنبلة . بدء انتاج البوارج حاملة الطائرات عام : (١٩١٢) . بداية الحرب العالمية الأولى : ٢٨ تموز عام (١٩١٤) . وجون هولَنْدْ اخترع أول غواصة حديثة . اغتيال ولي عهد النمسا في ساراجيفو (٢٨ حزيران ١٩١٤) والمانيا تعلن الحرب على روسيا ١ - ٨ - ١٩١٤ وعلى فرنسا (٢ - ٨ - ١٩١٤) مع المعاهدة الألمانية التركية انكلترا تعلن الحرب على ألمانيا (٣ - ٨ - ١٩١٤) واليابان تعلنها على ألمانيا .
	١٩١٥	الجراد يغزو سواحل المتوسط ويتوغّل شرقاً .	أينشتَين اكتشف النسبيَّة الشاملة (١٩١٦) .	بدء القصف الجوّي في ميادين القتال وإيتيان (فرنسا) اخترع الدبّابة (١٩١٥) وظهور الزوارق النفّاثة والقذائف الفوسفورية . معركة السويس ٤ - ٢ - ١٩١٥
	١٩١٧	لينين يؤلف الدولة والثورة ١٩١٧	وفاة العالم الإجتماعي إميل دوركْهَيم .	تأسّس الحزب الشيوعي في الإتحاد السوفياتي بقيادة لينين . اميركا تعلن الحرب على ألمانيا ٦ - ٤ - ١٩١٧ لنين يعود لروسيا ناقماً (١٦ - ٤ - ١٩١٧) . الثورة الروسية الحمراء (٧ - ٧ - ١٩١٧) .

يتبع

الدين	العام	الحضاري		السياسي
				وانكلترا تحتل العراق ونيجر وعد بلفور في (١٩١٧) .
	١٩١٨	نقاط وِلْسنْ الأربع عشرة في جمعية الأمم . وأول بريد جوي من أميركا (١٩١٨) . تأسيس عصبة الأمم .	الإقتراع بتساوي النساء بالرجال (١٩١٨) وحَفرْ قناة (پنـاما) .	معركة المارن ١٥ تموز ١٩١٨ . اللبني يحتل فلسطين (١٩ أيلول ١٩١٨) . تركيا تطلب الصلح (١٨ ـ ١٠ ـ ١٩١٨) . المانيا تطلب الهدنة (٦ ـ ١١ ـ ١٩١٨) . نهاية الحرب (١١ ـ ١١ ـ ١٩١٨) .
	١٩١٩			تحرر السعودية (١٩١٩)
	١٩٢٠		ديزلْ : محرّك للعجلات والقاطرات (١٩٢٠) .	فنلندا غدت جمهورية (١٩٢٠) . اخترع الروسي روسيڤتش (ستارت ستوب) عقبها (تليبْرِيَنتَرْ) الحديثة جداً .
	١٩٢١		وفاة ت . غبريال مكتشف طريقة التصوير الملوَّن (١٩٢١) فرنسا .	
	١٩٢٢		بانتنغ وبيسْتْ (كندا) اكتشفا الأنسولين عام (١٩٢٢) .	الجلاء البريطاني عن مصر (١٩٢٢) . إخترع الألمان صاروخ : (ف . أ . ف ح) أسرع من الصوت .
	١٩٢٣	الأفلام السينمائية الناطقة (١٩٢٣) .	ف . ك . زوريكين اخترع الكَميرا التلفزيونيّة عام (١٩٢٣) وايڤوسيكورسكي : الطائرة العامودية .	

	١٩٢٤		وفاة ارنشْت بابلون مؤلف (الآثار الشرقية) وله غيره (٣٠) مؤلفاً في الموضوع نفسة . وجورج إيشْتِين صنع الآلة (اللَّيكا) للتصوير (١٩٢٤) .	وفاة لينين مُحقِّق الشيوعية العالمية . ومنغوليا جمهورية (١٩٢٤) .
	١٩٢٥		إبتُدِع المصباح الومْضي بدَل الشمسي للتصوير . ووفاة سليمان البستاني مُعرِّب الإلياذة . (١٩٢٥) .	
	١٩٢٦	ر . م . ريلْك : شاعر نمساوي وهو أحد عمالقة الأدب الحديث (١٩٢٦) .	غودار (أميركا) صنع الصاروخ (١٩٢٦) .	
	١٩٢٧	لِينْدبورْغ : أول طيران عبر الأطلسي (١٩٢٧) .	فليمنغْ (إنكلترا) صنع البنيسلين . وجون لودجي بيرد : أول صورة تلفزيونية متحركة . والمرآة الدوارة لقياس سرعة الضوء (١٩٢٧) .	مصطفى كمال رئيساً لتركيا . وابن السعود ملكاً على الحجاز ، ونهاية الثورة التحرّرية بقيادة (سلطان الأطرش) عام (١٩٢٧) . استشهاد البطل يوسف العظمة في ميسلون فنلندا جمهورية
إستقلال الڤاتيكان (١٩٢٩) .	١٩٢٩		فليتز فلومر اخترع شريط التسجيل (١٩٢٩) .	

يتبع

الدين	العام	الحضاري		السياسي
	١٩٣٠	إكتشاف النيلن وطوف مروّع في الصين (١٩٣١) . بناء جسر مرفأ (سِدني) طوله (٣٠٥) م وإرتفاعه (٥٢) م .	بيكاسُّو : كارنجي ، الرسام الحديث (١٩٣٠) . وفاة أديسون مخترع المصباح الكهربائي والفونوغراف . لويس ليكي : أول مكتشف للمواد (الأولْديفيَّة) من قرون حيوان وعظام وقِدَمها . ثم وفاة جبران خليل جبران مؤلف : النبي (١٩٣١) . التأكُد من وجود أجزاءٍ للذرَّة من سالبة وموجبة . ووفاة أحمد شوقي أمير شعراء العرب المعاصرين (١٩٣٢) . وفاة رائد الصواريخ الروسي : تسيولكوفسكي . وواتسون وآتْ : إكتشف الرادار .	وفاة برسون : مخترع البواخر الضخمة (١٩٣١) . استقلال العراق (١٩٣٢) . هتلر دكتاتور . يشن حملة تنكيل ضد الحرب الشيوعي . هتلر يحرق الرَيخِسْتاغ (١٩٣٤) .
	١٩٣٥	إختراع التلفزيون (بارتلمي) فرنسا . ووفاة العالم حسن كامل الصبّاح (لبنان) . مكتشفات (أوغاريت) . البثّ التلفزيوني في العالم (١٩٣٦) . والإضراب	وبارْتلمي : التلفزيون (١٩٣٥) . وقد نزلت إلى السوق العالمية الآلات الكهربائية المُتناوَلَة . هيئة الإذاعة البريطانية طوَّرتْ التلفزيون من ميكانيكي إلى	اليابان تحتلُّ باكين (١٩٣٧) . مكتب الهندسة الألمانية إخترع الطائرة النفَّاثة (١٩٣٨) . الحرب العالمية الثانية يشْهرها عام (١٩٣٩) أدولف هتلر (ألمانيا) التفصيل لاحقاً . ألمانيا تصنع مدفعاً مضاداً للطائرات عيار

	١٩٤٠	الرائع لشعب فلسطين ضد الإحتلال الصهيوني . أُلْرْلي هيل صنع المرقب المُعاكِس وقطرهُ : (٥٠٨) سم ، وهو منشيء علم الفلك الحديث . كاندال (أميركا) اكتشف الكورتيزون (١٩٣٨) وفلق النواة (ألمانيا) هاهِن وشتراسمان . حلت الشاحنات محل الخيول في الحروب وجان پول سارتر : (فرنسا) كتاب الغثيان . حياة الفيلسوف اللبناني أمين الريحاني (١٨٧٦ ـ ١٩٤٠)	الكترُوني حديث (١٩٣٦) . كارودَر (أميركا) صناعة النَيلُن . وصناعة الدرَّاجة (بروسوبيريور) الفائقة السرعة عام : (١٩٣٧) . كانْدال (أميركا) مكتشف الكورتيزون . ويَيرْدْ : (إنكلترا) التلفزيون الملوّن وجان پول سارتر ألَّفَ (الغثيان) (١٩٣٨) . و . واطسون واط : (بريطاني) صنع أول رادار وتطوَّر . ووفاة العالم النفسي سَيغْموند فرويد . رشيد نخلة أمير الزجل العربي (١٩٣٩) وفاته . وفاة الأديبة اللبنانية (مي زيادة) (١٩٤١) .	(٨٨) . إستُعملت في المعارك : الصواريخ وقاذفاتها والبازوكا والكاتيوشا المتطوِّرات جداً في عاميَ (١٩٤٠ ـ ١٩٤١) .
		والعالِم : بوش ، اخترع الدماغ الألكتروني .	بادِنْ پوْل (إنكلترا) مؤسس الكشفية العاملية . ووفاة روبندَرات طاغور .	معركة دنكرك آخر (آيار ١٩٤٠) احتلال باريس (١٤ ـ ٦ ـ ١٩٤٠) هتلر يهاجم السوڤيات (٢٢ ـ ٦ ـ ١٩٤١)

يتبع

الدين	العام	الحضاري	السياسي
الأديبة مي زيادة ١٨٩٥ ـ ١٩٤١		صنعت أميركا طائرة (بوينغ B ٢٩) . ووفاة مالينوفسكي (بولونيا) مركز طريقة (الأتنوغرافيا) (١٩٤٣) . واكشيجان (ألمانيا) صنع (السْتريتومَيْسين) (١٩٤٣) .	حصار لينغراد (١٩ ـ ٩ ـ ١٩٤١) معركة موسكو (١٦ ـ ١١ ـ ١٩٤١) استقلال سوريا ١٩٤١ رومل في ليبيا (٢٦ ـ ٢ ـ ١٩٤١) بداية معركة ستالينغراد (٤ ـ ٩ ـ ١٩٤٢) اليابان تحتل الفيليبين (١٩٤٢) معركة بيير الحكيم (١١ ـ ٦ ـ ١٩٤٢) تحرير ستالينغراد (٢ ـ ٢ ـ ١٩٢٣) الحلفاء ينزلون في نورمنديا (٦ ـ ٦ ـ ١٩٤٣) استقلال لبنان (٢٢ ـ ١١ ـ ١٩٤٣) تحرير باريس (٢٥ ـ ٨ ـ ١٩٤٤)
إنشاء المجلس العالمي لإتحاد الكنائس : أرثوذكسي وبروتستنتْ (١٩٤٨) .	١٩٤٥	وفاة جيمس جينز الذي اعتبر أصل نجوم مجرَّة الأرض من الشمس وإقرار جامعة الدول العربية . وفاة شكيب أرسلان : أمير البيان العربي . ورصد أعنف زلزال في ألاسكا (١٩٤٦) . برنادوت : سويدي إغتاله الصهاينة وكان وسيطاً بينهم وبين العرب (١٩٤٨) . حُفرت في الهند قناة تروي (٢٠) مليون هكتار . ووفاة الأديبة المصرية هُدى شعراوي (١٩٤٧) . الجمعية العامة للأمم المتحدة في باريس أقرَّت حقوق الإنسان . واختراع الترانزستر (أميركا) .	بلغتْ قوة أحدث طائرة (٢٥٠٠) حصاناً حتى تاريخه . الولايات المتحدَّة صنعتْ القنبلة الذريَّة وفجرَّتها على هيروشيما (اليابان) . ودوغلاس : في طائرته العالمية وهي : (د . سي ٣) . ومُنِعتْ الأسلحة الكيميائية عالمياً . إستقلال الهند (١٩٤٧) . إنتفاضة العراق ضد (پورت سموت) ـ

		إتفاقية جنيف : لكل من كان في حالة مُعاناة : الحق في المأوى وفي الحصول على العناية التي تتطلبها حالته (١٩٤٩) . صنع طائرة (كنبرا) النفّاثة البريطانية .		(١٩٤٨) . الحرب الطاحنة بين اليابان والإتحاد السوفياتي والإستيلاء على كوريا الشمالية ومنشوريا . وقيام الدولة العبرية بفلسطين غصباً . نهاية حرب الفيتنام مع فرنسا والحرب الكورية .
	١٩٥٠	وفاة جورج برنارد شو الكاتب الساخر المتشائم . مُصدّق الزعيم الإيراني يُؤمِّم النفط (١٩٥١) . مهاريشي ماهيش نقل للغرب التأمُّل المتسامي (اليوغا) .	وطسن وكْريك : عملية نقل الصفات الوراثية (D.N.A.) عام (١٩٥٣) . بُني سَدّ على النيل (شلالات أوغندا - أوين) سِعَته (٢٠٥) مليار م٣ . وسَلْك : (الولايات المتحدة) صنع علاج لِشلل الأطفال عام : (١٩٥٤) . وفاة أينشتين : واضع نظريَّتي النسبيَّة والخاصة . (١٩٥٥) .	أُطلقت القنبلة الهيدروجينية الإنصهاريّة ، للإختبار (١٩٥٠) . الولايات المتحدة صنعت الغوّاصة الذرية والقاذفة . (ألْنوتِرُوس) عام (١٩٥٤) عقبها ثورة الجزائر على الإستعمار الفرنسي دامت حتى (١٩٦٢) . السوفيات يصنعون القمر الصناعي . بعدَها الكلبة (ليكا) عبر الفضاء (١٩٥٧) . كوبا بقيادة كاسترو : جمهورية إشتراكية (١٩٥٩) . جمال عبد الناصر : سيد مصر ١٩٥٢ تحرر ليبيا الكمبودج ومعظم دول افريقيا السوداء والفيتنام ١٩٥٤

يتبع

الدين	العام	الحضاري		السياسي
	١٩٦٠	شركة (أمبكسْ) طوَّرت جداً التلفزيون التَلَسْتار (أميركا) . قلتنينا السوفياتية عَبر الفضاء . ووفاة الشاعر الشيوعي التركي ناظم حكمت (١٩٦٣) . الجمعية الأميركية لِتقدُّم العلوم أعارت إهتمامها بدراسة علم الروح الحديث .	المراصد تثبت أدنى درجة حرارة حدثت في العلم . (١٩٥٨) : فوستوك (القطب الجنوبي) كانت : (٨٨,٣) تحت الصفر ١٩٥٩ : اكتشف ليكي (Leacky)وزوجته جمجمة بشرية تعود لقرابة مليون سنة . وت . ميمان اخترع أول ليزر نَبضي (١٩٦٠) . بشارة الخوري (الأخطل الصغير) يُبايع إمارة الشعر الوجداني . وغاغارين ركب أول سفينة فضائية (١٩٦١) . أول زنجي يُسمح له بدخول الجامعة (الولايات المتحدة) عام (١٩٦٢) ومَرينر (أميركا) مرَّ قرب الزُهرة . بناء سدّ (پراسيك) السوفيات ، يحوي : (١٦٩) مليار م[٣] . ووفاة بشارة خليل الخوري باعث استقلال لبنان (١٩٦٤) . غدا للمطارات العالمية طرقات وناقِلات (١٩٦٧) .	تحرر كمبوديا (١٩٥٥) . تحرر المغرب وتونس السودان جمهورية ومعركة بور سعيد تحرر مدغشقر . داهوما . تشاد السنغال والصومال . تحرير دول جنوب غربي أفريقيا (١٩٦٠) . السوفيات أطلقوا أول قنبلة ذرِّية إنشطارية للتجربة (١٩٦١) . وليمومبا نادى بتحرير الكونغو . تحرير الجزائر وأوغندا ومالطة عقبها تحرّر بعض دول شرقي أفريقيا والسودان (١٩٥٦) واليمن الجنوبية . تلا هذا : ثورة غيفارا في المجتمع البوليفي الطبقي (١٩٦٧) . صنعت الولايات المتحدة القمر الصناعي : أپولو (٨) عام (١٩٦٨) . وفاة البطل الفيتنامي : هوشي مينه . انطلاق أپولو (٨) تلتها الكونكورد (١٩٦٩) . تحرر الكامرون وسيراليون والكويت (١٩٦١)

			أرمسترونغ وألدرين (أميركا) وطئا سطح القمر (١٩٦٩) .	
	١٩٧٠	وفاة برتراند راسل أول من ردّ الرياضيات للمنطق وصاحب كتاب (مبادىء الرياضيات) . شرع الطب الغربي بدراسة الأبر الصينيّة الفولاذية . لويس لَيكي أول مكتشف بدقّة للأدوات (الألدوفيّة) المؤلفة من : عظام وقرون عام (١٩٢١) . الرئيس اللبناني سليمان فرنجية وياسر عرفات يخطبان في مجلس الأمن (١٩٧٣) ووفاة الرسام العالمي بيكاسُّو .	بنى السوفيات لمصر السدَّ العالي (١٩٧٠) وهو يحوي (١٦٤) مليار م٣ . وفاة ج . سْتيوارد (أميركا) ، أنتريولوجي كبير وصاحب مؤلفات التوازي في الحضارات القديمة كافة . جسْر في اسطنبول على البسفور طوله (١٠٧٤) م بُني عام (١٩٧٣) . جسر (هَمبر) بريطانيا طوله (١٤١٠) م وهو الأطول في العالم . (١٩٧٤) .	إتفاق دولي على عدم إستعمال الأسلحة البيولوجيَّة . ووفاة الرائد جمال عبد الناصر . إعدام عبد الخالق محجوب والشفيع في السودان (١٩٧٢) . نهاية حرب الفيتنام مع الولايات المتحدة (١٩٧٣) . أوَّل محطَّة فضائيَّة . بعدها الثورة اللبنانية . الفيتنام ولاوس وأنغولا تستقل (١٩٧٥ - ١٩٧٦) . تحرر البحرين وبنغلادش (١٩٧١) تحرر الإمارات العربية وسيلان (١٩٧٢) بدء تفجر حرب أهلية في لبنان ١٩٧٤
	١٩٧٥	پاشنل (أميركا) صنع أول غواصة ذات مروحة .	في (شيكاغو) تشيَّد أرفع بناء في العالم . إرتفاعه	صُنعت طائرة (ميغ ٢٥) وأُفْ (١٥٠) عام : (١٩٧٥) . والتحمتْ سفينتان

يتبع

الدين	العام	الحضاري		السياسي
		مسبار أميركي هبط نجم الزهراء مواصلاً انطلاقه إلى زحل (١٩٧٦) . وفاة كمال جنبلاط الروحي الأصيل وباعث الصوفية المعتدلة الحديثة (١٩٧٧) .	(٤٤٣) م ، يحوي (١١٠) طوابق ويسع (١٦٥٠٠) نسمة (١٩٧٥) . وتدشين الأقنية الرابطة بين البحر الأبيض والبلطيق في الإتحاد السوفياتي .	سوفياتية وأميركية في الفضاء . وهبط مِسبار سوفياتي على (الزُهرة) . واتجهتْ سفينة لهم إلى نجم (زُحَل) . مَسابير أميركية (فانكنج) حطَّت على (المرِّيخ) . (١٩٧٦) ثم تحرير رودسيا . إيران غدت جمهورية واستقلَّت دولة نيغراكوا . وحرب إيران والعراق دائرة وصُنعتْ طائرة (10 A) بدون رادار عام : (١٩٧٩) . الإعتداء الإسرائيلي على لبنان واحتلال بيروت . تبعها حرب فوكلند بين بريطانيا والأرجنتين (١٩٨٢) .
	١٩٨٠	ظهر مذنَّب (هالي) المؤلف من : نواة وذؤابة وذيل .	اللقاء الخطير بين غورباتشوف وريغن في نيويورك لتحفيف الأزمة السياسية ويعقبه في آخر أيار المقبل لقاء آخر في موسكو للغاية نفسها (١٩٨٨) .	
	١٩٨٥	انفجار بركان يؤدي بخمسين ألف		

			للغاية نفسها (١٩٨٨) .	
	١٩٨٥	انفجار بركان يؤدي بخمسين ألف شخص في كولومبيا (أميركا الجنوبية)		

بدء الرحلات الفضائية

اسم المركبة		تاريخ انطلاقها	هل تحمل بشراً	مُنجزاتُها
سبوتنيك (١)	سوڤياتي	٤ تشرين الأول (١٩٥٧)	لا	أول مركبة اصطناعية تُطلق في الفضاء .
سبوتنيك (٢)	سوڤياتي	٣ تشرين الثاني (١٩٥٧)	لا	تحمل المركبة كلبة سُمِّيت (لَيكا) .
فوستوك	سوڤياتي	١٢ نيسان (١٩٦١)	نعم	أول مركبة فضائية تحمل بشراً (غاغارين) وتدور حول الأرض .
مركوري ريدستون	أميركية	٥ أيار (١٩٦١) .	نعم	أول مركبة فضائية تحمل بشراً .
مارينر (٢)	أميركية	٢٧ آب (١٩٦٢)	لا	أول مركبة تمرّ قريبة من الزهرة .
مارس (١)	سوڤياتي	١ تشرين الثاني (١٩٦٢)	لا	أول مركبة تمر قريبة من المريخ .
فوستوك (٢)	سوڤياتي	١٦ حزيران (١٩٦٣)	نعم	أول مركبة تحمل إمرأة (ڤلنتينا) .
فوسكهود (٢)	سوڤياتي	١٨ آذار (١٩٦٥)	نعم	أول رجل يسير في الفضاء (ألكسي ليونوف) .
لونا (٩)	سوڤياتي	٣١ كانون الثاني (١٩٦٦)	لا	أول مركبة تهبط برفق على سطح القمر .
فينيرا (٤)	سوڤياتي	١٢ حزيران (١٩٦٧)	لا	أول مركبة تهبط على سطح الزهرة .
أبولو (١١)	أميركي	١٦ تموز (١٩٦٩)	نعم	هبوط أول بشر على سطح القمر (أرمسترونغ وألدرين) .
بايونير (١٠)	أميركي	٧ آذار (١٩٧٢)	لا	أول مسبار يطلق نحو المشتري .

بايونير (١١)	أميركي	٦ نيسان (١٩٧٣)	لا	أول مسبار يطلق نحو زُحل .
سكيلاب (٣)	أميركي	١٦ تشرين الثاني (١٩٧٣)	نعم	أطول رحلة فضائية دامت (٨٤) يوماً .
سويوز وفينيرا	لقاء مشترك	١٧ تموز (١٩٧٥)	نعم	أول لقاء في الفضاء بين السوفيات والأميركان .
فينيرا (٩)	سوفياتية	٢٢ تشرين الأول (١٩٧٥)	لا	هبوط على الزهرة وإرسال صور معبِّرة عنها .
فايكنغ (٢)	أميركي	٣ أيلول (١٩٧٦)	لا	هبوط ناجح على الزهرة .
فوايا جور (١)	أميركي	٥ أيلول (١٩٧٧)	لا	مسبار يتّجه نحو المشتري وزُحل .
شاينا (٨)	صيني	٢٥ كانون الثاني (١٩٧٨)	لا	أول مسبار تُطلقه الصين .
سويوز (٣١)	سوفياتي	٢ تشرين الثاني (١٩٧٨)	نعم	أطول رحلة فضائية حتى تاريخه دامت (١٣٩) يوماً و(١٤) ساعة
فينيرا (١١ ـ ١٢)	سوفياتي	كانون الثاني (١٩٧٨)	لا	آخر هبوط لتاريخه وناجحٍ على الزهرة لمتابعة دراستها .

المعارك البرّية والبحرية لحرب : (١٩١٤ ـ ١٩١٨)

١٩١٤	
٢٨ حزيران	اغتيال ولي عهد النّمسا في ساراجيڤو (الصرب)
٢٨ تموز	اعلان الحرب العالمية ١ء (النمسا)
١ آب	المانيا تعلن الحرب ضدّ روسيا
٢ آب	المانيا تعلن الحرب على فرنسا . المعاهدة الالمانية ـ التركية
٣ آب	انكلترا تعلن الحرب ضد المانيا الألمان يغزون بلجيكا
٢٣ آب	اليابان تعلن الحرب على ألمانيا
٢٧ أيلول	الروس يحتلون المجر
٢٩ ايلول	تركيا تغلق مضايق البوسفور والدردنيل
١٢ تشرين ٢	الانكليز يحتلون البصرة
٢٢ تشرين ٢	تركيا تعلن الحرب على الحلفاء
٢ كانون ١	معركة فالكلاند البحرية
١٧ كانون ٢	عزل الخديوي عباس حلمي

١٩١٥	
٢ - ٤ شباط	معركة السويس
١٩ شباط	اساطيل الحلفاء يهاجمون الدردنيل
٢٢ نيسان	الألمان يستعملون الغازات السامة
٣ حزيران	الانكليز يحتلون كوت العمارة (العراق)
٥ آب	الألمان يحتلون ڤرسوڤيا
٥ تشرين ١	إنزال الحلفاء في تسالونيقي
٢٢-٢٤ تشرين ٢	هزيمة الانكليز قرب المدائن (العراق)
١٩١٦	
٦-٨ كانون ٢	الحلفاء يخلون غاليبولي
١٦ شباط	احتلال ارضروم وطرابزون وبتليس
٢١ شباط	بدء معركة ڤردان
٩ آذار	بيان الحلفاء حول تقسيم تركيا
٢٩ نيسان	استسلام الانكليز في كوت العمارة
حزيران	بدء ثورة الحجاز (الشريف حسين)
٨ تموز	الاتراك يستعيدون بتليس
٢٨ آب	رومانيا تدخل الحرب
٢٢ تشرين ١	الشريف حسين يصبح ملكاً على الحجاز
٥ تشرين ٢	البيان الألماني - النمسوي حول اعادة بناء المانيا
٦ كانون ١	احتلال بوخارست
٢٩ كانون ١	اغتيال راسبوتين
١٩١٧	
١ شباط	اعلان المانيا حرب الغواصات
٣ شباط	قطع العلاقات الدبلوماسية بين المانيا وأمريكا
١١ آذار	الأنكليز يحتلون بغداد

٦ نيسان	امريكا تعلن الحرب على المانيا
١٦ نيسان	لينين في روسيا
١٩ نيسان	وقف العمليات العسكرية الفرنسية والأنكليزية في شامبانيا وأرتوا (فرنسا)
١٢ حزيران	نفي قسطنطين ملك اليونان
٩ آب	الوساطة البابوية
تشرين ١	الثورة الاشتراكية في روسيا
٢ تشرين ٢	وعد بلفور المشؤوم
٧ تشرين ٢	الانكليز يحتلون غزة ويافا
٩ تشرين ٢	احتلال القدس
٢٠ تشرين ٢	اوكرانيا تعلن استقلالها
١٩١٨	
٨ كانون ٢	نقاط ولسن الأربع عشرة
١٨ شباط	هجوم تركي على ارمينيا
٢٦ شباط	هدنة روسية ـ المانية
١ـ٢٠ آذار	الألمان يحتلون كييف. واوديسّا وكركوف
٢١ آذار	الهجوم الألماني على السومّ
٥ نيسان	وقف الهجوم الألماني
١٥ تموز	هجوم الماني على المارن (فرنسا)
١٨ تموز	هجوم فرنسي مضاد
١٤ ايلول	النمسا تطلب الصُلح
١٥ ايلول	التدخل الامريكي في فرنسا إلى جانب الحلفاء
١٩ ايلول	الجنرال اللنبي يدخل فلسطين
٢٦ أيلول	احتلال طبرية
٢٩ ايلول	توقيع معاهدة الهدنة مع بلغاريا

١٨ تشرين ١	تركيا تطلب الصلح
٢٧ تشرين ١	المانيا تقبل نقاط ولسن ال ١٤
٦ تشرين ٢	المانيا تطلب الهدنة
١١ تشرين ٢	انتهاء الحرب

المعارك جوا . ارضا ـ بحرا ـ للحرب العالميّة :
(١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) .

١٩٣٩	
١٥ آذار	هتلر يحتل تشيكوسلوفاكيا
٧ نيسان	موسوليني يحتل البانيا
١٢ ايار	المعاهدة الانكليزية ـ التركية
٢٢ ايار	المعاهدة العسكرية الألمانية ـ الايطالية
٢٢ آب	الاتفاق الألماني ـ السوڤياتي .
١ أيلول	هتلر يجتاح بولونيا
٣ أيلول	فرنسا وبريطانيا تعلنان الحرب على ألمانيا
١٧ ايلول	الروس يجتاحون بولونيا
٢٧ ايلول	استسلام بولونيا
١٩٤٠	
١٠ ايار	الألمان يغزون بلجيكا وهولندة
١٥ـ١٨ ايار	استسلام هولندة واحتلال بروكسل
٢٨ ايار ـ ٣حزيران	معركة دنكرك
١٤ حزيران	احتلال باريس
١٦ حزيران	فرنسا توقع على اتفاقية الهدنة مع المانيا (پيتان)

٢٣ ايلول	اليابان تهاجم الهند الصينية
٢٨ ايلول	الهجوم الايطالي على اليونان
١٢ ك ١	الانكليز يهاجمون في مصر: احتلال سيدي براني
١٩٤١	
٢ آذار	الألمان يحتلون بلغاريا
٨ نيسان	احتلال تسالونيقي (سالونيك)
١٨ نيسان	وقف المقاومة اليوغوسلافية
٢٣ ايار	المعركة البحرية ـ الجوية بين الحلفاء والمانيا (معركة سيتير)
٢٢ حزيران	هتلر يهاجم روسيا
١٩ أيلول	حصار لينيغراد
١٦ت ٢ـ٥ك ١	معركة موسكو بين الروس والألمان
احداث شمالي افريقية	
٢٢ ك ٢	الانكليز يحتلون طبرق
٧ شباط	احتلال بنغازي
٢٦ شباط	رومل في ليبيا
٣ نيسان	رومل يستعيد بنغازي
٢ـ٣١ ايار	ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد الانكليز
٨ حزيران	الانكليز يجتاحون سورية
١٤ تموز	اتفاقية الهدنة (عكّا)
٢٥ آب	الانكليز والروس يدخلون ايران
٢٧ ايلول	نهاية المقاومة الايطالية في اثيوبية (الحبشة)
١٨ تشرين ٢	الانكليز يهاجمون من جديد في ليبيا
٢٤ ك ١ء	احتلال بنغازي ثانية (الانكليز)

١٩٤٢	
٤ حزيران	الألمان يهاجمون سباستيبول (شبه جزيرة القرم)
٤ ايلول	بداية معركة ستالينغراد
٢٧ تشرين ٢	الألمان ينسفون الاسطول الفرنسي في شواطىء طولون
احداث الشرق الأقصى	
٢ ك ٢	اليابانيون يحتلون مانيلاً (الفيليبين)
٨ آذار	استسلام جاوة (اندونيسيا)
١٨ نيسان	الامريكيون يقصفون طوكيو
٧-٩ ايار	معارك بحر المرجان
احداث شمالي افريقية	
٢٧ ايار	الهجوم الألماني على ليبيا بقيادة رومل
١١ حزيران	معركة بير حكيم
٢١ حزيران	استسلام طبرق
٢٣ تشرين ١	مونتغو يهاجم الجبهة المصرية
٨ تشرين ٢	انزال الحلفاء في شمالي افريقية
١٤ تشرين ٢	انزال الألمان في تونس
٢٠ تشرين ٢	الانكليز يحتلون بنغازي
١٩٤٣	
٢ شباط	استسلام الألمان في ستالينغراد
٥ تموز	تحرير بنزرت وتونس
٤ ايلول	انزال الحلفاء في ايطاليا

١٠ ايلول	الألمان يحتلون رومة
٢٣ ك ٢	احتلال طرابلس الغرب (الانكليز)
١٩٤٤	
١٩ آذار	الألمان يحتلون المجر
٤ حزيران	الحلفاء يحتلون رومة
٦ حزيران	انزال الحلفاء في نورمانديا
٢٧ حزيران	تحرير شربورغ
١٥ آب	انزال الحلفاء في البروفانس
٢٥ آب	تحرير باريس
٥ ايلول	تحرير بروكسل
١٣ تشرين ١	الحلفاء يحتلون أثينا
٢٢ـ٢٥ تشرين ١	معركة الفيليبين البحرية بين اليابان والامريكيين
٢٨ ك ١	وقف الهجوم الألماني
١٩٤٥	
١ك ٢	الهجوم الألماني على اللورين (فرنسا)
٩ ك ٢	الانزال الامريكي في لوسون
١٣ ك ٢	الهجوم الشتوي الروسي
١٧ ك ٢	احتلال ڤرسوڤيا (الروس)
٢٤ شباط	الامريكيون يحتلون مانيلاّ عاصمة الفيليبين
٧ آذار	الحلفاء يجتازون الرين ويحتلون كولونيا (المانيا)
٢٥ آذار	الهجوم الروسي الربيعي
٢٦ آذار	الحلفاء يحتلون فرانكفورت
٣١ آذار	محاصرة القوات الألمانية في منطقة الرور

٦ـ٧ نيسان	معركة اوكيناوا البحرية
	الامريكيون يدمرون الاسطول الياباني
١٤ نيسان	الانكليز يحتلون رانقون
٢٥ نيسان	الروس يبلغون حدود برلين
١ ايار	الحلفاء يحتلون مدن ايطاليا الشمالية
٢ ايار	استسلام الألمان في ايطاليا
	احتلال الروس برلين
٨ ايار	وقف اطلاق النار واستسلام المانيا
١٤ تموز	قصف الامريكيين ارخبيل اليابان
٦ آب	القاء اول قنبلة ذرية على هيروشيما (اليابان)
٨ آب	روسيا تعلن الحرب على اليابان
٢٢ آب	معركة پور أرثور
٢ ايلول	استسلام اليابان

أدناه ولاحِقاً أسماء لبعض رجال ونساء فكرٍ وفنٍّ خلال القرن العشرين والتاريخ حولهم يُشير إلى عام الوفاة .

أ ـ الفلاسفة :

م . هردغجر M. Herdegger مؤسس المدرسة الوجودية ـ ألماني (١٨٨٩) .

و . جايمس W. James عالم نفسي طوَّر الفلسفة البرغماتيّة ـ أميركي (١٩١٠) .

ا ـ ماتش E. Maach أنكروجود الزمن المطلق والفضاء المطلق ـ نمساوي (١٩٦١) .

ج . أ . مور Ed. Moore أحد أبرز المفكرين البريطانيين المعاصرين ـ (١٩٥٨) .

ف . نيتشه Fr. Nitzseche ركّز فلسفته على الإنسان الأقوى والأكمل ـ ألماني (١٩٠٠) .

ر . ب . بارّي R.B. Perry طوَّر الفلسفة البرغماتيّة ـ أميركي (١٩٥٧) .

ج . رويس J. Royce نادى بالمثالثة المُطلقة ـ أميركي (١٩١٦) .

ب . رَوسلّلْ Ber. Russell فيلسوف ومِن أعظم رياضيِّي العصر الحديث ـ بريطاني (١٩٧٠) .

ن . بَرْدييف N. Berdyaev من أبرز الفلاسفة الوجوديين السوفيات ـ (١٩٤٨) .

ج . ب . سارْتر J. P. Sartre زعيم المدرسة الوجودية الفرنسية ـ (١٩٠٥ ـ ؟) .

أ . هويْتهدْ Alf. Whiteheaid فيلسوف ورياضيٌّ كبير بريطاني ـ (١٩٤٧) .

هـ . برغسن H. Bergson جادل الفلاسفة في نزعته الروحية ـ فرنسي (١٩٤١) .

ميخائيل نعيمة أديب إجتماعي وذو آراء فلسفية روحية ـ لبناني (١٩٨٨) .

كروتشي Crace قاوم بصلابة الروح الفاشيّة إيطالي (١٩٨٧) .

ب ـ أكبر المستشرقين :

ج . فلوغل G. Flugel ألماني : واضع الفهرس لألفاظ القرآن الحكيم (١٨٧٠) .

ج . هاملتون Gible Hamelton بريطاني : معظم ما كتب حول التراث الإسلامي (١٨٩٥ ـ ؟) .

غولدزهر Goldziher مستشرق هولندي (١٩٢١) .

ر . بورتن R. Burton بريطاني : قام بترجمة (ألف ليلة وليلة) القديمة (١٨٩٠) .

هـ . كوربَنْ H. Corbin فرنسي : من أفخم المستشرقين المعاصرين (معاصر) .

أ . تُوينبي Toynbee بريطاني : مؤرّخ ومستعرب حديث (١٩٧٥) .

٢ ـ شعراء القرن العشرين

س . ملارمة S. Mallarmé فرنسا مؤسّس الشعر الرمزي ورائده (١٨٩٨) .

ر . م . ريلك R.M. Rilke ألمانيا : صاحب شهرة واسعة (١٩٢٦) .

پ . ألوار P. Elward شاعر المقاومة الفرنسية ضدّ النازية (١٩٥٢) .

ڤ . كلابنيكوف V. Kelebnikov سوفياتي عمل على توضيح الشعر للعامّة (١٩٢٢) .

ڤ . مياكوفسكي V. Mayakovsky أعظم شعراء الثورة البولشفية (١٩٣٠) .

پ . ڤالاري Paul Valéry فرنسي ألمع أركان المدرسة الرمزية (١٩٤٥) .

پّپلونرودا Paploneruda شيلّي تميّز بنفسه الثوري التحرّري (١٩٧٣) .

خليل مطران لبناني عربي أحد أركان نهضة الشعر الُملتزم (١٩٤٩) .

خليل حاوي لبناني مجدّد متحرّر في شعره ومواضيعه (١٩٨٦) .

أمين نخلة لبناني شاعر الندى والربيع ومحام وأديب (مُعاصر) .

أ . برتون A. Berton فرنسي رمز المدرسة السريالية ومؤسّسها (١٩٦٦) .

معروف الرصافي عراقي عربي معاد للإستعمار وعملائه (١٩٤٥) .

بدوي الجبل سوري عربي متين الأسلوب ملتزم (معاصر ـ حديث) .

ڤ . نيزفال Vitz—Nizval تشيكي : شاعر مرموق (١٩٥٨) .

غ . فردينغ Gust. Frading سويسري برع في وصف التماثيل القديمة (١٩١١) .
م . مشادو Man. Mehado أسباني رائع في وصفه للمتاحف (١٩٤٧) .
ب . ليند Bos. Lind سويدي : أتقن وصف الطبيعة والتماثيل القديمة (١٩٢٣) .
أول . ف . ڤيڤال Old. F. Vivel دانيمركي : شاعر حديث ينزع إلى وصف المشاهد والعواطف (١٩٢١ - ؟) .
ناظم حكمت تركي : معظم شعره سياسي إجتماعي شيوعي النزعة (معاصر) .
م . مهدي الجواهر عراقي عربي عريق في نزعته الشيوعية وفي جرأته (حَي) .

د ـ مشاهير الفن المسرحي

ج . پوتسيني Paccini صاحب أفخم الأوبرات العالمية (١٩٢٤) .
م . ماتِرْلينك M. Maeterlinck مسرحي وشاعر بلجيكي (١٩٤٩) .
و . ب . إيتس W.B. Eats مسرحي مبدع : إيرلندي (١٩٣٩) .
م . أندرسون M. Anderson باعث الشعر المسرحي : بريطاني (١٩٥٩) .
ب . برخت B. Brecht أراد المسرح للتعليم لا للتسلية (١٩٥٦) .
أ . بريتون A. Breton مؤسس المذهب السريالي : فرنسا (١٩٦٦) .
أ . ماكسولّ Maxwell مسرحيٌ بازر أميركا (١٩٥٩) .
ن . كووارد Coward مسرحي وكاتب لامع : بريطانيا (١٩٧٣) .
س . بيكّت B. Beckett روائي ومسرحي معاً : إيرلندي (١٩٠٦ - ؟) .
يوسف وَهبَة أبرز مؤسسي المسرح العربي المتقدِّم (معاصر حديث) .
و . ويلد Oscar Wilde إيرلندي نادى بالفنّ للفنّ (١٩٠٠) .

هـ ـ أشهر روائيي العصر الحديث

كنوت همسن K. Hamsun نارو جي في أدبه حداثة وفنّ (١٩٥٢) .
أ . س . غردنر Gardner أميركي غزير الإنتاج في رواياته البوليسية (١٩٧٠) .
م . غوركي M. Garki سوڤياتي تعمّق في تصوير حياة الفلاحين (١٩٣٦) .
محمود تيمور عربي من مناهضي المرأة ورائد القصة الحديثة (١٩٧٣) .

ت . هاردي T. Hardy بريطاني من ألمع الروائيين تصويراً (١٩٢٨) .

هـ . كللر H. Keller فقدتْ بصرها وسمعها طفلة وحققت نجاحاً في فنّ الرواية (١٩٦٨) .

أ . مولروو André Malraux فرنسي أشهر رواياته (المصير البشري) - (١٩٧٦) .

ت . مانّ T. Mann ألماني إشتراكي (١٩٥٥) .

س . أوكازي Sem O'casey إيرلندي أبدع في تصوير أوضاع البؤساء (١٩٦٤) .

ج . هـ . أوهارا J.H. O'Hara أميركي أجاد في تصوير الطبقة البورجوازية (١٩٧٠) .

ع . رمبرندت R. Rembrandt فرنسي ذائع الشهرة (١٩٤٤) .

جرجي زيدان لبناني عربي معظم رواياته من صميم التاريخ العربي (١٩١٤) .

إحسان عبد القدوس عربي مصري من أكبر رواد القصة العربية (معاصر حديث) .

نجيب محفوظ عربي مصري أحد أعظم المساهمين في تحديث الرواية العربية (معاصر حديث) .

أ . شيروود .A رائد للأقصوصة الأميركية (١٩٤١) .

ل . أندريف L. Andreev روائي سوڤياتي (١٩١٩) .

م . برّاس M. Barres فرنسي (١٩٢٣) .

س . بوڤوار S. Beauvoir روائية فرنسية (١٠٩٨ — ؟) زوجة سارتر .

پ . بوكْ P. Buck روائية أميركية (١٩٧٣) .

ألبير كامو Alb. Camus صاحب رواية « الطاعون » فرنسي (١٩٦٠) .

و . تشرشل W. Churchill رواياتها تاريخية : بريطانية (١٩٦٥) .

أغاتا كريستي Agatha Kristy بريطانية : رواياتها بوليسية تُعرَفُ الجريمة آخراً (١٩٧٦)

كوليت Colette روائية فرنسية تميَّزتْ بتحليل العواطف (١٩٥٤) .

أهرنبزغ Ehrenburg سوڤياتيّ رائد - موجِّه شيوعي (١٩٦٧) .

غال زونا G. Zona من رواد المدرسة الواقعية : أميركا (١٩٣٨) .

هـ . ج . ويللز H.G. Wells بـريـطاني : من أبـرز كتّـاب الـروايـة العِلميّـة (١٩٤٦) .

أ . فيديف Alex. Fidiev سوفياتيّ موجّه ضدّ النزعة الفاشيّة (١٩٥٦) .

م . بـروست Marcel Proust روائيّ فـرنسي وأحـد أسبق روّاد الـروايـة النفسية (١٩٢٢) .

كرم ملحم كرم صاحب الروايات الحديثة لـ (ألف ليلة وليلة) لبناني (معاصر) .

مـارون عبـود لبناني : صـاحب روايـات إجتماعيـة عـربيـة أصيلة (١٩٦٢) .

فرنْدال Fernendal فرنسيّ : نجم الكوميديا المعاصرة (١٩٧١) .

و ـ أمهر نحّاتي العصر الحاضر

ب . كلي Paul Klee ألمانيا (١٩٤٠) .

م . شاغال M. Chagall سوفياتي (١٩٨٣) .

هـ . مور Henry Moore بريطاني (١٩٨٦) .

أ . مُيُول A. Maillol من أبرز النحاتين الفرنسيين المعاصرين (١٩٤٤) .

ج . كيركوب James Kirkup من ألمع النحاتين البريطانيين المعاصرين (١٩٢٣ ـ ؟) .

ج . أنسر James Enser تميّزت أعماله ببراعة فائقة بلجكا (١٩٤٩) .

س . دولي Sulvador Doli نحاّت لويسري جدّ معاصر (١٩٠٤ ـ ؟) .

ج . كوكتو J. Cocteau فرنسيّ (١٩٦٣) .

پ . سپاّن Peter Spann ناحت وشاعر وموسيقي هولندا (١٩٤٨) .

ن . غابرمن N. Gabrmen أعظم النحاتين السوفيات (١٨٩٠ ـ ؟) .

ز ـ أبرع موسيقي العصر الحالي

ج . ت . هولست G.T. Holst موسيقي بريطاني (١٩٣٤) .

ش . إيفس Ch. Ives أميركي ينزع بفنّه إلى التجديد (١٩٥٤) .

ف . لهار F. Lehar هنغاري (١٩٤٨) .

أ . ستراڤنسكي Ig. Stravinsky سوڤياتي (١٩٧٠) .

سيّد درويش زعيم مجدّدي الفن العربي (١٩٢٣) .

أمّ كلثوم رائعة بفنها العربي (١٩٧٥) .

عاصي الرحباني موسيقي وملحّن وشاعر لبناني (١٩٨٦) .

ألما ستادَما إنكليزي : برع في تصوير الحياة اليوميَّة (١٩١٢) .

ج . كروزكو J. Crozco مكسيكي : من أعظم رسّامي اللوحات الجدارية في العصر الحديث (١٩٤٩) .

فر . مارك Fr. Marc ألماني : تنزع لوحاته إلى الروح التعبيريَّة (١٩١٦) .

پاپلو بكاسّو P. Picasso أسباني : أشهر رسّام في العالم بهذا العصر (١٩٧٣) .

ج . مارن J. Marin أروع لوحاته مائيّة تعبيرية (١٩٥٣) .

پ . مارينِاتيّ P. Marinetti إيطالي : مؤسّس المدرسة المستقبليَّة في الرسم (١٩٤٤) .

پ . موندريان P. Mandrian هولندي : جميع رُسومه موضوعيَّة (١٩٤٤) .

ج . مورندي J. Morandi إيطالي تُمثّل رسومه الطبيعة الصامتة الهاجعة (١٩٦٤) .

م . پروست M. Proust فرنسي : تتَّسم رواياتُه بالعُمق والنزعة النفسيَّة (١٩٢٢) .

پ . كلاي Paul Klee سويسري : تمثّل رسومه براءة الأطفال (١٩٤٠) .

أ . سولْزهانيتْزن Al. Salyhenitsyn سوڤياتي : عبّر بوضوح في رسومه للطبقات الكادحة (١٩١٨ - ؟) .

(عن مراجع موثوقٍ بها) .

نظرة وتحديد تقريبي للأعصر الخوالي . ولمدى أبعاد النجم .

عُثِرَ على آثار في أفريقيا الشرقية لـلأوائل المسمون بالأُسترالوبيتاكيين حوالي ثلاثة ملايين سنة . قبل عشرة آلاف سنة انتهت حقبات الجليد وبدأ الأوائل بتدجين الحيوان وتحسين الغذاء واستعمال مواد البناء .

عمر الأرض والقمر بين (٤٥٠٠ و٤٧٠٠) مليون سنة .

عدد نجوم المجرات كافة زهاء مئة ألف مليون نجم .

قطر الشمس نحو مليون و (٣٩٢) ألف كلم . وهي أكبر من الأرض بأكثر من مليون مرة .

عُثر في فرنسا على أدوات من العصر الحجري القديم والأوسط عمرها ما بين (٧٠ و٣٢) ألف سنة تعود إلى بدء آخر عصر جليدي دلّت عليها سكاكين وأدوات منزلية من خشب محروق من أطرافه ومرصّع بشظايا من الصوان . كما وجد في مصر مناجل وقواطع من هذا الخشب داخل فيه شظايا من الصوان تعود إلى نحو (٣٠٠٠ ـ ٢٥٠٠) ق . م .

أطول عهد للنحاس عثر عليه في مصر (بين (٥٠٠٠ و٣٧٠٠) ق . م . الصين أتقنت صناعة الخزفيات من زهاء (١٥٠٠) ق . م .

كانت التقنيّة في العالم الأرضي قائمة على الحجر قبل (١٠) آلاف سنة . وقامت على البرونز قبل (٣٠٠٠) سنة وعلى الحديد قبل (٢٠٠٠) سنة ق . م .

عُرف الطِلاء بالمينا من نحو أربعة الآف عام ق . م . وعُرف الزجاج من (١٥٠٠) . أمّا الزُجاج المَنْفوخ فعُرف في مطلع القرن الأول للمسيح .

إنّ (فريدْ ريكْ بَلّ) المتوفّى عام (١٨٤٦) قاس بدقّةٍ فائقةٍ مسافات النجوم . وجد أن القريب منها إلينا يبعد (٩٦) مليون كلم . يقطعها الضوء في مدّة (١١) سنة . وتلك هي مسافة بُعدِهِ عن الأرض .

لفتةٌ موجزة إلى كواكب المنظومة الشمسيَّة في فَلَكِنا

تستغرق الرحلة إلى القمر عشرة أضعاف طول قطر الأرض .

ما برح علماء الفلك يستعملون آلة (تيكويراهي) المتوفي عام : (١٩٥٦) لقياس أوضاع النجوم .

لتحديد بعدها ومظاهرها قبل التلستار والسكايلاب مع حساب المثلثات وبواسطة بثّ الرادار في نبضاته والموجات الإشعاعيّة ، كذلك بواسطة الإشعاع الطَيفي وقياسه بالسطوع الحقيقي الخاص بالنجم والمقارنة أخيراً بينهما ، حيث يتحقّق البُعد الشلسع جداً (مئات السنين الضوئيَّة) .

أما السُدم اللولبيَّة فتبعد ملايين السنين الضوئية. أكبر مرقب أميركي (٦٠٥) سم.

يستعان مع المراقب الكبرى بـالأشعّة فـوق البنفسجية والسينيـةِ (X) الأشعَّة السينيـة تأتينا من مجرتنا ومن سواها الأبعد، ثم وأشعّة غمّا التي تحتاج لمعـدات يحملها الصـاروخ. مع الأطياف الكهرطيسيَّة التي توكّد كلها المعلومات عن النجوم وعن أبعادها ومحتواها.

إن للنظام الشمسي وسياراته وجوداً محدوداً إذ تفقد وقود الهيدروجين.

منظومتنا الشمسية المعروفة بكثير من الدقة هي:

عطارد: أقرب سيار إلى الشمس لا يظهر بوضوح للعين المجردة. ترتفع حرارته في النهار إلى (٣٧٠) سنتغـراد لـذا لا يمكن وجـود أي نـوع معـروف من الحيـاة عـلى سطحه.

الـزُهـرة: تبلغ حجم الأرض وهي شـديـدة التـألّق وبـالمرقب كـامـده بسبب البخـار (هيدروجين) المنتشر بكثافة في جوّها والحامل لثاني أوكسيد الكـربون الـذي يؤكّد عدم صلاحها للسكن.

لقد أثبت المِسْبار الأميركي عام (١٩٦٢) الذي مرّ حولها أن سطحها يحمـل حـرارة مفـرطـة وأن دورانها حـول الشمس معـاكس لـدوران الأرض. إن الضغط على سطحهـا يبلغ زهاء مئـة ضعف الضغط على الأرض حسب مـا سجّلته المظلاّت الواقية للمِسبار السوفياتي مارينَرْ.

الأرض: موقع الأرض بـالنسبة للشمس سمـح لها بـأن تسكن لتوسّط حـرارتها وبـرودتها وغناها بالأوكسجين وخلو جوّها من الإشعاعات الفتاكة ذات الموجات القصـيرة الآتية من الفضاء.

تمكّن علماء الفلك المعـاصرون خـاصّـة وبـالتـأكيـد من تقـديـر عمـر الأرض بـ (٤٦٠٠) مليون سنة وعرف ذلك بـواسطة النشـاط الإشعاعي وكـذلك هي الحـال لسائـر الكـواكب المتـواجـدة في نـظامنـا الشمسي والتي تتعـذر سكنـاهـا للأسباب التي ألمحنا إليها من قبل.

المريخ: إنه أقرب العوالم المعروفة إلى الأرض وأصغر منها بكثير. تصل الحرارة في صيفـه

نهاراً إلى (١٦) ستيغراد أما ليله فشديد البرودة جداً قطره (٦٧٩٠) كلم تقريباً .

إن الفلكي الأميركي المتوفي عام (١٩١٦) مقتنع بعمق بأن المريخ مأهول ومتقدم حضارياً بسبب ما ظهر له من شبه قنوات على سطحه بلون المغرة الحمراء تقريباً . إن فلكيي اليوم أثبتوا بعد استخدامهم المراقب الضخمة الحديثة بأن ما رؤى كأقنية هو غير ذلك أنها مجاري سيول جارفة سابقاً .

اكتشفت السفينة مارينر (٩) على سطحه فوهات براكين هائلة وأكدت لون تربته وجوّه ونوع الغازات المنتشرة في فضائه حتى عام (١٩٧٩) . أن عمر المريخ بعمر الأرض تقريباً وبراكينه مرتفعة جداً إلى حد عشرين كلم .

المشتري : إنه أكبر السيارات الدائرة حول النظام الشمسي . قرصه أصفر عليه أحزمة قاتمة هي غيوم يحمل سطحه بقعاً عديدة عابرة أما الكبرى فحمراء قرميدية .

الحرارة في وسطه تبلغ آلاف الدرجات . له سطح غازي وربما سائل يحول دون الهبوط عليه .

إن جوّه يسمح بالسكنى تحته وبعضهم ينفي ذلك ، والغدُ يكشف الحقيقة .

يُعتقد أنّ له مصدراً حرارياً داخليّاً خلا الشمس .

زُحل : أنه أبعد السيارات في المنظومة الشمسية وأجملها تألقاً في حلقاته المختلفة الألوان . وهو بعد المشتري حجماً . الهيدروجين فيه عنصره الأول . يحمل جوّه كمية كبرى من الميتان وكمية أقل من الأمونياك وما برح الفلكيون يشككون في أمر هذه الحلقات .

بلوغ زحل يستغرق عدة سنوات .

إن المسيار (مايونير) ١١) مرّ قريباً من المشتري في طريقه إلى زحل ولم ترد بعد أية معلومات عنه توضح أكثر حلقاته وأجوائه .

أُورانوس : لا يرى بالعين المجرّدة قطره يساوي تقريباً نصف قطر زحل وطبقاته الخارجيّة غازية ، وحرارة سطحه منخفضة جداً . توابعه أصغر من قمرنا وهي خمسة وفي انحراف مساره تأكد لعلماء الفلك وجود سيار مؤثر عليه بعد جهد رؤى

هذا السيار فكان (نبتون) وهو أصغر بقليل من أورانوس لكنه لا يتأرجح محوره شأن أورانوس .

يرى نپتون قرصاً مائلاً إلى الزُرقة . إنّ سطحَي أورانوس ونپتون مُشبّعان بالغاز .

پلوتو : سيار بحجم القمر ، مداره متغير ومائل . اكتشف عام (١٩٣٠) . إنه أصغر من الأرض بحجم القمر تقريباً . طبيعته حتى اليوم غير معروفة . إنه مفرط في تغير مركزه .

النيازك : ترى عادة طيفاً لهُ ذيول مضيئة . حين يدخل جوّ الأرض الأعلى يحدث احتكاك بينه وبين جزيئات الهواء في السماء . قيل إنها حطام مذنبات وهذا محتمل لأن المذنب حين يتحطم يبقى له أثر منثور من مادة نَيزَكِية .

الرجم : الرجم هي الجسيمات الهابطة التي تصل الأرض قبل أن تتناثر وهي نوعان حجرية وحديدية إن سقوط الرجم الكبرى نادراً عرف اثنتان منها . في أريزونا (أميركا) وأستراليا ولم يعطب أي إنسان منها .

الشمس : هي نجم واحد من أصل (١٠٠,٠٠٠) مليون نجم . وهي على ضخامتها قزم نسبة لسائر أنجم الكون . إنها تتسع لأكثر من مليون جرم بحجم الأرض . تبلغ حرارة سطحها (٥٥٠٠٠) سنتيغراد . تظهر عليها لطخات قاتمة إنها : (الكلَفَ) وهي ليست بسوداء أصلاً لكن البعد أظهرها كذلك . وهذا الكلف يتحرك ويتنقل عن قرصها . وترى بوضوح أكثر لدى نشاط الشمس الدوري . بلغ عدد العناصر الموجودة في جو الشمس حتى اليوم (٦٠) عنصراً منها (الهيليوم) . ليست الشمس مصدراً للنور وحسب بل هي مصدر لإشعاعات ما تحت الأحمر (الحرارة) وما فوق البنفسجي وللأشعة السِينيَّة وغمًا والأشعة الرادَوية عرّفتنا على معظم حقيقتها الأقمار الصناعية والسكايلاب عامي (١٩٧٣ - ١٩٧٤) من الخطأ الظن بأن الشمس تتَّقِد شأن النار . وهي أقدم عمراً من الأرض ويمكن دوام إتّقادها قدر عمرها أي (٥٠٠٠) مليون سنة ثانية .

[عن موسوعة بهجة المعرفة (سويسرا) (١٩٧٦)] .

النظام الشمسي				
أسم الكواكب	بعده عن الشمس بملايين الكيلو مترات	قطره بالكيلو مترات	كتلته بالكتل الأرضية	مدّة دوارنه المحوري
عطار	٥٨	٤٨٨٠	٠,٠٥	٥٨٧ يوماً
الزهرة	١٠٨،٠٩	١٢١٠٠	٠،٨٢	٢٤٣ يوماً
الأرض	١٤٩،٥٩	١٢٧٥٦	١،٠٠	٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة وأربع ثوانٍ
المرّيخ	٢٢٧،٩٤	٦٧٩٠	٠،١١	٢٤ س . ٣٧ د . و ٢٣ ثانية
المشترى	٧٧٨،٣٨	١٤٢٨٠٠	٣١٧،٩	٩ س . ٥١ . دقيقة .
زحل	١٤٢٧	١٢٠٠٠٠	٩٥،٢	١٠ سس . و ١٤ دقيقة .
أورانوس	٢٨٦٩	٥١٨٠٠	١٤،٦	١٠ س . ٤٨ دقيقة .
نبتن	٤٤٩٦	٤٩٨٠٠	١٧،٢	١٥ س . ٤٨ دقيقة
بلوتو	٥٩٠٠	٥٩٩٨	٠،٠٨	٦،٣٩ أيام .
القمر	٣٨٤٠٠٠ بعده عن الأرض	٣٤٧٧	٠،٠١٢	٢٧،٣٠ يوماً
الشمس		١٣٩٢٣٠٠	٣٣٣٠٠٠	٢٥،٤ (عند خطّ الأستواء) .

هذه الصفحة تحدد الاعصر ومبتدعاتها		
العصر	العمر * (بالسنين)	
الحجري الحديث	٩٠٠٠ قبل الميلاد	استطاع الانسان أن يدجن الخراف (الهلال الخصيب)
	٨٠٠٠ ق . م .	زرع ابن الرافدين للمرة الأولى حبوب القمح والشعير البري .
	٦٠٠٠ ق . م .	بدأت الزراعة تحل محل الصيد في المجتمعات المتحضرة
النحاسي	٤٠٠٠ ق . م .	ابتكار المحراث البسيط في بلاد الرافدين
	٣٥٠٠ ق . م. (؟)	ابتكار المرّ ، أو المعزقة ، لقلب التربة الزراعية
البرونزي	٣٠٠٠ ق.م.	عرف الصينيون تربية النحل واستغلال شمعه وعسله .
	٢٠٠٠ ق . م .	استخدم الصينيون مسحوق نبات الاقحوان كمبيد ضد الحشرات الحقلية .
الحديدي	٣٠٠ ق.م.	عرف الصينيون والرومان تربية الأسماك في أحواض .
الحديث	٥٠ ميلادية	ابتكر الرومان الحصادة الزراعية ، وذكرها العالم بلين (٢٣ ـ ٧٩) .
	٦٠ م	استخدم العالم الروماني بلين Pline المبيدات الفطرية ضد أمراض التعفنات
	٩٠ م	ظهرت الأمشاط الزراعية لتنقيب المدر وطمر الحبوب (مصر) .
	١٦٠٠	ابتكر الايطالي تاديوه كالفاني المبذرة الآلية
	١٧٨٦	وضع أندريه مايكل للعالم درّاسة السنابل الهيدروليكية (استكوتلندا) .
	١٨٢٢	ظهور أول محشة ميكانيكية بفضل جيريميا بيللي (الولايات المتحدة) .
	١٨٦٠	ابتكار الزراعات اللا أرضية . ساكس وكنوب (ألمانيا)
	١٨٨٩	استخدام أول جرّار زراعي يعمل على احتراق النفط (الولايات المتحدة)
	١٩٢٠	ظهور الزراعات البيولوجية بفضل فيفر والانكليزي هوارد .
	١٩٢٤	استخدام الطائرات في تعفير المحاصيل ومكافحة الحشرات (الولايات المتحدة)
	١٩٣٨	دخول المكننة الزراعية معظم دول العالم .
	١٩٨٥	ابتكرت شركة بلانشو الفرنسية المذرّة الالكترونية
	١٩٨٧	أبتكرت الآلات الالكترونية المبرجة مسبقاً لقطف المحاصيل آلياً (فرنسا)

الفهرس

الدليل الى ابرز المحتويات

مصر

البرهمانية الهندوكية

البوذية الجينية

اليابان

الصين التيبت

الهندو أوربيون

اسرائيل

اليونان

الأتروسك الرومان

المسيحية

الإسلام ومذاهبه والأنبياء والتقمص والتجلي

الشيطان افريقيا السوداء وداهش

فلكلور طوفان

ينبوع الباطنية

باء

ديانة فارس

مصر

البرهمانية

الجينية

اليابان

الصين والتيبت

الهندو أوربيون

اسرائيل

اليونان

الأتروسك الرومان

المسيحية

الإسلام ومذاهبه والأنبياء والتقمص والتجلي

الشيطان افريقيا السوداء وداهش

فلكلور طوفان

ينبوع الباطنية

التاء

ديانة فارس

مصر

البرهمانية

الجينية

اليابان

الصين والتيبت

الهندو اوروبيون

اسرائيل

اليونان

الأتروسك رومان

المسيحية

الإسلام ومذاهبه والأنبياء والتقمص والتجلي

الشيطان افريقيا السوداء وداهش

الفلكلور الطوفان

ديانة فارس

الثاء

مصر

اليونان

المسيحية

الإسلام

ينبوع الباطنية

جيم

ديانة فارس

مصر

البرهمانية

الجينية

الصين التيبت

الهندو اوروبييون

اسرائيل

اليونان

الأتروسك الرومان

المسيحية

الإسلام ومذاهبه والأنبياء والتقمص والتجلي

الشيطان افريقيا السوداء وداهش

الفلكلور الطوفان

ينبوع الباطنية

ديانة فارس

الحاء

مصر

الجينية

الهندو اوروبيون

اسرائيل

اليونان

المسيحية

الإسلام ومذاهبه والأنبياء والتقمص والتجلي

الفلكلور الطوفان

ينبوع الباطنية

خاء

ديانة فارس

مصر

البرهمانية

الجينية

اسرائيل

المسيحية

الإسلام ومذاهبه والأنبياء والتقمص والتجلي

الدال

ديانة فارس

مصر

البرهمانية الهندوكية

اليونان

الأتروسك الرومان

المسيحية

الإسلام ومذاهبه والأنبياء والتقمص والتجلي

الشيطان افريقيا السوداء وداهش

الفلكلور الطوفان

ينبوع الباطنية

الشين

ديانة الفرس

مصر

البرهمانية الهندوكية

الجينية

اليابان

الصين ـ التيبت

الهندو اوروبيون

الأتروسك الرومان

المسيحية

اليونان

الأتروسك الرومان

المسيحية

الإسلام ومذاهبه والأنبياء والتقمص والتجلي

افريقيا الشيطان السوداء وداهش

الفلكلور الطوفان

الغين

الإسلام ومذاهبه والأنبياء والتقمص والتجلي

افريقيا الشيطان السوداء وداهش

الفلكلور الطوفان

ينبوع الباطنية

الكاف

ديانة فارس

مصر

البرهمانية الهندوكية

الجينية

الإسلام ومذاهبه والأنبياء والتقمص والتجلي

افريقيا الشيطان السوداء وداهش

الفلكلور الطوفان

ينبوع الباطنية

الميم

ديانة فارس

مصر

البرهمانية الهندوكية

الجينية

اليابان

الصين التيبت

الهندو اوروبيون

اسرائيل

اليونان

الأتروسك الرومان

المسيحية

الإسلام ومذاهبه والأنبياء والتقمص والتجلي

الشيطان افريقيا السوداء وداهش

الفلكور الطوفان

اليونان

الأتروسك الرومان

المسيحية

الإسلام ومذاهبه والأنبياء والتقمص والتجلي

افريقيا الشيطان السوداء وداهش

الفلكلور والطوفان

ينبوع الباطنية

الهاء

الإسلام ومذاهبه والأنبياء والتقمص والتجلي

افريقيا الشيطان السوداء وداهش

الفلكلور والطوفان

ديانة فارس

اللام

البرهمانية الهندوكية

الجينية

الياء

ديانة فارس

مصر

البرهمانية الهندوكية

الجينية

اليابان

الصين التيبت

